

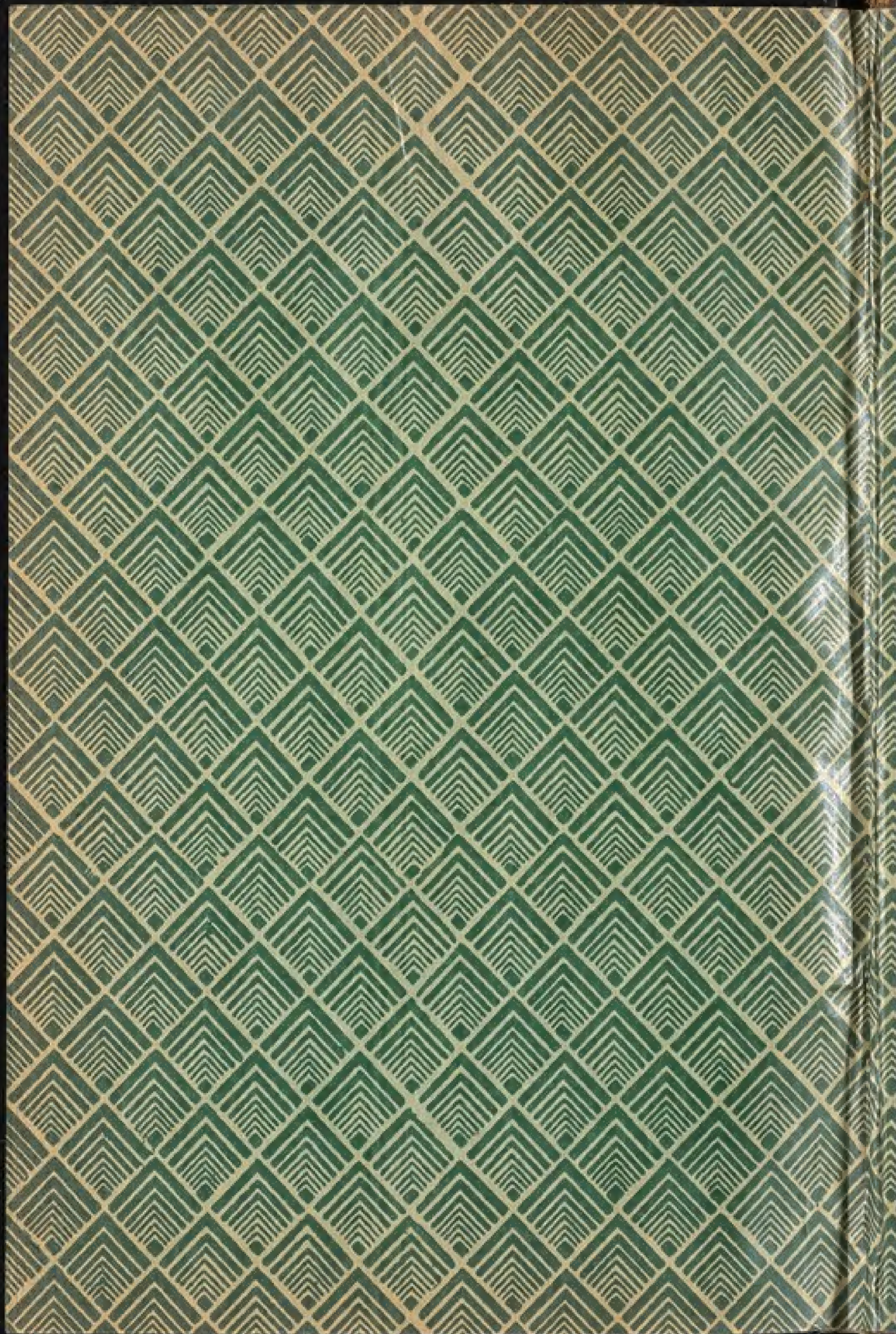


Columbia University  
in the City of New York

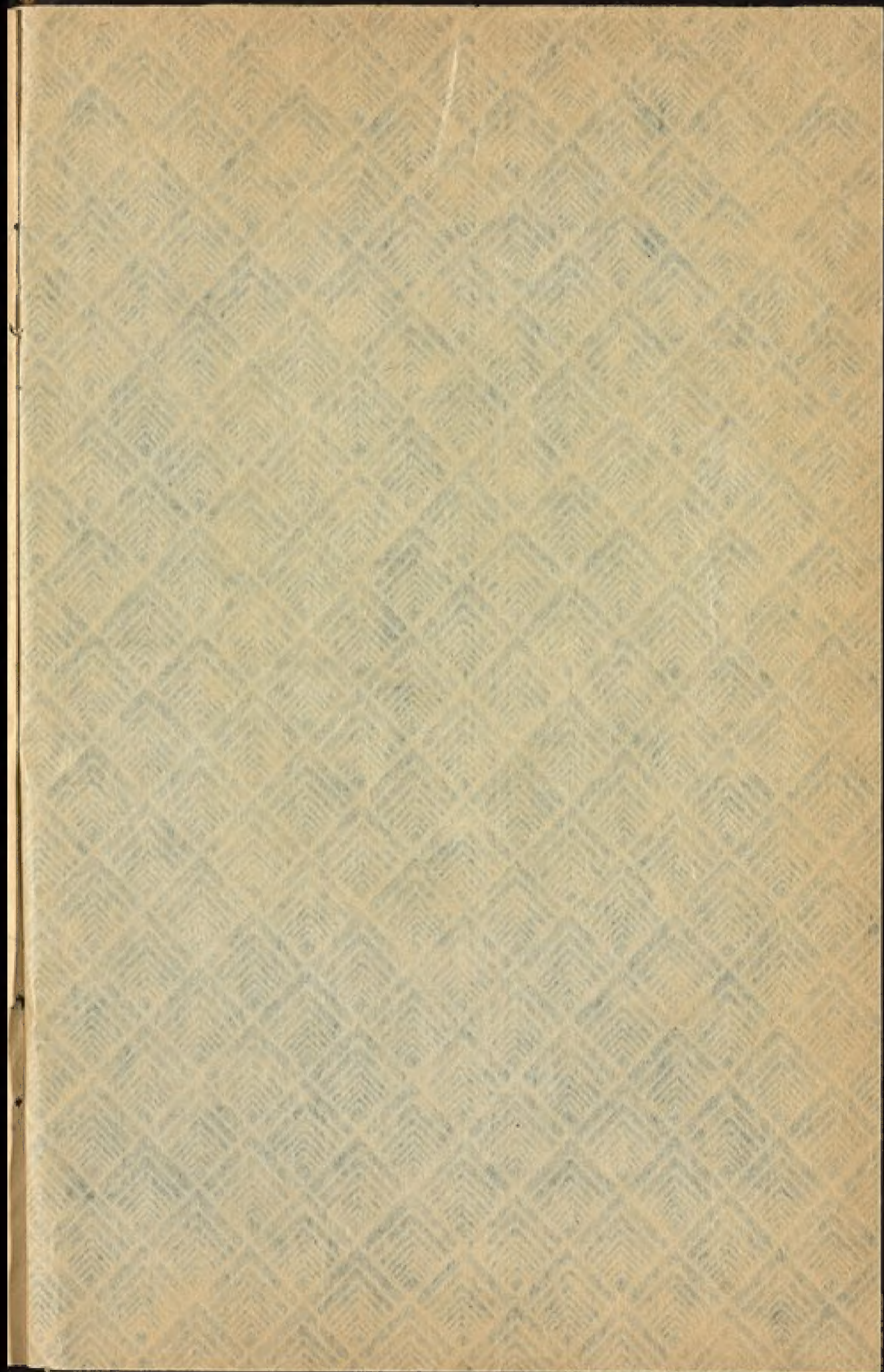
THE LIBRARIES













Col 850  
1270

# فن التشبيه

بلاغية . أدب . نقد

ص ٢٤ : ٤٤

الجزء الأول

تأليف

عبد الحليم عيسى

كلية دار العلوم . جامعة فؤاد الأول

الطبعة الأولى

١٩٥٢



مكتبة نخبة مصر

مكتبة نخبة مصر

١٠ شارع كامل صدقي باشا « الفجالة سابقاً »

مطبعة نخبة مصر



893.741  
595

v.1

v.1

579576



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله على سوابغ نعمه والصلاة والسلام على خيرته من خلقه ، وعلى إخوانه من النبين والمرسلين ، ومن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين .  
وبعد فهذه فصول في التشبيه ، تناولته من جميع نواحيه تناولاً دقيقاً شاملاً ، لم أفرغ إلى تحريرها إلا بعد التهيؤ لها بالقراءة الطويلة المستوعبة ، وجمع النصوص من مختلف مظانها العلمية والأدبية ، وتخير الشواهد والأمثلة الحية من نثر البلغاء وشعر الفحول ، فأنلف من مجموعها موسوعة ضخمة ترضى عقل العالم ، وعاطفة الأديب وذوق الفنان ، وهي — فوق ذلك — تغني عن الرجوع إلى المصادر البلاغية المتعددة ؛ بما ضمت من قديم يفرض وجوده على كل عصر ، وما حوت من جديد قضى به تقدم الحضارة ، ورفق الفكر ، وتغير البيئة ، وتطور اللغة ، وتشعب أساليب البيان .

وكان من همي ألا أقبل رأياً بدون نظر وبحث ، وأن أدرس المذاهب المختلفة وأنخلها ، وأميز عليلها من صحيحها ، وغثها من سمينها ، دون تأثر بهوى أو عصبية ، وأن أجعل من بينها للدراسات الحديثة مكاناً ملحوظاً من تحليل أدبي ، ونقد قويم ، وموازنة عادلة ، مستعينا على ذلك بما لا يصح للدارس جهله من مباحث علم النفس ، وفلسفة الفن والجمال .

ولست أدعى العصمة من الخطأ والبرائة من الزلل ، فالكمال لله وحده ، وهو ولي الإنعام والتوفيق ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

على الجندى

573-5795-FC  
APR 3 1962  
MB



# الفصل الأول

## حد البيان

معناه في اللغة :

البيان في اللغة : اسم بمعنى الفصاحة واللسن مع الذكاء ، وهو أيضاً : ما يتبين به الشيء من الدلالة وغيرها .

وفعله « بان ، الثلاثي يستعمل لازماً فقط ، وغيره من الأفعال وهي : أبان ، وبين ، وتبين ، واستبان تستعمل لازمة ومتعدية . ومادته كلها تفيد الوضوح والانكشاف .<sup>(١)</sup>

البيان في رأى قرامط :

والبيان عند قدامة على أربعة وجوه :

١ - بيان الأشياء بذواتها وإن لم تبين بلغاتها ، وهو ما يسمى : لسان الحال ، أو دلالة الحال ؛ كقول بعضهم : سل الأرض فقل : من شق أنهارك وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ، فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً .

وكقول نصيب يمدح سليمان بن عبد الملك :

فعاजوا فأنشوا بالذى أنت أهله      ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق

٢ - البيان الذى يحصل فى القلب عند إعمال الفكرة واللب ، فيصير صاحبه عالماً بمعانى الأشياء مستيقناً لها ، ويخص باسم « الاعتقاد » .

٣ - البيان الذى هو نطق باللسان للإخبار عما فى النفس من الحكمة المستفادة والمعرفة المكتسبة ، وهو أوضح مما تقدم وأعم نفعاً .

(١) المعجمات اللغوية مادة « بان »



٤ - البيان بالكتاب ليبلغ من بُعد أو غاب ، وهو والذي قبله يتغيران بتغير اللغات ، ويقباينان بقبائين الاصطلاحات. (١)

وهذه الوجوه كما ترى مرتبة ترتيباً تصاعدياً ، وبأخذ بعضها بحجر بعض ، فالأول يفضى إلى الثاني ، والثاني يسلم إلى الثالث ، والثالث يؤدي إلى الرابع .  
البيان في رأى الجاحظ . (٢)

وقد سبق الجاحظ قدامة بالتكلم في فضل البيان وتقسيمه ، وهو عنده مرادف للدلالة .

يقول : جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ : خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد .  
١ - اللفظ .

٢ - الإشارة باليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب - إذا تباعد الشخصان - وبالثوب وبالسيف .

والإشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هي له ، ونعم الترجمان هي عنه وما أكثر ما تنوب عن اللفظ ، وما تغنى عن الخط .

وقد قال الشاعر في دلالات الإشارة : (٣)

أشارت بطرف العين خيفة أهلها      إشارة مذعور ولم تتكلم  
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً      وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم  
وقال الآخر :

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه  
وفي الناس من الناس من مقاييس وأشباه  
وفي العين غنى للبر . أن تنطق أفواه

(١) قد انثر من ص ٩ إلى ١١ طبع وزارة المعارف .

(٢) انظر البيان والتبيين ج ١ ص ٧٧ إلى ٨٣ طبع السندوني .

(٣) أكثر هذه الأمثال من اختيار المؤلف .



وقال أبو الشيص :

دموع العاشقين إذا تلاقوا      بظهر الغيب ألسنة القلوب

وقال إبراهيم بن المهدي :

إذا كُتبت بالعيون الفواتر      رددت عليها بالدموع البوادر

فلم يعلم الواشون ما دار بيننا      وقد قضيت حاجاتنا بالضمائر

وقال ابن المعتز أو غيره :

تفقد مساقط لحظ المريب      فإن العيون وجوه القلوب

وطالع بوادره في الكلام      فإنك تجنى ثمار الغيوب

وقال بعض الأعراب :

وليل لم يقصره رقاد      وقصر طوله وصل الحبيب

نسيم الحب أورد فيه حتى      تناولنا جناه من قريب

بمجلس لذة لم نقو فيه      على شكوى ولا عد الذنوب

بخلنا أن نقطعه بلفظ      فترجمت العيون عن القلوب

وقال آخر :

تكلم منا في الوجوه عيوننا      فنحن سكوت والهوى يتكلم

ونغضب أحياناً ونرضى بطرفنا      وذلك فيما بيننا ليس يعلم

وقال آخر :

إذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق      كلاماً تكلمنا بأعيننا شذراً

نصد إذا ما كاشح مال طرفه      إلينا ونبدى ظاهراً بيننا هجراً

فإن غفلوا عنا رأيت خدودنا      تصافح أو ثغراً قرعنا به ثغراً

وقال آخر :

جعلنا علامات المودة بيننا      دقائق لحظ هن أمضى من السحر



فأعرف منها الوصل في لين لحظها وأعرف منها الحجر في النظر الشرور

وهو مأخوذ من قول بعض البلغاء : اللحظ يعرب عن اللفظ (١) .

وقال الفرزدق (٢) في لغة الحواجب :

هل تذكرين إذ الركابُ مُناخَةٌ برجالها لرواح أهل الموسم

إذ نحن لسترق الحديث وفوقنا مثل العجاج من الغبار الأقم

وكذاك نخبر بالحواجب بيننا ما في النفوس ونحن لم نتكلم

وقال إسماعيل الموصلي في لغة العيون والحواجب :

ولما رأينا البين قد جد جدُّه ولم يبق إلا أن تبين الركائب

دنونا فسلمنا سلاماً مخالسا فردت علينا أعين وحواجب

وقال النابغة في أكثر من ذلك :

فلما تلاقينا كتبت بأعين لنا كتباً أنجمنها بالحواجب

فلما قرأنا هن سرّاً طوبىنا حذار الأعادي بازورار المناكب

٣ — العَقْد : وهو الحساب ويكنى في فضيلته قوله تعالى : « هو الذي جعل

الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب »

٤ — الحِط : وقد قالوا القلم أحد اللسانين .

٥ — النصبة : وهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشييرة بغير اليد ، وقد سماها

قدامة فيما سبق : « بيان الأشياء بذواتها »

وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض ، وفي كل صامت وناطق ،

وجامد ونام ، ومقيم وظاعن ، وزائد وناقص ؛ فالدلالة التي في الموات

الجامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق ، فالصامت ناطق من جهة الدلالة ،

والعجاء معربة من جهة البرهان .



وما أحسن قول بعض الخطباء : أشهد أن السموات والأرض آيات  
دالات وشواهد قائمات ، كل يؤدي عنك الحجة ، ويعرب عنك بالربوبية ،  
موسومة بآثار قدرتك ، ومعالم تديرك التي تجليت بها لخلقك ، فأوصلت  
إلى القلوب من معرفتك ما أنساها من وحشة الفكر ورجم الظنون ، فهي  
على اعترافها لك وذلها إليك ، شاهدة بأنك لا تحيط بك الصفات ، ولا تحددك  
الأوهام ، وأن حظ الفكر فيك الاعتراف لك .

وبذلك يتفق قدامة مع الجاحظ في بيان اللفظ ، وبيان الخط ، وبيان الحال .  
وينفرد قدامة ببيان القلب وهو الاعتقاد .

وينفرد الجاحظ ببيان الإشارة ، وبيان العقد وهو الحساب .

وصفوة القول أن البيان عند الجاحظ : اسم جامع لكل شيء كشف لك  
قناع المعنى ، وهتك الحجب دون الضمير ، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ،  
ويهجم على محصولة ، كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان ذلك  
الدليل ، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم  
والإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان  
في ذلك الموضع .

ويقول الحصري في قول أبي الطيب يمدح أبا العشائر الحمداني :

تنشد أثوابنا مدائحهم بألسن ما لهم أفواه

إذا مررنا على الأصم بها أغتته عن مسمعيه عيناها

وهذا المعنى من القضية الدالة بذاتها التي ذكرتها عن الجاحظ في أقسام البيان .

### معناه في الاصطلاح

وقد عرف علماء البلاغة البيان : بأنه علم يعرف به إيراد المعنى الواحد  
بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه .

والمراد بالطرق : التراكيب

ومعنى الاختلاف في الوضوح : أن يكون بعض هذه التراكيب أوضح  
دلالة من بعض مع وجود الوضوح في الجميع .



فالوضوح هنا أمر نسبي بحسب إضافة بعضها إلى بعض ، والتراكيب كلها جلية بينة ، والتفاوت بينها إنما هو في شدة الوضوح وضعفه تبعاً لمقتضيات الأحوال وتباين المقامات ؛ وأما الخفاء الحقيقي الذي ينصرف إليه اللفظ عند الإطلاق ، لعلته تلحق صورة الكلام أو معناه ، فهو التعقيد والاستغلاق والإيهام الذي يناقض البيان في سره وجوهره ، وغايته وغرضه .

### أمثلة لإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة .

مثال ذلك الوصف بالكرم ، فقد أورد فيه المتن ما يتعب حصره من العبارات ؛ مثل قوله :

لم أعرف أخيراً إلا مذ عرفت قتي	لم يُولد الجود إلا عند مولده
يعطيك متديراً فإن أنجلكه	أعطاك معتذراً كمن قد أجرما
يا من لجود يديه في أمواله	نقم تعود على البتاي أنعما

° ° °

أرجو نذاك ولا أخشى المطال به	يا من إذا وهب الدنيا فقد بخلا
تمثلوا حانماً ولو عقلوا	لكنت في الجود غاية المثل (١)

° ° °

يا ذا الذي يهب الكثير وعنده	أنى عليه بأخذه أتصدق
أمطر على سحاب جودك ثرة	وانظر إلى برحة لا أغرق (٢)

° ° °

غمام علينا بمطر ليس يقشع	ولا البرق فيه خطباً حين يلمع
إذا عرضت حاج إليه فنفسه	إلى نفسه فيها شفيع مشفع

° ° °

(١) تمثلوا حانماً : أى ضربوه مثلاً في الجود . (٢) ثرة : غزيرة .



يا من ألوذ به فيما أومله ومن أعوذ به بما أحاذره  
ومن توهمت أن البحر راحته جوداً وأن عطاياها جواهره

\*\*\*

فما بفقر شام برقك فاقة ولا في بلاد أنت صيها محل

\*\*\*

تباعد ما بين السحاب وبينه فئاتلها قطر وناتله غمر  
ولو نزل الدنيا على حكم كفه لأصحت الدنيا وأكثرها زار

\*\*\*

ماذا البهاء ولاذا النور من بشر ولا السماح الذي فيه سماح يد  
أى الألف ببارى الغيث ما اتفقا حتى إذا افترقا عادت ولم يعد

\*\*\*

حني على يد اللجين وما أت ياسامة وعن المسى صفوح<sup>(١)</sup>  
لو فرق الكرم المفرق ما له في الناس لم يك في الزمان شحيح  
لو كنت بحر أ لم يكن لك ساحل أو كنت غيثا ضاق عنك اللوح<sup>(٢)</sup>  
ونحيت منك على البلاد وأهلها ما كان أنذر قوم نوح

\*\*\*

كأنك في الإعطاء للمال مبغض وفي كل حرب للنية عاشق  
فما ترزق الأقدار من أنت حارم ولا تحرم الأقدار من أنت رازق

\*\*\*

وثقنا بأن تعطي قلوب لم نجد لنا لخلقناك قد أعطيت من قوة الوهم  
وأطمعني في نيل ما لا أناله بما نلت حتى صرت أطمع في النجم

\*\*\*

(١) البدر : جمع بدره وهي عشرة آلاف درهم . (٢) اللوح : الجو .



أَتَيْنَاهُ نَطَالِهِ بِرَفْدٍ فَطَالَبَ نَفْسَهُ مِنْهُ بِدِينٍ

\*\*\*

كَأَن سَخَاءَكَ الْإِسْلَامُ تَخْشَى إِذَا مَا حُلَّتْ عَاقِبَةُ ارْتِدَادٍ

\*\*\*

إِذَا عُدَّ الْكِرَامُ فَتْلِكَ عِجْلُ كَمَا الْأَنْوَاءُ حِينَ تَعْدُ عَامٌ<sup>(١)</sup>  
وَلَوْ يَمْتَمُّهُمْ فِي الْحَشْرِ تَجِدُوا لِأَعْطَوكَ الَّذِي صَلَاوا وَصَامُوا<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

مَنْ الْعَطَايَا لَوْ رَأَى نَوْمَ عَيْنِهِ مِنْ اللَّؤْمِ إِلَى أَنَّهُ لَا يَوْمٌ<sup>(٣)</sup>  
وَلَوْ قَالَ هَاتُوا دَرَاهِمًا لَمْ أَجِدْ بِهِ عَلَى سَائِلٍ أَعْيَا عَلَى النَّاسِ دَرَاهِمَ

\*\*\*

وَلَجَدْتَ حَتَّى كَدْتَ تَبْخُلُ حَائِلًا لِلْمُنْتَهَى وَمِنْ السَّرُورِ بِكَامٍ<sup>(٤)</sup>  
لَمْ تَحْكُ نَائِلُكَ السَّحَابِ وَإِنَّمَا حُمْتُ بِهِ فَصِيدُهَا الرَّحَضَاءُ<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

إِنَّكَ مِنْ مَعِشَرٍ إِذَا وَهَبُوا مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخَلُوا

\*\*\*

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذَّنَابِ

\*\*\*

سَفَكَ الدَّمَاءَ بِجُودِهِ لَا بِأَسِهِ كَرَمًا لِأَنَّ الطَّيْرَ بَعْضُ عِيَالِهِ

\*\*\*

أَخْلَطَ مَوَاهِبَكَ الْأَسْوَاقَ مِنْ صَنْعٍ أَغْنَى نَدَاكَ عَنِ الْأَعْمَالِ وَالْمِهْنِ

(١) عجل : قبيلة المدوح . (٢) تجدو : تسأل العطاء .

(٣) آلى : أقسم ، وهو من رأسه من الناس .

(٤) يقول قد جددت إلى نهاية الجود ولم تترك مزيداً فسكنت تحول إلى البخل ، لأنه ليس

بعد التهام غير نقصان عملاً بسنة الطبيعة ؛ وهو من معاقبه الدققة . (٥) الرحضاء : عرق الحن.



ذا جود من ليس من دهر على ثقة ورهد من ليس من دنياه في وطن

° ° °

يعطى المبشر بالقصد قبلهم كمن يبشره بالماء عطشاناً

° ° °

وإن سحاباً جوده مثل جوده سحاب على كل السحاب له ثغر

° ° °

إن كان فيما نراه من كرم فيك مزيد فزادك الله

° ° °

وكانما جدواه من إكثاره حسد لسائله على إقلاله<sup>(١)</sup>

° ° °

تشبه كفك بالأمطار غادية جود لكفك ثان ناله المطر

° ° °

لا تظنين كريماً بعد رؤيته إن الكرام بأسخاهم يداً ختموا

° ° °

فنى لا يرجى أن تتم طهارة لمن لم يظهر راحتيه من البخل

° ° °

ما سمعنا بمن أحبه العطايا فاشتبهى أن يكون فيها فواده

° ° °

لو فطنت خياله لناله لم ير ضها أن تراه يرضاها<sup>(٢)</sup>

لا نجد الخمر في مكارمه إذا انتشى خلة تلافها<sup>(٣)</sup>

(١) يقول كأنه يحسد سائله على فقره فيعطيه كثيراً ليفتقر مثله .

(٢) أي لو علمت خياله حقيقة جوده لم يسرها أن تعجز لأنها إن أعجزته وهبها للناس .

(٣) الخلة لفتح : الخصلة ، والمعنى أنت نشوة الشراية لا تريد مروة على مروة<sup>(٤)</sup> .

لأن مكارمه تامة قبل أن يشرب .



هذه أبيات تعتمدنا أخذها مما قاله شاعر واحد في معنى واحد وهو الكرم .  
 فياليت شعري كم عسى يبلغ ما قاله الشعراء جميعاً فيه ، ولا سيما إذا عرفنا أن  
 هذا الخلق من الأخلاق السامية التي مدح بها الناس كثيراً منذ أن عرف المدح .  
 وإنك لو اجد إذا نظرت في هذه الأبيات فنونا من القول وضروباً  
 من الكلام ؛ فمن تشبيه إلى استعارة إلى كناية إلى لون آخر لا ينتظم فيها ،  
 وكل منها يتشقق إلى شعب كثيرة تختلف في الزى وتنسب إلى أصل واحد .  
 ثم هي - إلى ذلك - تنافس في الحسن وتبارى في الجمال ، وتخرج في  
 معارض متباعدة من الوضوح ، فهذا يسفر حتى يفهمه العامة ، وذلك يلطف حتى  
 لا يدركه غير الخاصة ، ولكن أحداً من الناس لا يستطيع أن يقول : إن  
 آفة لفظية أو معنوية عسرت مسلكه ، وطمست معالنه .

وهذه أبيات وردت في وصف الخصال لعدة شعراء مع ملاحظة أن  
 الخيلاء لم تشغل أذهان الشعراء كما شغلها غيرها من سمات الملاحظة والجمال ،  
 ومع ذلك استطاعوا أن ينوعوا التعبير ، ويتفننوا في الأداء ، بالرغم من  
 وحدة المعنى :

قال ابن منير الطرابلسي :

ما خاله من فتيت عنبر صدغيه م ولا قطر صبغة الكحل<sup>(١)</sup>  
 لكن سويداء قلب عاشقه طفت على نار ورده الخجل  
 وقال أيضاً :

أنصرت مقلته صفك دمي وعلى وجهته فاعترفت  
 لا تخالوا خاله في خدده قطرة من صبغ جفن نطفت<sup>(٢)</sup>

(١) الكحل بفتح الكاف وإخاء : سواد العين خلقة ، وفي ذلك يقول الشاعر :

أيس الكحل في العين كالسحل

(٢) نطفت : سال .



تلك من نار فؤادى جذوة      فيه ساخت وانطفت ثم طفت  
وقال آخر :

لا تخالوا الخال يعلو خده      نَقَطَ مسك ذاب من طُرته<sup>(١)</sup>  
ذاك قلبي سلبت حُبّه      فاستوت خالا على وجنته  
وقال آخر :

كم قلت للنفس إليه اذهبي      فبه المشهور من مذهبي  
مهفف القد له شامة      من عنبر في خده المذهب  
وقال حسام الدين الحاجرى :

ومهفف من شعره وجينته      يغدو الورى فى ظلمة وضياء  
لا تنكروا الخال الذى فى خده      كل الشقيق بنقطة سوداء  
وقال آخر :

بدا على خده خال يزينه      فزادنى شغفاً منه إلى شغفى  
كأن حبة قلبي عند رؤيته      طارت فقلت لها فى الخد منه فنى  
وقال آخر :

لمب الخد حين رآته عبنى      هوى قلبي عليه كالفرأش  
فأحرقه فصار عليه خالا      وها أثر الدخان على الحواشى  
وقال آخر :

خيلائى خدك ردت      صبح قلبي مريضاً  
فى العين سود ولكن      ما زلت فى القلب ييضاً  
وقال آخر :

حجّت إلى وجهك أبصارنا      طائفةً يا كعبة الحسن



تمسح خلا منك في وجنة      كالحجر الأسود في الركن  
وقال العباس بن الأحنف :

ومحجوبة في الخدر عن كل ناظر  
بخال بذاك الخد أحسن منظراً  
وقال كشاجم :

فديت زائرة في العيد واصلة  
فلم يزل خدها ركناً ألود به  
وقال آخر :

وبين الخد والشفتين خال  
تحير في الرياض فليس يدري  
وقال الشاب الطريف :

أدنته لي سنة الصكرى فلمسته  
ما راعني إلا بلال الخال من  
وقال ابن نباتة :

لله خال على خد الحبيب له  
أورثته حبة القلب القليل به  
فانظر كيف دار هذا الشعر كله حول معنى واحد ، وهو وصف الخال  
بالسواد وصف تزيين ، مع التعليل الشائق لهذا السواد .

وهكذا قل أن نجد معنى لم يتناول به الشعراء بأساليب متنوعة وبخاصة  
في العصور السالفة ، لأن الشعراء حصروا أنفسهم في دائرة ضيقة ، وحجروا  
ما وسعه الله عليهم ، فقللت لديهم المعاني وكثرت الالفاظ ، فالمدائح مثلاً  
لا تسكاد تخرج عن الشجاعة والكرم ، والغزل كله أنفق في وصف مفاتن  
المرأة البدنية .



فلهذاكثر الاغتصاب الأدبي والاختزال والسرقة حتى وجدنا من يستحل ذلك جبهة ولا يتحرج منه كالفرزدق<sup>(١)</sup>.

واختلاف التراكيب من الأدباء والشعراء مع الاتفاق في المعاني ، مما تحتمه الطبيعة الإنسانية ، فكما يختلف الناس في ألوانهم وسماتهم وأخلاقهم وأمزجتهم وعواطفهم ، ونظرهم إلى الأشياء وكيفية تناولهم لها ، لا بد أن يختلفوا في صياغة كلامهم ونسجه وتخييره وتنميقه شعراً ونثراً وخطباً ، حتى لا نجد تعبيرين يتحدثان إلا أن يكون أحدهما سرقة أو تقليداً للآخر ، أو يكون من باب اتفاق الخواطر وهو نادر لا يعتد به ، ومن ثم صرح قولهم : إن الأسلوب هو الكاتب ، أو هو الرجل<sup>(٢)</sup>.

#### الفصاحة والبهرجة والبيان :

والفصاحة والبلاغة والبيان تشترك في كثير من المعاني ، ويختص كل واحد منها بما ليس عند الآخر .

فالفصاحة أصلها الخلوص من الشوائب ، وتكون بالنسبة إلى اللفظ من وجهين : أحدهما أن يخرج المتكلم الحروف من مخارجها ، ويخلص بعضها من بعض .

والثاني أن يكون اللفظ بما تداوله فصحاء العرب وكثر في كلامهم . وتكون بالنسبة للمعنى : خلوصه من غيره . ومعنى البلاغة : انتهاء الشيء إلى غايته المطلوبة .

وتتعلق بالمعنى فقط ، وهو أن يبلغ من نفس السامع مبلغه .

والبيان في عرف الكلام أنهم من الفصاحة والبلاغة ؛ لأن كل واحد منهما من مادته وداخل في حقيقته ، لذلك قلنا : علم البيان ، وتكلمنا فيه عن



الفصاحة والبلاغة وغيرها ، ولم يوضع علم للفصاحة ولا علم للبلاغة <sup>(١)</sup> .

ومما تقدم نفهم أن البيان يطلق على معنيين :

١ — معنى أدبي واسع يشمل الإفصاح عن كل ما يختلج في النفس من المعاني والأفكار والأحاسيس والمشاعر بأساليب لها حظها الممتاز من الدقة والإصابة والوضوح والجمال ، وهو بهذا التعميم يجمع فنون البلاغة الثلاثة : المعاني والبيان والبديع .

وهذا المعنى هو المراد عند إطلاق لفظ البيان ، وإياه يعني جعفر البرمكي — حين سئل عن البيان — فقال : أن يكون الاسم يحيط بمعناه ، ويكشف عن مغزاه ، ويخرجه عن الشركة ، ولا يستعان عليه بالفكرة ، ويكون سليماً من التكلف بعيداً عن الصنعة ، بريئاً من التعقيد ، غنياً عن التأويل <sup>(٢)</sup> .

وقال فيه الرماني : هو إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك .

ولمّا قيل ذلك لئلا يلتبس بالدلالة ، لأنها إحضار المعنى للنفس وإن كان بإبطاء .

وقال : الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة .

وقد قيل ذلك ؛ لأنه قد يتأقّد التعقيد في الكلام الذي يدل ولا يستحق اسم بيان <sup>(٣)</sup> .

٢ — معنى علمي ضيق ، وهو التعبير عن المعنى الواحد بطريق الحقيقة أو المجاز ، أو الكناية كما سلف .

وهو أحد فروع البلاغة عند أهل الاصطلاح .

(١) الألفي القريب لزين الدين التنوخي — ٢٣٣

(٢) زهر الآداب ١ — ١٥٠ (٣) العجدة — ١ — ١٦٩ — ١٧٠

(٤) م — ٢ — من المشبه



# الفصل الثاني

## الدلالات

قد اقتضاهم جعل الدلالة جزءاً من تعريف البيان ، أن يعرضوا لتقسيمها  
وبيان الدلالة المقصودة هنا ، فقالوا : إن الدلالة اللفظية ثلاثة أقسام :

### ١ - دلالة المطابقة .

وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له ، كدلالة الإنسان على مجموع  
الحيوان والناطق ، ودلالة البيت على مجموع الجدار والسقف .  
سميت بذلك لتطابق اللفظ والمعنى : أي توافقهما ، أو لتطابق الفهم  
والوضع : بمعنى أن ما فهم هو ما وضع له اللفظ .

### ٢ - دلالة التضمن .

وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له ، أو جزء مسماه مع دخوله فيه  
كدلالة الإنسان على الحيوان فقط ، ودلالة البيت على الجدار أو السقف .  
سميت بذلك لأن الجزء المفهوم من اللفظ هو في ضمن المعنى السكلي ، فيفهم  
عند فهمه .

### ٣ - دلالة الانتراسم .

وهي دلالة اللفظ على معنى خارج عن مسماه لازم له <sup>(١)</sup> ، كدلالة  
الإنسان على معنى الضاحك ، ودلالة السقف على الجدار ، فإنه خارج عنه ،  
لازم له لا جزء منه .

سميت بذلك لأن المدلول فيها لازم للمعنى الموضوع له اللفظ .

(١) يكتب بالزوم من بالزوم الذهني ، وهو ما يثبت ذهن الخاطب بسبب عرف عام  
أو خاص أو قرينة حال .



وتسمى دلالة المطابقة عند البيانين وضعية أيضا ، لأن السبب في حصولها عند سماع اللفظ أو تذكره ، هو معرفة الوضع فقط دون حاجة إلى شيء آخر .

وتسمى دلالة التضمن والالتزام عقليتين ، لأن حصولها بانتقال العقل من الكل إلى الجزء في الأولى ، ومن الملزوم إلى اللازم في الثانية ، بمعنى أن الواضع وضع اللفظ ليفيد جميع المعنى ، غير أن العقل اقتضى أن الشيء لا يوجد بدون جزئه أو لازمه .

وأكثر المناطقة يجعلون الثلاث وضعيات ، لأن للوضع مدخلا فيها سواء أكان سببا تاما كما في الأولى ، أو لا بد من انتقال عقلي كما في الثانية والثالثة .

ويرى ابن الحاجب والآمدى : أن الأولى والثانية وضعيتان ، وأن الثالثة هي العقلية فقط <sup>(١)</sup> .

ويسمى الشهر<sup>٢</sup> وردى دلالة المطابقة : دلالة القصد . ودلالة التضمن : دلالة الحيلة ، ودلالة الالتزام : دلالة التطفل <sup>(٣)</sup> .

وقد عبر عبد القاهر عن الدلالة الوضعية والعقلية بعبارة مختصرة ، وهي أن نقول : المعنى ، ومعنى المعنى .

فنعنى بالمعنى : المفهوم من ظاهر اللفظ ، وهو الذي يفهم منه بغير واسطة وبمعنى المعنى : أن يفهم من اللفظ معنى ، ثم يفيد ذلك المعنى معنى آخر <sup>(٤)</sup> .

#### المفصّل بالدلالة : بالدلالة العقلية :

وهم يذكرون : أن محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة والنقصان في وضوح الدلالة عليه ، لا يتأتى بالدلالات الوضعية <sup>(٥)</sup> .

(١) راجع شروح النجاشي - ٣ - ٢٦٢ إلى ٢٧٤

(٢) مناهج البحث عند مفكرى الإسلام للاستاذ سادى التشار .

(٣) نهاية الابتجاز في دراية الإعجاز للرازي - ٩

(٤) مفتاح العلوم للسكاك - ١٧٦



لأن السكال والنقص والوضوح والخفاء لا يتطرق إليها ، فإذا قلت مثلاً : وجه كالبدر في الحسن ، فقد أعربت عن المعنى بالفاظ تدل عليه دلالة وضعية لغوية ، ومن المحال أن يعتور هذا المدلول نقص أو زيادة ، لأنك إن زدت في ألفاظها زدت في المعنى قطعاً ، وإن نقصت منها نقصت من المعنى حتماً ، وإن استبدلت بهما يرادفها لم تتغير الإفادة في ذهن السامع إذا كان عارفاً أنها موضوعة لإفادة المعاني التي فهمها من سابقتها ، وإن كان يجهل ذلك لم يفهم منها المعنى أصلاً .

وعلى هذا فلا يمكن وجود الوضوح والخفاء في الدلالة الوضعية ، لأن كل الأساليب التي تؤدي معنى بهذه الدلالة يمتنع أن يكون بعضها أتم وضوحاً أو أنقص عند العالم بوضع الألفاظ ، وأما غير العالم فليس له من سبيل إلى فهمها لتوقف الفهم على معرفة الوضع .  
فالدلالة العقلية إذن هي التي يمكن بها إيراد المعنى بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه .

وقد نص عليها الخطيب صراحة في تعريف آخر للبيان حيث يقول : هو علم يبحث عما يعلم منه كيفية إيراد المعنى في أفضل الطرق دلالة عقلية .<sup>(١)</sup>  
ويقول العلوي : محاسن الكلام لا يجوز أن تكون راجعة إلى الدلالات الوضعية لسيئين :

أولاً : لأن الكلمة قد تكون فصيحة إذا وقعت في محل ، وغير فصيحة إذا وقعت في محل آخر .

فلو كان الأمر في الفصاحة والبلاغة راجعاً إلى مجرد الألفاظ الوضعية لما اختلف ذلك بحسب اختلاف المواضع .

وثانياً لأن الاستعارة والتشبيه والتمثيل والكنابة من أعظم أبواب



الفصاحة وأبلغها ، وإنما كانت كذلك باعتبار دلالتها على المعاني لا باعتبار ألفاظها .

فصارت الدلالة على وجهين :

١ — دلالة وضعية . وهذه لا تعلق لها بالبلاغة والفصاحة .

٢ — دلالة معنوية :

ودلالتها إما بالتضمن أو بالالتزام وهما عقليان من جهة أن حاصلهما هو انتقال الذهن من مفهوم اللفظ إلى ما يلازمه سواء أكانت تلك الملازمة تدل على جزء المفهوم وهي التضمنية ، أو على معنى يصاحب المفهوم ، وهي الدلالة الخارجية أو الالتزام <sup>(١)</sup> .

وباتخاذهم الدلالة العقلية وحدها أساساً للوضوح والخفاء انحصر عندهم علم البيان ضرورة في باين أصليين ، وهما المجاز والكناية .  
وخرج التشبيه لأن دلالاته وضعية ، فهو من وادى الحقيقة لا المجاز .

وقد قرر عبد القاهر ذلك جلياً بقوله : إن كل متعاط تشبيه صريح لا يكون نقل اللفظ من شأنه ولا من مقتضى غرضه ، فإذا قلت : زيد كالأسد وهذا الخبر كالشمس في الشهرة ، وله رأى كالسيف في المضاء ، لم يكن منك نقل اللفظ عن موضوعه .

ولو كان الأمر على خلاف ذلك لوجب ألا يكون في الدنيا تشبيه إلا وهو مجاز ، وهو محال ، لأن التشبيه معنى من المعاني ، وله حروف وأسماء تدل عليه ، فإذا صرح بذكر ما هو موضوع للدلالة عليه كان الكلام حقيقة كالحكم في سائر المعاني ، فاعرفه <sup>(٢)</sup> .

وإنما خصوا الاستعارة بالذكر — وهي مندرجة في المجاز فلشرقها وكثرة

(١) الطراز — ٣ — ٤١٣ — ٤١٤ :

(٢) أسرار البلاغة — ١٩٥ — ١٩٥ :



أنواعها ومباحثها وكونها معظم مقاصد علم البيان<sup>(١)</sup>.

وإن لم نذكر التشبيه في علم البيان ؟

أورد التفتازاني هذا السؤال في شرح المفتاح وقول هو بنفسه الإجابة عنه ، فقال : اعلم أن البيان إنما ينظر في الدلالات العقلية ، والتشبيهات من حيث هي تشبيهات تكون بالدلالة الوضعية ، فكيف يكون التشبيه من مقاصد البيان كما يشعر بذلك جعله أصلاً ثالثاً ؟

والجواب : إنما أخذ أصلاً من علم البيان لضرورة ابتناء الاستعارة عليه فلا يكون من أصوله بالذات ، فلا يلزم أن يكون البحث فيه عن الدلالات العقلية<sup>(٢)</sup>.

وهو مختصر قول السكاكي . . . إن المجاز — أعني الاستعارة — من حيث أنها من فروع التشبيه لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من المألوم إلى اللازم ، بل لا بد فيها من تقدم تشبيه شيء بذلك المألوم في لازم له ، تستدعي تقديم التعرض للتشبيه ، فلا بد من أن نأخذه أصلاً ثالثاً وتقدمه<sup>(٣)</sup>.

وبذلك أصبحت أصول البيان أربعة .

أصلاً ذاتيان وهما المجاز والكنية .

وواحد وسيلة وهو التشبيه .

وواحد جزء من أصل وهو الاستعارة .

شعورهم بالمرجح في هذا المختصر .

وكانهم شعروا بالاعتراض على جعل التشبيه أصلاً في البيان ، لا شيء غير بناء الاستعارة عليه ، فقالوا — يبررون عملهم — بأنه لما كان في التشبيه

(١) شرح القوائد الغيبانية للمولى عصام الدين — ١٩٤

(٢) حاشية المرشدي على شرح عقود الجمان — ٢ — ٦

(٣) المفتاح — ١٧٧

مباحث شريفة وفوائد لطيفة . جعل مقصداً برأسه لا مقدمة ، وإن كان هو في الحقيقة كذلك <sup>(١)</sup> .

وقد حمل المولى عصام على السكاكى حجة عنيفة لعدده التشبيه أصلاً ثالثاً في البيان ا فقال : إن ما قرره السكاكى يستدعى تقديم التشبيه على الاستعارة وجوباً ، وعلى المجاز استحساناً ، كيلا يقع الفصل به بين أنواع المجاز ، وأما أخذه أصلاً ثالثاً فلا يستدعيه أصلاً ، بل الواجب أن يجعل مقدمة خارجة عن مقاصد هذا الفن ، ويؤيده ما قيل : من أن دلالات التشبيهات من حيث هي ، دلالات وضعية لا عقلية .

ثم ساق عذره : بأنه وإن كان في الحقيقة مقدمة خارجة ، ولكنه لكثرة مباحثه وأقسامه ، وعموم تفاصيله وأحكامه ، وتشعب فروعه ، وقوة نفعه في المطالب البانية قد ارتقى عن أن يجعل مقدمة ، فلهذه الضرورة قد اتخذ أصلاً ادعائياً لاحقياً ، ولا يذهب عليك أن في جعل التشبيه أصلاً ثالثاً من البيان بهذا القدر تكلفاً بارداً أراد السكاكى ترويقه بالمبالغة في العبارة حيث قال هنا : فلا بد من أن نأخذه أصلاً ثالثاً ، مع أنه قال في الأصلين الحقيقيين ، المجاز ، والكناية ، : فلا علينا أن نتخذهما أصليين ، <sup>(٢)</sup> .

والحق أن هذا الحصر لا يستقيم لهم ما داموا يسلمون بأن التشبيه مقصد غير أساسى في البيان ، وأنه وسيلة أو مقدمة لبعض أنواع المجاز ، ولا ينفعهم أن يقولوا : إنه أصل ادعائى .

ويظهر أن السكاكى قد لحظ هذا التناقض ، فاعترف بأنه تكلف هذا الحصر للضبط . <sup>(٣)</sup>

وقد سلك بعضهم في الحصر طرقاً أخرى بعيدة عن تحمل السكاكى ، يصير بها التشبيه ركناً أصيلاً في البيان ، وهى الحقيقة التى لا يصح الامتراء فيها .

(٢) شرح الفوائد الغبائية - ١٩٥

(١) حاشية الرشدى - ٢ - ٥

(٣) المفتاح - ١٧٧



فالطبي يقول : اعتبار المبالغة في إثبات أصل المعنى للشيء . إما على طريق الإلحاق أو الإطلاق ، والثاني إما إطلاق الملزوم على اللازم أو عكسه ، وما يبحث فيه عن الأول : لقتضيه ، وعن الثاني : المجاز ، وعن الثالث : الكناية .  
فانحصر الكلام في الثلاثة .<sup>(١)</sup>

ويقول كالدين البحراني : إن اللفظ إما أن يستعمل في المعنى الموضوع له فهو الحقيقة ، أو فيما له علاقة به بحيث ينتقل الدهن من الموضوع له في الجملة — وهو المسمى عندهم باللازم — وهو إما أن تكون علاقته المشابهة أو غيرها ، فعلى الأول إن كانت معه قرينة تنافي إرادة المعنى الموضوع له كان استعارة وإن لم يكن كان تشبيهاً .

وعلى الثاني أيضاً إن كانت معه تلك القرينة المانعة كان مجازاً مرسلًا ، وإن لم تكن كان كناية .

فأصول البيان أربعة ، فإذا ضممت الاستعارة إلى المجاز المرسل للاشتراك في المجاز صارت ثلاثة .

ويظهر من هذا أن التشبيه أصل حقيق من أصول هذا الفن ، ألا يرى أن له مراتب متفاوتة في الوضوح ، وأن فيه من النكت واللطائف البليانة ما لا يحصى .

وما يقال من أن المقصود الأصلي في التشبيهات هو المعاني الوضعية فقط ليس بشيء ؛ فإن قولك : وجه كالبدر مثلاً لا تريد به ما هو مفهومه وضعا ، بل تريد أن ذلك الوجه في غاية الحسن ونهاية اللطافة ، لكن إرادة هذا لا تنافي إرادة المفهوم الوضعي<sup>(٢)</sup> .

ويقول التفتازاني : إنه لا يلزم أن نظر البلياني مقصور على الدلالات العقلية فقط ، وإنما اللازم ألا يكون في الوضعية وحدها ، بل في العقليات

(١) شرح السيوطي لمنظومته عقود الجمان - ٢ - ٥

(٢) هامش شرح الفوائد الغيانية - ١٩٥

الصرقة، أو في الوضعيات والعقليات جميعاً، لأن إيراد المعنى الواحد بالطرق المختلفة للوضوح يمكن بجميع ذلك بأن يكون الطريق الأوضح غاية الوضوح من الوضعيات وما سواه من العقليات. (١)

ويقول المولى عصام: دلالة التشبيهات من حيث هي: دلالات وضعية لا عقلية... ولكن ليس المقصود الأصلي هو المعاني الوضعية فقط، فإن قولك: وجه كالبدر مثلاً لا تريد به ما هو مفهومه وضعياً، بل تريد ذلك الوجه المتناهي في الحسن، لكن ذلك لا يتنافى إرادة المفهوم الوضعي. (٢)

ويقول ابن يعقوب: إذا قلت وجه كالبدر، فمدلوله المطابق أن الوجه يشبه البدر في الاستدارة والاستنارة، وهو المراد مع إرادة لازمه وهو أنه في نهاية في الحسن... ولصحة أن يراد في التشبيه المعنى المطابق - وهو اتصاف المشبه بوجه الشبه - أو لازمه صح وجود الخفاء والوضوح فيه. مع أنه ليس من الكناية ولا من المجاز بل من المطابقة اتفاقاً.

وعلى هذا ينبغي أن يجعل من الحقيقة أيضاً فهم خواص التراكيب ومناسبتها لمقتضى الحال، فلا يكون من المجاز ولا من الكناية أيضاً.

وكل ذلك مما يقدح في حصر وجود دلالة الخفاء والوضوح في التضمن والالتزام اللتين هما العقليتان، وهما أصل للمجاز والكناية دون المطابقة. (٣)

ويقول الدسوقي: ويمكن أن يقال: إنه - أي التشبيه - باب مستقل لذاته، لأن الاختلاف في وضوح الدلالة وخفائها موجود فيه، فهو من هذا

(١) حاشية المرشدى - ٢ - ٦

(٢) شرح الفوائد الفياضية - ١٩٥

(٣) مواهب اللطائف - ٣ - ٢٨٨



الفن قصداً وإن توقف عليه بعض أبوابه ، لأن توقف بعض الأبواب على بعض لا يوجب كون المتوقف عليه مقدمة للفن <sup>(١)</sup> .

ومن هذه الأقوال المتقدمة نخرج بالتأنيج الآتية :

- ١ - أن الوضوح والخفاء يتأتان بدلالة المطابقة .
- ٢ - ليس دقيقاً مذهب من يقصر الوضوح والخفاء على الدلالة العقلية وحدها .
- ٣ - يدخل التشبيه في البيان دخولا أساسيا ، وهو أصل حقيق فيه لا ادعائي ، كما أنه ليس بمقدمة للاستعارة ولا وسيلة لها .

ويجب أن يكون مفهوما أن هذه : الأحكام جارية على القول المشهور من أن دلالة التشبيه وضعية .

فأما على قول السعد في شرح المفتاح : تشبيهات البلغاء قلبا تخلو من مجازات وكنائيات <sup>(٢)</sup> .

وقول الحموي : والمجاز جنس يشتمل على أنواع كثيرة ؛ كالاستعارة والمبالغة والإرداف والتبديل والتشبيه ، وغير ذلك مما عدل فيه عن الحقيقة الموضوعية للمعنى المراد <sup>(٣)</sup> .

وعلى رأي من يقول : بأن بعضه مجاز وهو المحذوف الأداة ، أو كله مجاز كما يرى ابن الأثير <sup>(٤)</sup> وكما يفهم من قول ابن رشيق في العمدة <sup>(٥)</sup> ، وكانقله ابن

(١) حاشية الدسوقي - ٣ - ٢٩٠

(٢) طراز المجالس للطنطاوي - ٤٨ (٣) خزائن الأدب - ٥٣٢

(٤) لسان السائر - ١٤١ وذكر ذلك في كتابه كثر البلاغة كما نقل ابن السكيت . عروس

الأفراح - ٣ - ٢٩٠

(٥) العمدة - ١ - ١٧٨ و باب المجاز

السبكي عن والده في تفسيره <sup>(١)</sup>، فدخوله في البيان أصالة لا يحتاج إلى بيان .  
ومن هنا نفهم أنه لم يكن معنى لهذا الحصر الذي تكلفه السكاكي وشغل  
به الأذهان والأقلام دون فائدة .

بل لا معنى لإقحام الدلالات في هذا الفن فضلا عن التفرقة بينها في الوضوح  
والخفاء ، لأن ذلك من مقاصد المنطق ، وموضوع البيان - كما يقول العلوي -  
هو الفصاحة والبلاغة ومعرفة أساليبيهما وهما بمعزل عن علم المنطق ، فلا ينبغي  
أن يمزج أحدهما بالآخر لاختلاف حقائقهما <sup>(٢)</sup> .

وأحسب أنهم فطنوا إلى تطفل الدلالات على البيان ، فرأينا السبوطي  
في شرحه لمنظومه عقود الجمان يوجه لنفسه هذا السؤال : ما بالك تكلمت على  
تقسيم الدلالة وذلك من علم المنطق ؟

وقد تبرع بالجواب كما تبرع بالسؤال فقال : قلت : ليست منه بل هذا  
أمر لغوي ، وهم مصرحون بأنه ليس من عملهم ، وأنهم يذكرونه في كتبهم  
لاحتياجهم إليه .

وقد ظهر لنا جليا أنهم ليسوا في حاجة إلى ذلك ، ومن الغريب أن يصدر  
هذا القول ممن يقول : رزقت التبخر في سبعة علوم : التفسير والحديث  
والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب والبلغاء لا على  
طريقة العجم وأهل الفلسفة <sup>(٣)</sup> .

ونحب أن نبين لهذه المناسبة : أن تعرضنا لمبحث الدلالات لا يعني  
اعتقادنا بغنائها فيما نحن بسبيله ، ولكن لنصل إلى مقطع الحق في هذا الجدل  
الذي استحرّ بينهم في موضوع الخفاء والوضوح بلا طائل ، ثم لنصل بعد  
ذلك إلى رفع الضيم عن التشبيه الذي كادوا يقطعون نسبه عن البيان أو ينزلونه  
منه منزلة الواو من عمرو ، وهو عمدة هذا الفن وركنه الركين !

(٢) الطراز - ١ - ٣٧٠

(١) عروض الأفراح - ٣ - ٢٩٠

(٣) حسن المحاضرة - ١ - ١٥٥



وإلا فنحن مع الأستاذ أمين الخولى بك : فى أن مقدمة الدلالات  
مقحمة بين يدى علم البيان، وأنها مقدمة منطقية لا ينفع عليها فى إدراك صور  
البيان التعبيرية ولا يضر جهلها ، بل تضر معرفتها حين تصرف عن تحرير  
المنهج<sup>(١)</sup>.

ومع هذا لم يكن من الضرورى أن يتقيدوا بهذا التعريف الذى حل  
فى تضاعفه هذا البحث النظرى المجذب ، فقد كان فى الإمكان أن يقولوا  
فى تعريف البيان : هو العلم الذى يعرف به أسرار التراكيب المختلفة ، أو العلم  
بجواهر الكلمة المفردة والمركبة كما عرفه العلوى<sup>(٢)</sup>.

---

(١) فى القولى — ١٩٥

(٢) الطراز — ١ — ١٩٤

## الفصل الثالث

### حد التشبيه

#### التشبيه في اللغة .

معنى التشبيه في اللغة : التمثيل ، تقول : شبهته إياه وشبهته به تشبيها : مثله <sup>(١)</sup> فاللغة — كما رأينا — لا تفرق بين التشبيه والتمثيل .

وقد تعلق ابن الأثير بهذا النص اللغوي فعاب على البلغاء هذه التفرقة فتراه يقول : وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل ، وجعلوا لهذا باباً مفرداً ولهذا باباً مفرداً ، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع ، يقال : شبهت هذا الشيء بهذا الشيء كما يقال : مثله به ، وما أعلم كيف غنى ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه . <sup>(٢)</sup>

وما عابه ابن الأثير ليس بعيب ، واتحاد التشبيه والتمثيل في أصل الوضع لا يخفى على العلماء ، ولكن المعروف أنه يوجد فرق دائماً بين العرف اللغوي والاصطلاحى .

والزحشرى لا يفرق بينهما كذلك ، فالتشبيه عنده مرادف للتمثيل <sup>(٣)</sup> . ويرى عبد القاهر : أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه ، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً ، وكل ما لا يصح أن يسمى تمثيلاً فلفظ المثل لا يستعمل فيه أيضاً <sup>(٤)</sup> .

(٢) النمل السائر — ١٠٣

(٤) أُمُرُ الْبَلَاغَةِ — ٧٣

(١) القاموس المحيى والصنعاج .

(٣) حاشية الرشدى — ٢٧



والتشبيه اللغوي - ويسمى المعنوي أيضا - يشمل التجريد<sup>(١)</sup>، والاستعارة التصريحية التحقيقية بلاخلاف، والمكني عنها على مذهب الجمهور، والتخييلية على مذهب السكاكي، لأن كلا منها مبني على التشبيه، والتشبيه أصل له.

### التشبيه في الاصطلاح

وقد وردت له في الاصطلاح عدة تعريفات تختلف في وضوحها ودقتها وشمولها:

فعند العسكري: هو الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب<sup>(٢)</sup>.

وعند عبد القاهر أن يثبت لهذا معنى من معاني ذلك أو حكما من أحكامه كإثباتك للرجل شجاعة الأسد، وللحجة حكم النور في أنك تفصل بها بين الحق والباطل كما تفصل بالنور بين الأشياء<sup>(٣)</sup>.

وعند ابن الأثير: أن يثبت للتشبيه حكم من أحكام المشبه به<sup>(٤)</sup>.

وعند السكاكي: وصف الشيء بمشاركته المشبه به في أمر<sup>(٥)</sup>.

وعند الرماني: هو العقد على أن أحد الشئين يسد مسد الآخر في حال<sup>(٦)</sup>.

وعند التتوخي: هو الإخبار بالشيء، وهو اشتراك الشئين في صفة أو أكثر<sup>(٧)</sup>.

(١) التجريد أن يكون المشبه مذكورا أو مقدرا، ولا يكون اسم التشبيه خورا للمشبه ولا في حكم الخبر مع حذف أداة التشبيه نحو لقيت من زيد أسداً؛ فأنت في الأصل شبهت زيدا بالأسد ثم بالغت في زيد فانتزعت منه الأسد.

والتشبيه هنا ضمني ولا يسمى تشبيها اصطلاحيا وهو الأخرى إذ لم يذكر الطرفان على وجه ينبي عن التشبيه، وقيل: إنه تشبيه حقيقة لذكر الطرفين فيمكن التحويل فيهما إلى هيئة التشبيه لولا قصد التجريد، وهو رأي السكاكي.

وقد يقال: إن الخلاف يفتي راجع إلى الاصطلاح كما قال الخليلي

(٢) الصنائع - ٢٢٦ (٣) أمبرار البلاغة - ٦٣ - ٦٤

(٤) اللؤلؤ السائر - ١٦٣ (٥) مفتاح العلوم - ١٧٧

(٦) خزانة الأدب للعموي - ٢١٦ (٧) الأقوي القريب - ٤١

وعند الخطيب : الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى <sup>(١)</sup> .  
وعند ابن رشيق : صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة  
أو جهات كثيرة <sup>(٢)</sup> .  
وعند المطرزي والحلي : الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من  
أوصاف الشيء الواحد في نفسه <sup>(٣)</sup> .  
وعند الوطواط : أن يشبه الكاتب أو الشاعر شيئاً بشيء آخر في صفة  
من صفاته <sup>(٤)</sup> .  
وعند آخر : إلحاق أدنى الشئين بأعلماهما في صفة اشتراكا في أصلها .  
واختلفا في كفيتهما قوة وضعفا .  
وفي هذا التعريف الأخير يقول الحموي : وهذا حد مفيد <sup>(٥)</sup> .  
ويلاحظ أن هذه الحدود جميعاً تتفق في الجوهر ، وهو اتفاق المشبه  
والمشبه به في وصف يجمعهما .  
ولكن يلاحظ كذلك أنها ليست دقيقة ، فمثلا تعريف الخطيب - وهو  
أشملها - اعترض عليه بأنه لا يمنع من دخول نحو : قاتل زيد عمرا ، وجاء في  
زيد وعمرو ، بما جمع فيه بصيغة المشاركة أو واو العطف .  
ولا يعد مثل ذلك من التشبيه لخلوه من الوصف الجامع بين الطرفين .  
مع أن الخطيب من مدرسة السكاكي المشهورة بمجودة الضبط والتقسيم  
ودقة التعريف .  
وقد انبرى العلوي لتعريف المطرزي السابق فزيفه ، كما أورد تعريفا

(١) الإيضاح - ١٥٢ - النسخ - ٢٣٠ - طبع البرقوقي \*

(٢) القمعة - ١ - ١٥٤ (٣) الصراز - ١ - ٢٦٢ - حسن التوسلي - ١٣

(٤) حدائق الشعر للوطواط - ١٣٨ - ترجمة الدكتور الشواربي \*

(٥) خزنة الأدب - ٢١٦



آخر لعبد الكريم السعدي ذكره في كتابه « التبيان » وهو : أنه ركن من أركان البلاغة ، لإخراجه الخفي إلى الجلي ، وإدناؤه البعيد من القريب . فعابه بأنه تعريف بالفائدة والمقصود ، لا لبيان الماهية .

ثم اختار هذا التعريف الذي وضعه بنفسه ، وهو : أنه الجمع بين الشئين أو الأشياء بمعنى ما بواسطة الكاف ونحوها .

وقد حلل العلوي تعريفه هذا ليقفنا على مزاياه التي انفرد بها .

فقوله : « هو الجمع بين الشئين » ، ليدخل فيه التشبيه المفرد مثل زيد كالأسد .

وقوله : « أو الأشياء » ، ليدخل فيه التشبيه المركب على اختلاف أوصافه

ومراتبه .

وقوله « بمعنى ما » ، عام لجميع الأوصاف كلها العقلية والحسية ، المفردة

والمركبة .

وقوله « بواسطة الكاف » ، يخرج العطف ، لأنه جمع بين شئين أو أشياء

لكن بغير الكاف .

ويخرج منه مضمرة الأداة كقولنا : زيد أسد .

فإنه ليس من التشبيه<sup>(١)</sup> .

ثم غرر بوقوعه على هذا التعريف الصحيح في نظره — وهي عادة اقتبسها

من ابن الأثير — فقال : هكذا يكون تعريفه بما ذكرناه ، ولقد حاس من أسلفنا

ذكره في تعريف التشبيه حول ما قررناه ، فما وقع ، وصاصاً فما فتح<sup>(٢)</sup> .

ومن حق من أراد ماهية من الماهيات أن يورد في حدها أخص أوصافها

وأن يصونها عن النقوص<sup>(٣)</sup> .

وأصرح بأنه لم يحل في نفس كل ما تقدم من التعريفات .

(١) هذا رأي لبعضهم .

(٢) صاصاً الحرو : إذا التمس الأثر قبل أن يفتح عينه . وفتح يشديد الفاء : إذا

فتح عينه ، وقد ضرب ذلك مثلاً لمن طلب شيئاً ولم يلقه .

(٣) الطراز - ١ - ٢٦٢ - ٢٦٤

وأصرح بأنه لم يحلّ في نفسى كل ما تقدم من التعريفات ،  
والتعريف الذى نخر العلوى باختراعه ، لعله أن يكون أكثرها ثقلاً  
وتكلفاً ، وأحسب أن السر فى ذلك محاولته أن يجعله جامعاً مانعاً ليبتدئ  
السلف ، ويتعب الخلف ، فزلت به القدم ، وعند التحقق الزلل !  
وقد عثرت على تعريف للتشبيه فى بعض كتب اللغة ، هو عندى أخف  
وأغذب وأكمل من هذه التشبيهات المأثورة ، وهذا من النوادر التى يفوق  
فيها نظر اللغوى نظر الاصطلاحى فى الدقة والضبط والشمول ، وهو : شبهت  
الشيء بالشيء : أقمت مقامه بصفة جامعة بينهما (١) .

---

(١) المصباح المنير مادة و شبه .



## الفصل الرابع

### التشبيه عند القدماء

لم يعن القدماء بتحديد التشبيه حداً يضبطه كما فعل المتأخرون ، وإن كنا نستطيع أن نستخلص له حدوداً جيدة من ثانياً أقوالهم فيه .

فالجاحظ أغفل تعريف التشبيه ، ولكن رأيناه من جهة أخرى يسدّد إليه نظرات نافذة تناول كثيراً من مناحيه ، وتلقى ضوءاً على جملة من قضاياها مما أعان المتأخرين على تصور مفهومه وضبطه ، ووضع القواعد الثابتة له . بل إن كثيراً مما قرره الجاحظ لم يستطيعوا الزيادة عليه .

فمن ذلك إدراكه :

١ - أن التشبيه في جميع أحواله يفيد الغيرية لا العينية .

فهو يقرر : أنه قد يكون في الشيء بعض الشبه من شيء ، ولا يكون

ذلك مخرجاً لها من أحكامهما وحدودهما ؛ فالإنسان يشبه بالقمر والشمس والفيث والبحر والأسد والسيف والحية والنجم في حال المدح ، ولا يخرجونها بهذه المعاني إلى حد الإنسان .

وإذا ذموا قالوا : هو الكلب والخنزير والفرد والحمار والثور والئيس

والذئب والعقرب والجعل ، ولا يدخلون هذه الأشياء في حدود الناس ولا أسمائهم ، ولا يخرجون بذلك الإنسان إلى هذه الحدود وهذه الأسماء .

وسموا الجارية غزالاً وخشفاً<sup>(١)</sup> ومهرة وفاخنة<sup>(٢)</sup> وزهرة وقضياً

وخيزراناً على ذلك المعنى .

(١) الخشف : ولد الغلبة الصغير . (٢) الفاخنة : صرب من الحمام .

وصنعوا مثل ذلك بالبروج والكواكب ، فذكروا الأسد والثور  
والحمل والجدى والعقرب والحوت والسفلة والميزان وغيرها .  
وقد روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قوله : « نعمت العمة  
لكم النخلة » .

وهذا الكلام صحيح المعنى لا يعيبه إلا من يجهل مجاز الكلام <sup>(١)</sup> .

٢ - وجه التشبه يكتب في بآن يكون وصفاً يجمع بين الطرفين ، فلا  
ينظر إليه على جهة الاستيعاب ؛ فالسور يشبه بالأسد في الصورة والأعضاء  
والنوب والنخلع في المشي لاني اللون ، لأن في السنابير ، السود والنمر  
والباقي والخارجية ، وليس في ألوان الأسد من ذلك شيء إلا في الندرة .  
وإذا سموا امرأة : خنساء ، فليس الخنس والفطس يريدون ، بل كأنهم  
قالوا : مهابة وظبية <sup>(٢)</sup> .

٣ - عند عقد التشبيه يتجه الخاطر إلى الصفة البارزة في المشبه به ،  
فليس الطاوس بأحسن من الإنسان ، ولا الفرس الرائع ، ولا البازي في  
حسن تركيبه وتنشبه ، ولا الديك في عامة صفاته ، وإنما ذهبوا من حسنه إلى  
حسن ريشه وتلاوينه <sup>(٣)</sup> .

٤ - قد يشبه الشيء بشيء آخر من جهتين مختلفتين ، فالعرب يقولون :  
ما هو إلا شيطان يريدون القبح ، وما هو إلا شيطان ؛ يريدون القطة وشدة  
للعارضة ، أو على معنى الشهامة والنفاذ <sup>(٤)</sup> .

٥ - أورد كثير من التشبيهات المأثورة عن العرب <sup>(٥)</sup> ، كتشبيه الرجل

(١) الحيوان - ١ - ٩٩ - ٢ ط . السامي .

(٢) المصدر السابق - ٥ - ٨٤ - ٢ - ١٢٨ (٣) المصدر السابق - ٢ - ٨٢ .

(٤) المصدر السابق - ١ - ١٤٥ - ٥ - ٣٥ .

(٥) المصدر السابق - ٤ - ١١٠ - ٢ - ١١٠ .



بالبيضة ، والأبكار بيض النعام ، والغيوم بصور النعام <sup>(١)</sup> .  
قال الشاعر :

كأن الرباب دَوَّين السحاب      نعام تعلق بالأرجل  
وقال الأعشى :

مثل النعام معلق لمارقا ودنا ربابه  
وتشبيه الشراب ، والوجه المشرق ، والنشء الأحمر : بالنار .  
وتشبيه الزجاج : بالماء في الفيافي .

وتشبيه المرأة الحديدية الطرف والدهن ، السريعة الحركة ، الممشوقة  
المحضنة : بالسُعلاة .

وتشبيه البنان إذا كانت مطرقة ، بينات النقا والأساريع والعنم .  
وصاحب البلاغة من العامة يقول : كأن بناتها الياح والدراج <sup>(٢)</sup> .  
وتشبه أيضا بالدمقس <sup>(٣)</sup> .

(١) كانت العرب ترى في الغيوم صوراً كالنعام والذوق وما أشبه ذلك .  
ومن هذا قول أبي تمام يشبهها بالنجاب :  
نجاب وليس من نجيب      شبائب الأعناق بالمعجوب  
والمعجوب : الأذئاب جمع نجيب فتفتح فسكون .  
أي هي نوق غير متولدة من خل ، وتشبه أعناقها أذانبها .  
وقول أبي حفص بن برد :

ويوم تفك في طيبه	وجاءت موافقته بالمعجب
نجدلى الصياح به عن حيا	يصوب وعن زهر قد شرب
وما زلت أحسب فيه السحاب	وقار بوارقها تفتيب
بخسائي فوضع في سبرها	وقد فزعت بسياط الذهب

وقول شوق :

ونرى الفضاء كخالط من مرمر      تضدت عليه بدائم الألواح  
القيم فيه كالنعام بدينة      بركت وأخرى خلقت بخضاع  
(٢) الياح كككتاب وكتمان : نوع من السمك ، والفراج كرمال : طائر .  
(٣) الحيوان - ٦ - ١١٩ .

٦ — ذكر ألوانا من التشبيهات النادرة المبسكرة ، كقول امرئ القيس <sup>(١)</sup> :

له أبطالا ظبي وساقا نعاما وإرخاء سرحان وتقريب تفل  
وقوله في تشبيه شيتين بشيتين في حالين مختلفتين في بيت واحد :  
كأن قلوب الطير رطبا وباسا لدى وكرها العناب والحشف البالي  
وقول بشار :

كأنما النقع فوق رؤوسهم سقف كواكب البيض المبائر

٧ — وردت له نحات فنية دقيقة في نقد التشبيه ، كما في قول أبي نواس

يصف داراً وقف فيها : <sup>(٢)</sup> المربى بالرحم كمنسب  
كأنها إذ خرس جارم بين كوى تفسده مطرق الصخر

فذكر : أنه لا يقول أحد : لقد سكت هذا الحجر كأنه إنسان ساكت ،  
ولأنما يوصف خرس الإنسان بخرس الدار ، ويشبه صمم الصخر .  
وهو في هذا يقرر ضمناً : أن وجه التشبه في المشبه به يجب أن يكون  
أظهر وأكمل منه في المشبه .

فإن كان أبو نواس أراد القلب فهو يقرر أيضاً : أنه ليس كل تشبيه يحسن  
فيه القلب ، وأن لذلك شروطاً يجب أن تتحقق ، كما به عليه البلاغ من  
بعده بأجبال .

وذكر ما عابوا به أبا نواس في قوله يصف الأسد :

كأنما عينه إذا التبت بارزة الجفن عين مخنوق  
وهم يصفون عين الأسد بالغثور <sup>(٣)</sup> .

٨ — أدرك بذوقه اللطيف وفطنته اللاقية أشياء خفيت على أهل عصره ،  
مثل عدم ملاحظتهم الوصف الجامع بين طرفي التشبيه في قوله — تعالى — :

(١) الحيوان — ٣ — ١٥ — ٣٩ (٢) المصدر السابق — ٤ — ١٤٦



« واثق عليهم نيا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من  
الغافرين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض وأتبع هواه فمثل كمثل  
الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا »  
فقد زعم المعارضون . أن هذا المثل لا يجوز ؛ فإشبهه حال من أعطى  
شيئا فلم يقبله ويذكر غير ذلك ، بالكلب الذي إن حملت عليه نبح وولى  
ذاهبا ، وإن تركته شد عليك ونبح ، مع أن قوله : يلهث لم يقع في موضعه ،  
وإنما يلهث الكلب من عطش شديد ، وحر شديد ، ومن تعب ، وأما النباح  
والصياح فمن شيء آخر .

وقد رد الجاحظ بقوله : . . . ليس يبعد أن يشبه الذي أوتى الآيات  
والأعاجيب والبرهانات والكرامات في بدء حرصه عليها وطلبه لها ، بالكلب  
في حرصه وطلبه ؛ فإن الكلب يعطى الجدة والجهد من نفسه في كل حالة من  
الحالات ، وشبه رفضه وقذفه بها من يديه ورده لها بعد الحرص عليها وفرط  
الرغبة فيها ، بالكلب إذا رجع ينبع بعد إطرادك له ، وواجب أن يكون  
رفض قبول الأشياء الخطيرة النفيسة في وزن طلبها والحرص عليها ، والكلب  
إذا أتعب نفسه في شدة النباح مقبلا إليك ومدبرا عنك ، لهث واعتراه  
ما يعتريه عند التعب والعطش ، وعلى أننا نرى بأبصارنا إلى كلابنا —  
وهي رابضة وادعة — إلا وهي تلهث من غير أن تسكون هناك إلا حرارة  
أجوافها ، والذي طبعت عليه من شأنها ، إلا أن لهث الكلب يختلف بالشدة  
واللين <sup>(١)</sup> .

وفطن كذلك إلى التشبيه الوهمي ، كما في قول امرئ القيس .  
أبقتاني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال  
فقد علق على قوله — تعالى — : « إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم  
طلعها كأنه رموس الشياطين » ، بأنه <sup>(٢)</sup> ليس أن الناس رأوا شيطانا قط على

(١) الحيوان ج ٢ ص ٦ - ٧ - ٨ . (٢) المصدر السابق - ٤ - ١٣ .

صورة . ولكن لما كان الله قد جعل في طباع جميع الأمم استقباح صور الشياطين واستسماجها وكراهتها ، وأجرى على ألسنة جميعهم ضرب المثل في ذلك ، رجع بالإيحاء والتفير وبالإخافة والتقريع إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والآخرين ، وعند جميع الأمم على اختلاف طبائع جميع الأمم .

ثم يقول وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين : أن رموس الشياطين نبات ينبت باليمن .

ومن ذلك رده على من لم يفهم مبلغ العلاقة بين طرفي التشبيه في قول حصان — ض — :

لعمرك إن إلك من قريش كإل الفيل من رأل النعام<sup>(١)</sup>  
فقد غاب عليه هذا البيت ناس ، وظنوا أنه أراد التبعيد ؛ فذكر شيئين قد يتشابهان من وجوه .

وحصان لم يرد هذا ، وإنما أراد ضعف نسبه في قريش ، وأنه حين وجد أدنى نسب اتحل ذلك النسب<sup>(٢)</sup> .

٩ — أشار إلى سرقة التشبيهات ؛ فذكر ما روى عن يونس : أن قولي جرير :

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيالا تشد عليهم ورجالا

(١) إل بالسكسر : الرحم والقراية ، والرأل بوزن نأى : ولد النعام ، والمعنى أنه دعى وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢١٢ :

وأشهد أن إلك من قريش كإل السبق من ولد النعام والسبق كسقف : ولد الناقة المذكور .

وفي رواية : كإل السبق من رأل النعام

وقد أخذ ابن مفرغ فقال في معاوية :

فأشهد أن رحمتك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان

والأتان : الخمار . (٢) الحيوان — ٤ — ١١٧



مأخوذ من قول الله تعالى : — يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو —<sup>(١)</sup>  
وتكلم المبرد على التشبيه في إفاضة تمثلا لأنواع المصيب منه في أشعار  
القدامى والمحدثين ، مبتدئا بامرئ القيس ، ولعله كان قدوة لابن المعتز في ذلك .  
ولم يكتف بالمبرد بل حلل كثيرا من الأمثلة تحليلا يعتمد على الذوق  
والحاسة الفنية ، وقرر في بيان ناصع ما أثبتته الجاحظ : من أن التشابه يقع في  
بعض الصفات لا كلها ، فقال <sup>(٢)</sup> : وأعلم أن التشبه حدا ، فالأشياء تشابه من  
وجود وتباين من وجوه ، فإنما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع .  
فإذا شُبه بالشمس فإنما يراد الضياء والرواق ، ولا يراد العظم والإحراق  
قال الله — جل وعز — : كأنهم بيض مكنون ،

ويقول : والعرب تشبه النساء ببيض النعام : تريد نقامه ونعمته لونه<sup>(٣)</sup>  
ويقول : والعرب تشبه المرأة بالشمس والقمر والغصن والغزال والبقرة  
الوحشية والسحابة البيضاء والدررة والبيضة .  
وإنما تقصد من كل شيء إلى شيء<sup>(٤)</sup> .

وقال في الآية الكريمة : طلعتها كأنه رموس الشياطين ، قد اعترض معترض  
من الجهة الملحدين في هذه الآية ، فقال : إنما يمثل للغائب بالحاضر ، ورموس  
الشياطين لم نرها فكيف يقع التمثيل بها ؟

(١) الحيوان — ٥ — ٢٥

(٢) السكامل المبرد و شرح المصنف ٢ — ٦ — ١٧٨

(٣) النعمة بفتح النون المشددة : اسم للنعم والنعمه .

وقد أنكر المصنف على المبرد إضافتها لقول ، لأنه لا يوصف بها ، وكان الأجود أن  
يقول : في صفاء لونه . رغبة الأمل — ٦ — ١٧٨

ولا بأس به عندى على معنى أنه لون حتى جديد غير شاحب ولا فاصل ؛ وقد جاء في  
وصف جارية : كأنها جلن ، وكأنها خوط بان ، وكأنها جدل عنان ، وكأنها الياصمين

وبياضا . الحيوان — ٦ — ٨٢

فوصف الياصمين بالنعم .

(٤) السكامل المبرد و شرح المصنف ٢ — ٦ — ١٨٠

وقد أجاب على ذلك : بأنه قد جاء تفسير الآية في ضربين :

١ - أحدهما : أن شجرا يقال له : الأستن ، على وزن خردل ، منكر الصورة يقال نمره : روس الشياطين .

والقول الآخر - وهو الذي يسبق إلى القلب - : أن الله - جل ذكره - : صنع صورة الشياطين في قلوب العباد ، وكان ذلك أبلغ من المعاينة ، ثم مثل هذه الشجرة بما تنفر منه كل نفس <sup>(١)</sup> .

وعقد ابن المعتز بابا سماه : حسن التشبيه ، <sup>(٢)</sup> ، عرض فيه أمثالا كثيرة للتشبيهات الرائعة البديعة لجماعة من الشعراء القدماء والمحدثين مبتدئا بامرئ القيس أيضا كما ابتدأ المبرد .

ولكنه اكتفى - بالسرد - بالإشارة المجملة إلى أنها حسنة أو عجيبة - عن تحليلها وبيان موطن الجمال فيها .

وقدامة في نقد الشعر ، <sup>(٣)</sup> شرح معنى التشبيه ، وذكر وصفه الذي يزيد به حسنا ، مع التدليل على ذلك بالأمثلة المستجادة .

ونه على أن الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات ، لأن التشابه من جميع الوجوه اتحاد .

وخرج من ذلك على أن التشبيه إنما يقع بين شيئين يشتركان في معان تعمهما ويوصفان بها ، ويفترقان في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها . <sup>(٤)</sup>

وأن التشبيه يقاس حسنه بقدر كثرة الصفات التي يشترك فيها الشيئان حتى يقربا من الاتحاد .

وفي نقد النثر <sup>(٥)</sup> ، بين منزلته من الكلام العربي وقيمه في نفوس العرب

وعرض للرابطة بين لطافة المشبه في تشبيهه وحذقة بالشعر .

(١) الكامل للمبرد \* شرح الرصافي ٢ - ٦ - ٢٣٩

(٢) البديع - ١٢١ \* طبع الأستاذ خفاجي \*

(٣) نقد الشعر - ٦٥ - ٦٧

(٤) نقد النثر - ٥٨ - ٥٩ \* ط \* وزارة المعارف \*



ثم قسمه بعد ذلك إلى قسمين :

١ - تشبيه حسي يتناول الأشياء في ظواهرها وألوانها وأقذارها .

٢ - تشبيه معنوي .

ومثل لسلك منهما من النثر والشعر .

ومن السهل علينا أن نستنبط من هذه القواعد والأصول التي وردت في أقوال القدامى ، وبخاصة الجاحظ والمبرد وقدامة تعريفاً صائباً للتشبيه .

ولا خلاف أن بلغاء الأدباء - وإن لم يعدوا التشبيه - فإنهم قد كشفوا عن مزاياه وخصائصه ، وبلغ الصلة بين طرفيه ، وموضع الحسن والقبح فيه ، فهدوا السبيل للخلف في بنائه على قواعد محكمة وأسس متينة . ولعل أبا هلال أول بليغ تصدى لتعريف التشبيه على الطريقة الاصطلاحية ، وكتب عنه كتابة مفصلة منظمة تقوم على بحث ودرس وتقص ، ويسودها التقنين والتقسيم والنقد الفنى .



# الفصل الخامس

## التشبيه من الخصائص الطبيعية

التشبيه لون من ألوان التعبير امتاز الأنيق ، تعتمد إليه النفوس بالفطرة حين تسوقها الدواعي إليه ، سواء في ذلك العرب والعجم ، والخاصة والعامية ، والبلدي والقروي ، والحضري والبدوي ، والعالم والجاهل ، والذكي والغبي .

فهو من الصور البيانية التي لا تختص بجنس ولا لغة ؛ لأنه من الهبات الإنسانية ، والخصائص الفطرية ، والتراث المشاع بين الأنواع البشرية جميعاً . ذلك لأن أساسه هذه الصفات المشتركة أو المتشابهة أو المتضادة التي يراها الإنسان في الأشياء ، ويترتب على ذلك استماعته استعمال الألفاظ بعضها مكان بعض تجوزاً .

ومن يلق سمعه إلى الحشرة والدسماء ممن لم يؤثروا نصيباً من العلم والآداب والثقافة ، يجد كثيراً من التشبيهات تسقط في كلامهم بلا كلفة ولا عناء ، كتشبيههم القوطة ، بالجواهر ، والملوخية بأوراق العنب ، والكلام الحسن باللوز والملمن ، وسواد القلب بالليل ، والطبع الحاد بالنار ، والشئ الناعم بالحرير والخشن بالليف ، والخفيف بريش النعام ، والثقيل بالحجارة والرصاص ، والصبيسة اللطيفة بالقطة ، والبضة بالبطة ، والسمينة بالدبة ، والطويل بالنبخلة والنحيل بالعصا ، والخبيث بالنمس ، والوجه المجذور بالغبال ، والآنف الجميل بحد السيف والبلحة ، والدميم بالضفدعة ، والعيون المليحة بعيون الغزلان ، إلى غير ذلك .

وهم يلتقون مع الخاصة في كثير من التشبيهات ، كتشبيه الشجاع بالأسد ،



والوجه الجميل بالقمر ، والقدر المعتدل بالغصن ، والثدي الواحد بالرمضان ،  
والحد بالتفاح والورد .

بل يلتقون معهم أحيانا في تشبيهات تحتاج إلى دقة نظر ؛ كتشبيه الفم  
بالخاتم ، أو خاتم سليمان كما يقولون .  
فالحريري يقول :

سألها حين زارت فوضو برقعها التقاني م وإبداع سمعي أطيب الخبر<sup>(١)</sup>  
فوحزحت شققا غشي سنا قر وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر  
والمتنبي يقول<sup>(٢)</sup> :

لاعبت بالخاتم إنسانة كمثل بدر في الدجى الناجم<sup>(٣)</sup>  
وكلمنا حاولت أخذني له من البنان المترف الناعم  
ألقته في فيها فقلت انظروا قد أخفت الخاتم في الخاتم  
وقول كشاجم :

فما أنسا لا أنس منها إشارة بسبابة اليمنى إلى خاتم النعم  
وكتشبيهم الرقة بكوز الفضة ، والخاصة يقولون : إبريق الفضة .  
وكتشبيهم الساق بجمار النخ ، والمأثور عن العرب قولهم : الجمر  
في كبدي والجمار في خلاخلهن .

وبعض العصريين يقول :

هذه السيقان جما ر ذكا في القلب جمرأ  
وقد تقع لهم تشبيهات غاية في الإيجاز وإصابة الغرض وعمق المعنى ،

(١) نفا الفدى : خلعها .

(٢) حكى الصديقي في شرح لامية العجم : أن ابن السنيكفي اجتمع بالمتنبي في مصر  
وروى عنه هذه الأبيات . العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب - ٢ - ٦٤٠ للشاعر  
إبراهيم ناصيف اليازجي .

(٣) الداجم : الطالع .

كقولهم فيمن لا يرجي نفعه ولا يؤمل خيره : إنه كعظم السمك لا يتضغ ولا يمتص .

إلى غير ذلك مما يعز حصره ، ولا يفرق بينه وبين تشبيهات الصفوة المثقفة إلا بأن القسم الأول ساذج ، سهل المأق ، قريب الغور ، سوى اللفظ والآخر مصقول الكلمات ، طلي العبارة ، دقيق المعنى ، كثير الماء والرواق غنى بالظلال والألوان والتحاسين ؛ لأنه نتاج عقل حصيف مهذب ، ووثبة خيال واسع خصيب

فتشبيه الألفاظ بالماء في السلاسة ، والنسيم في الرقة ، والعسل في الحلاوة قد تجده في كلام العاصي ، فأما ما كان مذهبه في اللطف مذهب قولهم : هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها . فلا تراه إلا في الآداب والحكم الماثورة عن الفضلاء وذوى العقول الكاملة<sup>(١)</sup> .

ولقاتل أن يقول . إن التشبيه أقدم صور البيان ؛ إذ هو مبني على ما تلححه النفس من اشتراك بعض الأشياء في وصف خاص يربط بينها . ولهذا يقول سيرمان ، العالم النفسى الإنجليزى : إن الأساس النفسى الذى يقوم عليه التشبيه وغيره من الأساليب البيانية من حيث تأليفها وإدراكها وتقديرها ، هو فى الواقع عملية أساسية فى التفكير ؛ تلك هى ما بين بعض الأشياء وبعض من تشابه وعلاقات<sup>(٢)</sup> .

فالتشبيه فى حقيقة أمره ، قياس والقياس - كما يقول عبد القاهر : يجرى فيها نعيه القلوب وتدركه العقول ، وتستفتى فيه الأفهام والأذهان ، لا الأسماع والأذان<sup>(٣)</sup> .

(١) أسرار البلاغة ٦٨ - ٧٠

(٢) دراسات فى علم النفس الأدبى للاستاذ حامد عبد القادر - ٤٩

(٣) أسرار البلاغة - ١٤



وإذن فليس بمستغرب على إنسان مهما قل حظه من العلم أن يقيس بعض الأشياء إلى بعض ، ويحكم عليها بالنشابه على ما توافى منها على معنى أو أكثر . بل إن الطفل لا يتعاضده أن يدرك العلاقة بين الأشياء المختلفة ، فيقيس بعضها إلى بعض ، فهو يمش إلى الثدي الصناعي ويبادر إلى التقامه ، لأنه قاسه إلى الثدي الطبيعي فصح عنده أنه يشبهه .

وقد فطن أهل الجاهلية إلى هذا المعنى من زمن بعيد . فقد ذكر بعض اللغويين : أن اسم امرئ القيس : مُحنّج ، وأن امرأ القيس لقب له . وأنه لقب به لجماله ، لأن الناس قيسوا إليه في زمانه فكان أفضلهم <sup>(١)</sup> . وقايس النابغة في شعره فأحسن ، وذلك حيث يقول للنعمان حين فارقته إلى الغساسنة .

ولكنني كنت امرأ إلى جانب من الأرض فيه مُستراد ومذهب ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم أحكم في أموالهم وأقرب كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم في فعل ذلك أذنبوا <sup>(٢)</sup> يقول : اجعلني كقوم صاروا إليك وكانوا مع غيرك فاصنعهم وأحسن إليهم ولم ترهم مذنبين إذ فارقوا من كانوا معه . ثم يقول : فإني مثلهم صرت عنك إلى غيرك . فاصطنع إلى فلا تر مذنباً إذ لم تر أولئك مذنبين <sup>(٣)</sup> .

وأوجز من ذلك قول أبي هلال العسكري : لا تلمني على شكري وقد أحسنوا إلى إذ لجأت إليهم وإن كانوا أعداءك ، كما أحسنوا إلى قوم فشكروك عند أعدائك ، فقد أحسنوا ولم يذنبوا <sup>(٤)</sup> .

(١) خزائن الأدب للبغدادي - ١ - ٢٩٩ ط . المكتبة السلفية ط

(٢) في ديوان الماتى - ١ - ١٦ : كككك في قوم أراك اصطنعتهم .

(٣) مختار الشعر الجاهلي ط شرح الأستاذ مصطفى السقا ط - ٢ - ١٢٧

(٤) ديوان الماتى - ١ - ١٦

وقد جاء القياس بمعنى التشبيه صراحة في قول بعض الشعراء :  
 عبت النسيم بقمده فتأودا      وسرى الحيام بخده فتوردا  
 رشاً تفرد فيه قلبي بالهوى      لما غدا بحمالة متفردا  
 قاسوه بالغصن الرطيب جهالة      تالله قد ظم المشبه واعتدى  
 حسن الغصون إذا اكتست أوراقها      وتراه أحسن ما يكون مجردا  
 ومن هنا انفسحت آفاق التشبيه ، وتعددت قوالبه ، وتشعبت فروعها ،  
 وكثر في كلام العرب كثرة لفتت إليه الأنظار ، فسمعنا المبرد يقول :  
 والتشبيه جار كثير في كلام العرب ، حتى لو قال قائل : هو أكثر كلامهم  
 لم يعد .

ويقول : والتشبيه . من أكثر كلام الناس .  
 ويقول : والتشبيه كثير ، وهو باب كأنه لا آخر له <sup>(١)</sup> .



## الفصل السادس

### منزلة التشبيه من البلاغة

لم يقصر علماء البلاغة في بيان منزلة التشبيه ، وما له من أثر في رفع شأن الكلام ، وخلق أشعة البهاء عليه ، وإلباسه رَوْع الإعجاب ، وتمهيد طريق معبد له في ثنايا النفوس ، وفتح باب القبول أمامه في أطواء الصدور ، فإنه أشبه شيء بوسائل الإيضاح ونماذج الدروس التي تسبق الشرح أو يعقب بها عليه ، فتدلل ما عسى أن يكون من عسر في الفهم ، وتثبت معانيها في الذهن . هذا إلى خلاصة البيان التي تنبعث منه انبعاث أشعة السحر وانفثون من العيون النجل ، فتفعل فعلها العجيب بالقلوب ، فتصرفها كأنشاء بسطاً وقبضاً ، ورغبة ورهبة ، ومحبة وبغضة ، وتقودها إلى ما تهوى بزمام سلس وعنان لين يقول قدامة : . . . وأما التشبيه فهو من أشرف كلام العرب ، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم ، وكلها كان المشبه والكسر منهم في تشبيهه اللطف كان بالشعر أعرف ، وكلما كان بالمعنى أسبق كان بالحدق أليق <sup>(١)</sup> . ويقول العسكري : وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كل جيل ما يستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل لسان <sup>(٢)</sup> . ويقول ابن قتيبة <sup>(٣)</sup> : وليس كل شعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى ، ولكنه قد يختار ويحفظ على أسباب منها الإصابة في التشبيه ؛ كقول القائل :

بدأن بنا وابن الليالي كأنه حسام جلت عنه القيوم صقيل <sup>(٤)</sup>

(١) قد انظر - ٥٨ (٢) الصنائع - ٢٣١

(٣) الشعر والشعراء - ٢١ - ٢٢ (٤) ابن الليالي : كناية عن الغمر .

فما زلت أفنى كل يوم شبابه إلى أن أته العيس وهو ضئيل  
وكقول الآخر في معنى :

كأن أبا الشموس إذا تغنى يحاكي عاطساً في عين شمس  
يلوك بلحيه طوراً وطورا كأن بلحيه ضربان ضرس  
ويقول الباقلاني : والتشبيه تعرف به البلاغة (١).

ويقول البطين : أجمع العلماء بالشعر على أن الشعر وضع على أربعة  
أركان : مدح رافع ، أو هجاء واضع ، أو تشبيه مصيب ، أو غر سامق (٢) .  
ويقول عبد القاهر : وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف  
المتباينين حتى يختصر ما بين المشرق والمغرب ، ويجمع ما بين المشتم والمعرق  
وهو يريك للمعانى الممثلة بالأوهام شياً في الأشخاص المائلة ، والأشباح  
القائمة ، وينطق لك الآخرس ، ويعطيك البيان من الأعجم ، ويريك الحياة  
في الجماد ، ويريك الشام عين الأضداد ، فيأتيك بالحياة والموت بمجوعين ،  
والماء والنار مجتمعين (٣) . . . .

ويقول السكاكي : فهو الذي إذا مهرت فيه ملكك زمام التدريب  
في فنون السحر البياني (٤) .

ويقول الخطيب : إنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره ونفاعة أمره في  
البلاغة ، وأن تعقيب المعاني به لا سيما قسم التمثيل منه ، يضاعف قواها  
في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً كانت أو ذماً أو افتخاراً  
أو غير ذلك (٥) .

ومن رأى الدكتور شوقي ضيف : أن التشبيه لا يحتاج بعداً في الخيال  
ولا عمقاً في التصوير (٦) .

(١) إعجاز القرآن - ٢٠٧ (٢) الموشح المرزباني - ١٧٢

(٣) أسرار البلاغة - ١٠٤ (٤) مفتاح العلوم - ١٧٧

(٥) الإيضاح - ١٥٣ (٦) الفن ومذاهبه في الشعر العربي - ١٤٥

(م ٤ - فن التشبيه)



وأنه لون مفرد بل هو صبغ من أصباغ لون مفرد هو لون التصوير<sup>(١)</sup>.  
ولا أحسب الزميل يريد بهذا أن يهون من قدر التشبيه ، أو يصوره  
في صورة الشيء السهل المسلك ، القريب تناول .

وإنما لعله أراد أنه دون الاستعارة في بسر بنائه وصياغته ، وأنه أقل  
منها شأنًا في إبراز المعاني وصبها في قوالب المحسوسات ، وإن كان هو  
أساسها وعمادها ، وإلا فليس التشبيه سهل الانتزاع ، ولا هو على طرف  
الثامة من كل متناول ؛ فابن الأثير يقول : إنه من بين أنواع علم البيان  
مستوعر المذهب . وهو مقتل من مقاتل البلاغة . وسبب ذلك أن حمل  
الشيء على الشيء بالمائلة إما صورة وإما معنى يعز صوابه ، وتعتبر الإفادة  
فيه ، وقلنا أكثر منه أحد إلا عشر كما فعل ابن المعتز من أدباء العراق وابن وكيع  
من أدباء مصر ، فإنهما أكثرا من ذلك لاسيما في وصف الرياض والأشجار  
والأزهار والثمار ، لا جرم أنهما أتيا بالعث البارد<sup>(٢)</sup> .

وابن رشيق — وهو من النقاد الشعراء — يصرح بأن أشد ما تمكفه  
الشاعر صعوبة التشبيه ، لما يحتاج إليه من شاهد العقل ، واقتضاه العيان<sup>(٣)</sup> .  
وأن المعاني إنما اتسعت لاتساع الناس في الدنيا وانتشار العرب بالإسلام  
في أقطار الأرض ، فصرخوا الأمصار ، وحضروا الجواضر ، وتألقوا في  
المطاعم والملابس ، وعرفوا بالعيان عاقبة ما دلتهم عليه بداهة العقول من  
فضل التشبيه وغيره .

ثم يقول : وإنما خصصت التشبيه ، لأنه أصعب أنواع الشعر وأبعدها  
متعاطي<sup>(٤)</sup> .

ونحن لا ننكر أن التشبيه أقل أهمية من الاستعارة في النثر الأدبي وفي

(١) الفن ومفاهيمه — ١٥٢ (٢) النثر الباهر — ١٥٥

(٣) العمدة — ١ — ١٩٤ (٤) المصدر السابق — ٢ — ١٨٣

الموضوعات الشعرية لميرتها الواضحة في المجسم والتشخيص ، وفي المبالغة والتحويل .

وبخاصة الشعر : لأن لها فيه قيمة بالغه بحيث يكاد يستحيل أن يكون شعراً بغيرها (١) .

أو كما يقول أرسطو : إن الصورة في التشبيه تجري في النثر كما تجري في الشعر ، ولكنها بالشعر الصق (٢) .

ولكن هذه الفنون الأدبية لا تستغنى مطلقاً عن التشبيه ، وقد مر قريباً : أن العلماء أجمعوا على عد التشبيه المصيب من أركان الشعر .

ثم هو يمتاز عنها بأنه أكثر دورانا في النثر العلى ، وفي الموضوعات التي تخاطب العقول ؛ لأنه يراد منها أن تكون واضحة دقيقة محدودة ، سهلة الإدراك ، بعيدة عن وثبات الخيال ، وطفرة التصوير ، وترف الالفاظ ، وأناقة الصياغة .

فإن أريد بالتشبيه ما يدل على كمال المشبه وادعاء اتحاده بالمشبه به لم يكن هناك مناص من الترفى إلى مرتبة الاستعارة وعدم القناعة بالتشبيه :

ولا يخفى أن الفرق بينهما : هو أن التشبيه يحتفظ للمشبه والمشبه به بذاتيهما ، وكل ما يفعله أن يربط الصلة بينهما ، وأما الاستعارة فتدجج الواحد في الآخر وتجعلهما شيئاً واحداً .

ففرق بين أن يقول الشاعر : فأمطرت لؤلؤاً من ررجس ، وبين أن يقول : فأمطرت دمعاً كاللؤلؤ من عين كالرجس ، فالتشبيه كما ترى أقرب إلى تصوير الواقع ، وأما الاستعارة فأمعن في الخيال ، لأنها تطمس الأشياء طمساً ، وتستبدل بها أشباهها .

(١) فنون الأدب لشارلتر — ٧٩

(٢) بلاغة أرسطو الدكتور إبراهيم سلامة — ١٥٨



فانفتاة الباكية في د فأمطرت لؤلؤا ، لم تسفح من عينها دمعا كاللؤلؤ  
ولإنما سفحت لؤلؤا ، لهذا كان التشبيه أكثر شيوعا من الاستعارة في العصور  
الاتباعية التي يكون فيها الشعراء أقل حدة في الخيال ، وأكثر انصياعا لأحكام  
العقل والمنطق ، وكانت الاستعارة أكثر شيوعا من التشبيه في العصور  
الإبداعية التي يشطح فيها الخيال ويجمع فلا يكون عليه ضابط .<sup>(١)</sup>  
ولا خلاف أن التشبيه يختلف باختلاف حظ القائل من البلاغة وقسمه  
من البيان .

فكل<sup>٢</sup> يصف الشيء بمقدار ما في نفسه من ضعف أو قوة ، أو عجز  
أو قدرة .

وصفة الإنسان ما رأى ، يكون — لاشك — أصوب من صفته ما لم ير ،  
وتشبيهه ما عان بما عان أفضل من تشبيهه ما أبصر بما لم يبصر .  
ومن هنا يحكى عن ابن الرومي أن لائما لأمه . فقال لم لا تشبه تشبيه  
ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟

قال أنشد لي شيئا من قوله الذي استعجزتني في مثله .  
فأنشده في صفة الهلال :

فأنظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته كحولة من عنبر

فقال زدني .

فأنشده :

كان آزر يونها<sup>(٣)</sup> والشمس فيه كاليه<sup>(٤)</sup>

مداهن من ذهب فيها بقايا غالية

(١) فتون الأدب لشارلي — ٨٢ ترجمة الأستاذ زكي نجيب .

(٢) الآزريون : ورد أصغر لا ربح له ألبنة ، وهو صنف من الأفهوان ، ومنه ما  
نورده أسمر ؛ وأسمه بالفارسية : آزر كون ومعناه : لون النار . نهاية الأرب — ١١ — ٢٧٧  
وانظر معجم أسماء النباتات ص ٣٦ ، وكتاب الألفاظ الفارسية المعربة ص ٨ . وفي رواية :  
نحت مياهها به .

(٣) كاليه : نافذة .

فصاح واغوثاه يا الله ! لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، ذلك إنما يصف  
 ماعون بيته لأنه ابن الخلفاء وأنا أى شيء أصف !  
 ولكن انظروا إذا وصفت ما أعرف أين يقع الناس كلهم منى !  
 هل قال أحد أملك من قولى فى صفة الرقاقة :

ما أنس لا أنس خبازا مررت به يدحو الرقاقة وشك الملح بالبصر  
 ما بين رؤيتها فى كفه كرة وبين رؤيتها زهراء كالقمر <sup>(١)</sup>  
 إلا بمقتدار ما تنداح دائرة فى صفحة الماء يرمى فيه بالحجر <sup>(٢)</sup>  
 ولهذا نرى التشبيهات تأتى تبعا لمنزلة أصحابها ، حتى ليسكون منها المتطرب  
 المعجب المرقص ، كقول بشار <sup>(٣)</sup> - يصف جارية مغنية - :

ورائحة للعسين فيها نخلة إذا برقت لم تسق بطن صعيد  
 من المسهلات المموم على الفتى خفا برقها فى عصفر وعُفود  
 حسدت عليها كل شيء يمشى وما كنت لولا حبها بحسود  
 وأصفر مثل الزعفران شربته على صوت صفراء الترائب رُود  
 كأن أميرا جالسا فى ثيابها تؤمل رقباه عيوب وفود  
 من البيض لم تسرح على أهل ثلة عواما ولم ترفع حداج قعود <sup>(٤)</sup>  
 تمت به ألبابنا وقلوبنا مرارا وتحسين بعد همود  
 إذا ضاقت صحننا وصاح لنا الصدى صياح جنود ووجهت لجنود  
 ظلمنا بذلك الديدن اليوم كله كأننا من الفردوس تحت خلود  
 ولا بأس إلا أننا عند أهلنا شهود وما ألبابنا بشهود

(١) فى بعض الروايات : فوراء ، وهو أصوب . (٢) العمدة ٢ - ١٨٤  
 (٣) قال على بن هارون : وما فى الدنيا شيء لقديم ولا محدث من منثور ولا منظوم  
 فى صفة النساء واستقصاه مثل هذه الأبيات ، آمالى الرافضى ٣ - ٤٩  
 (٤) الثلة : الجماعة من الغنم ، والحداج : حركب النسياء ، والفعود : ما يقتحمه الراعى  
 من الإبل فى كل حاجة .



أرأيت إلى هذا الجمال الذي يطالعك في قوله :

كأن أميرا جالسا في ثيابها

جمال في هذا التعاطف بين الألفاظ ، وفي هذا التناغم النافع من  
جرس الصياغة .

وجمال في تصوير هذه الهبة المرهوبة المحبوبة التي خلعتها الفن الأنيق  
على هذه المغنبة الحسنة ، فإذا هي أمير خطير الشأن سنى المنزلة محبب إلى النفوس  
يزدحم الوفود على حضرته خضوع الرقاب ، نواكس الأبصار ، لاخوفا من  
بطشه ، ولكن ليشملوا طاعته المحبوبة الشائقة ، ويحتلوا منظره المرموق ،  
وينالوا رفده السابغ .

أليس هذه حالتنا تماما حينما ترفع الستارة عن أم كلثوم ، ونرميها  
بأبصارنا متخشعين ، ونزهف إليها أسماعنا متلهفين ! مستطيلين هذه الفينة التي  
تأهب فيها للتغريد بهذا الصوت الشاجي المسكر !  
وكقول أبي عبد الله بن مرزوق الأندلسي في علة الكتابة بالسواد  
في البياض :

ولما أن نأت منكم ديار      وحال البعد بينكم وبينى  
بعثت لكم سوادا في بياض      لأنظركم بشىء مثل عيني  
أست ترى أن هذا الشاعر قد استطاع أن يخرعنا بهذا التعليل السديع  
المخترع .

ثم أست تحسر نغمة الحزن والكمد التي تسود الشعر وتنضج بلوعة  
الشاعر وتفجعه وتوجعه !

لأنظركم بشىء مثل عيني

ما أشجى هذه الكلمة ! لقد تركزت فيها تجربة الشاعر ، وانتقلت إلينا  
كاملة غير مشقوقة ، فإذا نحن مثله نقشكي نأى الديار وبعد المزار !

وكهذا الشعر الذي نسب إلى إبليس نفاسة به على الناس لعلو قيمته  
وارتفاع منزلته .

وحرام قبل المزاج صفراء بعده بدت بين ثوب نرجس وشقائق  
حكمت وجنة المعشوق صر فافسأطوا عليها مزاجا فاكنت لون عاشق<sup>(١)</sup>

فانظر كيف استطاع هذا الشاعر سراء أكان إبليس أم غيره أن يصف  
الخر في حالين مختلفتين وصفاً دقيقاً كاشفاً ، ويصورها في عدة ألوان متباينة  
مستعينة بحملة من التشبيهات الجميلة المفوفة ، دون أن يخل بالصياغة ، أو  
يدخل على المعنى خبيثاً ، أو يهجن الدياجة بغموض أو تعقيد أو تكلف ،  
مع مراعاة الترتيب والتقسيم .

هذا إلى حسن آخر تلبسه في هذا التقابل : حرام وصفراء ، وقيل وبعد ،  
والصرف والمزاج ، ووجنة المعشوق ولون العاشق<sup>(٢)</sup>

(١) هذا الشعر لابن دريد ، ويروي عنه أنه قال : سهرت ذات ليلة ، فلما كان آخر  
القبل غمضت عيني ، فرأيت رجلاً طويلاً أصمر اللون كوسجاً دخل على وأخذ يضادني الباب  
فقال : أنشدني أحسن ما قلت في الخمر . فقلت : ما ترك أبو نواس لأحد دخولاً في هذا الباب  
فقال : أنا أصمر منه ! فقلت : من أنت ؟ قال : أبو ناجية من أهل الشام .  
وقد أخذ عليه ابن دريد : أنهما من آلاف والنشر الشوش . فقال له : وما هذه المشاحة  
في هذا الوقت يا بغيض . وفيات الأعيان لابن خلكان — ١ — ٢٢١ — تزيين الأسواق  
للأعالي — ١٩٠

وفي رواية أخرى أنه قال له : لم لا تقول في الخمر شيئاً ؟ فقال ابن دريد : وهل ترك  
أبو نواس لأحد فيها قولاً ؟ فقال له : نعم . أنت أصمر منه حيث تقول وأنشد البيتين .  
قال ابن دريد : فقلت له : من أنت ؟ فقال شيطانك أبو راجية !  
وأخبره أنه يسكن الموصل . زهرة الألبا للأباري — ٣٢٥

(٢) يقول بعض الأدباء : إنه لم يبق في وصف المعشوق بالاحمرار والعاشق بالاصفرار  
الغالب من قول ابن دريد المتقدم . وفي لون العاشق والمعشوق كتب بعض الأدباء إلى الفاضل  
الأندلسي متذرين سعيد : =



وإلى هذا الجو الصاحب الهيج الذي تعيش فيه برهة كأنك في حانة  
عامرة بالدنان والكشوس والسقااة والندمان ، ترى فيها كيف تنقل الخمر  
من حال إلى حال ، وتلبس لوئاً بعد لون ، ولسكنك ترى مع هذا التغير  
ما يفسج مع الشراب ظاهراً وباطناً !

وهل تتم أداة الشرب بغير الترجس والشقاق ، والمعشوق والعاشق !  
ثم ألسنت نحس هذا الشعور بعينه في قول الخليفة الراضى (١) :

سقاني صفواً من سلاف كريقه      وحياً فأحيا قلب لفنان وامنق  
بنيلوفر مثل الكشوس شمته      حكمت ربحه ربح الحبيب المواقف  
حكى رقدة المعشوق قبل انفناحه      وبعد انفناح الجفن تسويد عاشق  
وبجانب هذه التشبيهات النادرة الفاخرة نجد تشبيهات هزيلة متهافنة ؛  
كقول الشاعر :

مات الخليفة أيها الثقلان      فكأنني أفطرت في رمضان  
وقول أبي العباس الجراوى يمدح بعض الخلفاء (٢) :

== مسألة جئتكم مستغنياً      عنها وأنت العالم المنشار  
علام نحر وجه الفلبا      وأوجه العشاق فيها اصفرار  
فأجاب به قوله :

امر وجه الظلي لا لحظه      سيف على العشاق فيه احمرار  
وامر وجه الصب لما نأى      والشمس تبنى المغرب اصفرار

(١) الأوزاق للصولي ٢ - ١٣٨

(٢) ذكر المازباني أنه المأمول بن أميل ، وأنه دخل مسجد السكوفة في يوم جمعة وغد  
نحى إلى الناس خبر وفاة المأمي وهم يرقبون قراءة الكتاب عليهم بذلك ، فقال رافعاً صوته :  
مات الخليفة أيها الثقلان

فقال جماعة من الأدباء هذا أشعر الناس ! نعم الخليفة إلى الجن والإنس في نصف بيت ،  
وأمدد الناس أبصارهم متوقفين لما يتم به البيت ، فقال :  
فكأنني أفطرت في رمضان

فضحك الناس وصار شهرة . الموشح - ٢٩٧

واسمه ابن رشيق إلى أبي العنابية . يريد أني مجاهر في بهذا القول كأنما جاهرنا ==

إذا كان أملاك الزمان أراقنا . فإنك فيهم دائم الدهر ثعبان  
وقول آخر في الوصف :

كأنتا والمساء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء  
فإن هذه التشبيهات ينبغي من سحقها أنها تستخرج الضحك من الأعماق  
بل منها ما أضحك الناس في مقام خلق الوقار لمثله ، وهو موت خليفة المسلمين !.

---

== بالإفتار في رمضان نهائياً ، وكل أحد ينكر ذلك ويستعظمه من فعل .

ثم قال : وهذا معنى جيد غريب في اللغة . غير معرب عما في الفس - العمدة - ٢ - ١١٨  
والحق أن المعنى على رداة لفظه غير جيد ولا غريب ، وكل ما به أنه يدلنا على عظم حرمة  
رمضان في هذا العهد ، وأن الناس كانوا لا يخرجون على الجاهرة بإفطاره .

(٢) فتح القليب - ٢ - ١٩٩ .



## الفصل السابع

### فائدة التشبيه

حيثما وقع التشبيه لا يخلو من فوائد يمتاز بها من الكلام المجرد منه ،  
ولهذه الفوائد أثر المتكلم أن يتخذ أداة للتعبير دون غيره من فنون القول .  
وهذه الفوائد توجد بمجموعة لقوة القرابة والتناسب بينها ، وإن كان  
بعضها يبدو أوضح من بعض في بعض الأمثال ، لأنه يكون مقصوداً في التشبيه  
أكثر من غيره .  
وأول هذه الفوائد :

#### ١ - الإيجاز والاختصار :

وقد كانت العرب تختصر في التشبيه وربما أومأت به إيماء ؛ كقول  
أحد الرجاز :

حتى إذا كاد الظلام يختلط      جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط<sup>(١)</sup>  
يريد في لون الذئب .

واللبن إذا جهد : أي أخرج زبدته كله وخلط بالماء ضرب إلى الغيرة .<sup>(٢)</sup>  
فكأن لون الذئب .

فكلمة الذئب هنا أغنتنا عن تفصيل كثير كنا في حاجة إليه لو لم يأت  
التشبيه .

وقول زهير من معلقته :<sup>(٣)</sup>

(١) المذق : اللبن المزوج بالماء . (٢) السكامل المجرد : طرح المرمى ٤ - ٧ - ٦

(٣) طرح المعلقات السبع للأوزوني - ٨٠ .

بكرن نكورا واستحرن بسحرة      فمن ووادى الرس كاليد للقم  
يريد ابتدأن السير وسرن سحرا ،      وهن قاصدات لهذا الوادى بعينه  
قصداً دقيقاً صائباً لا يخطئه فى الاتجاه إليه ، ولا ندفاع نحوه ، كاليد القاصدة  
للقم بالطعام ؛ لا تخطئه فى قصدها ولا تنحرف عنه .  
فانظر كيف ثابت هذه الكلمة عن كلام طويل مع البراءة من التعسف  
والوفاء بحق المعنى !

وقول النابغة فى اعتذاره للنعمان بن المنذر :  
فإنك كالليل الذى هو مدركى      وإن خلت أن المتأى عنك واسع  
لأنه قصد شدة سخطه ، وراعى حال المسخوط عليه ، وترحم أن الدنيا تظلم  
فى عينيه ، حسب الحال فى المستوحش الشديد الوحشة .  
ولم يشبه بالنهار مع أنه بمنزلة الليل فى وصوله إلى كل مكان ؛ فما من  
موضع من الأرض إلا ويدركه كل واحد منهما ، فكما أن الكائن فى النهار  
لا يمكنه أن يصير إلى مكان لا يكون به ليل ، كذلك الكائن فى الليل لا يجد  
موضعا لا يلحقه فيه نهار ، فاختصاصه الليل دليل على أنه قد روى فى نفسه ،  
فلما علم أن حالة إدراكه - وقد هرب منه - حالة السخط ، رأى التمثيل  
بالليل أولى .

وبستعان على بيان ذلك بقول الشاعر فى مثل هذا المقام :  
نعمة كالشمس لما طلعت      بثت الإشراف فى كل بلد

وذاك أنه قصد ههنا ما قصده النابغة فى تعميم الأقطار ، والوصول إلى كل  
مكان ، إلا أن النعمة لما كانت تسر وتؤنس أخذ المثل لها من الشمس ،  
ولو أنه ضرب المثل لوصول النعمة إلى أقاصى البلاد وانتشارها فى العباد  
بالليل ، ووصولها إلى كل بلد وبلوغه كل أحد لكان قد أخطأ خطأ فاحشاً .  
ويمكن أن يحجب بتركه التمثيل بالنهار - وإن كان بمنزلة الليل فيما أراده -



بأن هذا الخطاب من النابغة كان بالنهار لا بحالة ، وإذا كان يكلمه وهو بالنهار ، كان الظاهر أن يمثل بإدراك الليل الذي إقباله منتظر وطرأته على النهار متوقع ، فكأنه قال : - وهو في صدر النهار أو أواخره - : لو سرت عنك لم أجد مكانا يقيني الضرب منك ، ولكان إدراكك لي وإن بعدت واجبا ، كما إدراك هذا الليل المقبل في عقب نهاري هذا إياي ، ووصوله إلى أى موضع بلغت من الأرض . (١)

هذا إلى أن الليل يوحى بالرهبة والخوف والوجل حتى لتخشاه النفوس بالنظرة ، يستوى في ذلك الإنسان والوحش والطير ، فينطوى فيه كل شيء على نفسه ، ويحيطها بوسائل النجاة والمنعة لا يدخر وسعا في ذلك . فهذه الكلمة كالليل ، على قصرها ، لاتسد مسدها الجمل الطويلة الكثيرة ، زيادته على أنها متعينة في مقامها هذا .

وقد تداول الناس معنى بيت النابغة (٢)

فإنك كالليل . . .

فقال الفرزدق :

ولو حملتني الريح ثم طلبتني      لكنت كشيء أدركته مقاديره  
وهو دون قولي النابغة ؛ لأن الليل أعم من الريح ، والريح أيضا يتمتع منها بأشياء ، والليل لا يتمتع منه بشيء .

وقال العكوك :

وما لأمري حاولته منك مهرب      ولو رفعته في السماء المظالم  
بلى هارب لا يهتدي لمكانه      ظلام ولا ضوء من الصبح طالع  
وقال البحتري :

ولو انهم ركبوا الكواكب لم يكن      فجدتهم من خوف بأسك مهرب

(١) أسرار البلاغة - ٢٠٧ - ٢٠٨ (٢) ديوان المعاني - ١ - ٢١ - ٢٢ .

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :  
 وإني وإن حدثت نفسي أنني أفوتك إن الرأي عني لعازب  
 لأنك في مثل المكان المحيط في من الأرض أني استنهضتني المذاهب  
 وقال أبو الطيب :

ولسكنك الدنيا إلى حبيبها عما عنك لي إلا إليك ذهاب  
 وقول شاعر في مغنية :

جاءت بوجه كأنه قمر على قوام كأنه غصن  
 غنت فلم تبق في جارحة إلا تمنيت أنها أذن

أليس يريد بذكر القمر والغصن أن يصفها بالحسن والجمال ، والبهاء  
 والإشراق ، والعضادة واللين والثني ؟

فاكتفى عن كل هذه الألفاظ وما يتصل بها بلفظتين جامعتين .  
 وقول آخر يمجو رجلاً بالرياء :

فأنت بالليل ذئب لا حريم له وبالنهار على سميت ابن سيرين<sup>(١)</sup>

فالذئب مضرب المثل في الخيانة والعدو والسميت

وكان ابن سيرين مضرب المثل في الورع ، وفي ذلك يقول الجاحظ :  
 كان يقال : زهد الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مطرف ، وحفظ  
 قتادة ، وكلهم من أهل البصرة<sup>(٢)</sup> .

وقد قامت هاتان الكلمتان : « ذئب » و « ابن سيرين » ، مقام أوصاف  
 كثيرة في الذم والمدح .

وإنك لتجد هذا الإيجاز بيناً في الآيات الآتية :

(١) السميت : هيئة أهل الخير ، وقد أطلقه هنا مقام الورع .

(٢) نهار القلوب - ٧٠ .



في قول الخباز البلدي :

غنى والإيقاع فو ق بيان منعة بيان

وكأنما يده فم وقضيه فيم - ألسان

وقول ابن دراج القسطلی :

ألم تعلمي أن النواء هو التوى وأن بيوت العاجزين قبور<sup>(١)</sup>

وقول كشاجم :

أقبلت ثم عرجت ليتها لم تعرج

في حداد كأنها ورده في بنفسج

وقول السمسرة الأندلسي ، في أمير غرناطة :

بني على نفسه سقاها كأنه دودة الحرير

وقول دعبيل الخزاعي - وفيه يقول محمد بن يزيد : ما سمعت أجهي منه :

قوم إذا دُعروا أو نابههم فزع كانت حصونهم الأعراض والحُرُم

وقول المتنبي :

أقامت في الرقاب له أياد هي الأطواق والناس الحمام

وقول ابن خالويه في همدان :

بلاد - إذا ما ألصف أقبل - جنة ولكنها - عند الشتاء - جحيم

وقول إبراهيم الصولي - يظهر الشهادة بموت ابن الزيات - :

لما أتاني خبر الزيات وأنه قد عد في الأموات

أيقنت أن موته حياتي

وقول ابن الرومي :

كأن مواهبه في المحو ل آراؤه عند ضيق الحيل

فله كان غنياً لعم البلاد      ولو كان سيفاً لكان الأجل  
ولو كان يُعطى على قدره      لأغنى النفوس وأفنى الأمل  
وقوله :

قل لأبي القاسم المرجى      قابلك الدهر بالعجائب  
مات لك ابن وكان زينا      وعاش ذو الشين والمعائب  
حياة هذا كموث هذا      فليست تخلو من المصائب  
وقول الصاحب بن عباد :

ما بالها قد عرضتني م عند شبي للأذى  
تقول بأن بعد ما      كانت تقول حبذا  
وكنتم كحل عينها      فصرت فيها كالقذى  
وقول شاعر في قتل عبد الملك بن مروان لعمر بن سعيد الأشدق :  
كان بني مروان إذ يقتلونه      بغاث من الطير اجتمعن على صقر  
وقولهم : كلام كالعسل ، وفعل كالأسل .  
يضرب في اختلاف القول والفعل (١) .

ومن المعجز قول الرسول - صلوات الله عليه - : المعروف  
كاسمه . .

وهو أجمع ما قيل فيه (٢) .

وتفاوت التشبيهات في الإيجاز حتى يكون بعضها أوجز من بعض  
فيوصف بأنه أفضل وأجود .

وذلك كقول ابن الرومي - يصف الخمر - :

رأت نار إبراهيم أيام أوقدت      وحازت من الأوصاف أوصافها الحسنى  
حكمت نورها في بردها وسلامها      وجاءت بطيب لا يوازى ولا يحكى

(١) نهاية الأرب - ٣ - ٤٦ . (٢) ديوان المعاني - ١٥٣ .



بهاء ابن المعتز فأوجز في قوله :

ومشمولة قد طال بالذن لبها حكت نار إبراهيم في اللون والبرد  
وقال الأعشى :

وتبرد برد رداء العروس بالصبف رقرقت فيه العيرا  
وتسخن ليلته لا يستطيع نباهاها الكلب إلا هريرا<sup>(١)</sup>  
فتقبل منه هذا الكلام واستحسن .

ثم قيل في عيبه أنه أتى به في بينين وطول به الخطاب .  
وأجود منه قول طرفة :

تطرد البرد بحر ساحن وعصكك<sup>(٢)</sup> القبط إن جام بحر  
فقيل فيه : إنه أجمع وأخصر<sup>(٣)</sup> .

ومنها ما يبلغ في إيجازه درجة التركيز ، وذلك كقول جرير :

كأن رسوم الدار ريش حمامة محاها البلى واستعجمت أن تكلم  
قبل الحمام هنا : القطاة ، وأنه شبه ألوان الرسوم : من الرماد ، وموقد  
النار ، والدمنة ، ومجر الطنب ، وما أشبه هذه الأشياء بألوان ريش القطاة<sup>(٤)</sup> .  
وقول ابن زيدون - وقد كتب به من سجنه إلى أبي حفص بن برد - :  
لا يمكن عهدك وردا إن عهدي لك آس  
وذلك أن الورد قصير العمر والآس طويله .

وقد شرح ذلك العباس بن الأحنف في قوله :

ولكنني شبت بالورد عهدها وليس يدوم الورد والآس دائم  
وقول البحتري في إسرافيل النخاس النصراني الأعور - وقد قوم  
غلاما له فارسيا بشمن بخس - :

(١) الهريز : صوت الكلب دون نباحه من قلة صبره على البرد .

(٢) العصكك كأمير : شدة الحر مع ركود الريح . (٣) التوضيح - ٥٥ .

(٤) أماني المرتضى - ٣٢ - ١٢٢ .

متى أرضى ودجال النصارى يقوم ما أبيع بفرد عين  
وكيف وهل ترى طاوس حسن يحكم في شراه غراب بين  
فانظر إلى حسن ما جمع بين الطاوس والغراب في بيت واحد .  
ولما كان المهجور أعور شبهه بالدجال وغراب البين ، والغراب يقال له :  
أعور (١)

وقول المتنبي :

رأيت الحيا في الزجاج بكفه فشبهتها بالشمس في البدر في البحر  
وقول الصنوبري في نظم قصة عرقوب :

قالوا لنا نخلة وقد طلعت نخلتنا فاصطبر لطلعتها  
حتى إذا صار طلوعها بلحا قالوا توقع بلوغ برمتها  
حتى إذا برها غدا رطباً فازوا بأعناقها برمتها  
عدمها نخلة كنخلة عرقوب ومن قصة كقصتها  
فتبأ له أن يختصر قصة في بيت من أبيات التشبيه .

ومن البدائع أن الرشيد حين حج ، دخل مسجد الرسول — صلى الله  
عليه وسلم — فبعث إلى الإمام مالك بن أنس — ض — فلما قام بين يديه  
وسلم عليه بالخلافة ، قال يا مالك ، صف لي مكان أبي بكر وعمر من رسول الله  
في الحياة الدنيا .

فقال مالك : يا أمير المؤمنين ، مكانهما منه ككان قبريهما من قبره .  
فقال الرشيد : شفيتني يا مالك . (٢)

ولا شك أن في هذا التشبيه الموجز الصائب شفاء الصدور .

(١) نهار القلوب — ٣٧٨ .

(٢) العقد الفريد — ٣ — ٦٤ .



٢ - التبيين والتوضيح :

وهو ميزته الكبرى ، لأن وظيفته الأساسية أن يزيل عن المعنى اللبس والغموض ، ويجلوه على الأنظار ، ويقربه إلى الأذهان .

لذلك كان أشد عيوبه قبحاً أن يأتي مبهماً مستغلقاً ، فإن ذلك ضد الغرض الذي سيق من أجله ، وذلك كقول النابغة يصف ثوراً :

من وحش وجره موشى أكارعه طأوى المصير كسيف الصيقل الفرد<sup>(١)</sup>  
أراد بالفرد : أنه مسلول من غمده ، فلم يبن بقوله : الفرد عن سله بيانا واضحا .

والجيد قول الطرمّاح فيه :

يدو وتضمّره البلاد كأنه سيف على شرف يُلّ ويغمد<sup>(٢)</sup>  
وهذا غاية في الوصف<sup>(٣)</sup> .

وقول البحتري :

وأثافي أمت لها حجاج ذو ن لظى النار مثل كالأثافي  
فقوله ، مثل ، : أى قائمة ثابتة ، ويريد بالأثافي الثانية : الكواكب التي عند الفرقدين ، وهى ثلاثة قيل لها : أثاف ، لشبهها بالأثافي المعروفة التي يوقد فيها .

فشبه البحتري الأثافي بها لثبوتها وأنها مثل على مر الدهر .

قال أبو حنيفة الدينورى فى كتابه الأنواء : . . . . ولو شبها البحتري

(١) وجره : فلاة بين مران وذات عرق ، ستون ميلا وماؤها قليل . فهو نجس الوحش ويقال شربها الماء . هناك فتكون بطونها طاوية ، والأكارع : قوائم الدابة ، والمصير : واحد مصران وجمعه مصارين ، كنى به عن البطن .

(٢) الشرف : المكان المرتفع . (٣) الصناعتين - ٨٢ - ٨٣ .

بالنسر الواقع<sup>(١)</sup> — لأنه أشهر وأظهر وأقرب شيئا — لكان ذلك أحسن  
وأكشف للمعنى من أن يشبهها بشيء إنما استعير له اسمها ، وليس يعرفه كل  
أحد ، ولكنه جاء من أجل القافية<sup>(٢)</sup> .  
وقول أبي بكر بن ظهارة :

وكان الظلام لما تولى نمر راعه من الفجر ليث  
فانمر لا يشبه الظلام في اللون ، والأسد لا يشبه الفجر ، هذا إلى أن النمر  
لا يرتاع من الأسد ارتجاع الثور منه ، أو ارتجاع الشاة من الذئب حتى يمثل به  
بل المعروف أن النمر يقاوم الأسد ويصارعه ولا يستسلم لمهلكه معه .  
ولهذا اشترط الروائي في التشبيه أن يخرج الأغصص إلى الأوضح ،  
ويقرب البعيد<sup>(٣)</sup> .

كما عرفه السهال في كتابه ، التبيان ، : بأنه ركن من أركان البلاغة ،  
لإخراجه الخفى إلى الجلى ، وإدناؤه البعيد من القريب<sup>(٤)</sup> .  
وتجلى لك هذه المزية واضحة في قول المتنبي :

كل ذم يزدد في الموت حسنا كبدور تمامها في المحاق  
الذمر : الشجاع ، والمعنى أنهم يقتلون في سبيل المعالي فيزدادون بالموت  
عزرا وشرفا وذكرأ سائرا ، كالبدور لا تستفيد تمامها وكما لها إلا بعد أن  
يلحقها المحاق .

فهذا التشبيه جلا المعنى المشكل في المصراع الأول ، لأنه مما يندق فهمه  
أن الإنسان يزيد حسنه بالموت .  
وترى مثل ذلك في الأمثلة الآتية التي لا يحتاج بيانها إلى بيان :

(١) النسر الواقع : أحد كوكبين في السماء .

(٢) الموازنة بين الصائتين — ٤٥٣ .

(٣) العدة — ١ — ١١٥ . (٤) الطراز — ١ — ٢٦٢ .



قال الأخطل :

إن العداوة تافاها وإن كذمت  
كالمرّ يكمن حينا ثم ينتشر<sup>(١)</sup>  
وقال أبو العيناء :

ما في يدي من الصبا  
جاء الشباب فما أقا  
إلا الصبا به والأسف  
م ولا ألم ولا وقف  
كان الشباب كزائر  
ملّ الزيارة وانصرف

وقال سعيد بن حميد :

أهاب وأستحي وأرقب وعده  
فلا هو يبداني ولا أنا أسأل  
هو الشمس مجراها بعيد وضوءها  
قريب وقلبي بالبعد موكل  
وهذا المعنى - كما يقول الحصري - وزن كان كثيراً مشهوراً ، فهايكاد  
يبداني في الحسن<sup>(٢)</sup> .

وقال البحتري :

تبسم وقطوب في ندى ووغى  
قال الزبدي فيمن خلقت فروته :  
كالبرق والرعد تحت العارض البرد

حلقوا رأسه ليكسوه قبحا  
كان صبحا عليه ليل بهم  
غيرة منهم عليه وشحا  
فحوا ليله وأبقوه صبحا

وقال ابن الرومي :

رب ليل تراه كالدهر طولا  
ذي نجوم كأنهم نجوم  
قد تناهى فليس فيه مزيد  
م الشيب ليست تغور لا بل تزيد

(١) المر بفتح العين وضمتها : الجرب ، أو بالفتح : الجرب ، وبالضم : فروح بأعناق  
الفصلان ، وداء يأخذ البعر فيمتعض عنه وبره حتى يبدو جلده . السكامل للبرد . شرح  
المرصني ٦ - ٩٩ . (٢) زهر الآداب - ٤ - ١٦٨ .

وقال إبراهيم الصولي :

دعوتك في بلوى أملت صروفها  
وإن إذ أدعوك عند ملة  
وقال ابن الزيات بتغزل :

تمكنت من نفسي فأزمت قتلها  
كعصفورة في كف طفل يسومها  
وقال ابن العميد :

آخ الرجال من الآبا  
إن الأقارب كالعقا  
وقال أبو نواس :

ترجو وتخشى حالتك الوري  
وقال أبو تمام :

ولم أفهم معانيها ولكن  
فكنت كأني أعمى معي  
وقال المتنبي :

كرم خشن الجوانب منهم  
وقال :

ولاملك إلا أنت والملك فضلة  
وقال :

متفرق الطعمين مجتمع القوى  
وقال ابن شرف القيرواني :

تقلدتني الليالي وهي مدبرة

فأوقدت من ضغن على سعيها  
كداعية بين القبور نصيرها

على غير عمد منك والروح تذهب  
ورود حياض الموت والطفل يلعب

عد والأقارب لا تقارب  
رب بل أضرب من العقارب

كأنك الجنة والنار

شجت قلبي فأعجبني شجاها  
بحب الغايات وما يراها

فهو كالماء في الشفار الرقاق

كأنك نصل فيه وهو قراب

فكأنه السراء والضراء

كأني صارم في كف منهزم



وقال الوزير المهلبى :

وسمّوه مع القربى غربيا      كنور العين سمّوه سوادا  
وقال أبو الفتح البستي :

لا يغرنك أنى لين المسّ م      فعزى — إذا انتضيت — حسام  
أنا كالورد فيه راحة قوم      ثم فيه لآخرين زكام  
وقال ابن أبى عيّنة :

هل أنت إلا كلحم ميت      دعا إلى أكله اضطرار  
وقال ناصر الدين بن النقيب :

لى بغلة من ضعفها      حزامها يُثقلها  
كأنها رجلى كما      تحملنى أحملها

وقال شاعر :

أضخى فلان أدام الله صرعه      كراكب اثنين يرجو قوة اثنين  
حتى إذا أخذنا فى حال شوطها      تفرقا فهو فى بين الطريقين  
طال الزمان ولم يظفر بحاجته      كذاك حال الذى يدعو إلهين  
وقال بعض المصريين :

بسات تحت الدموع كما افترت م      عن البرق مُمونة وطفاء<sup>(١)</sup>  
٣ — المبالغة :

وسر ذلك أنك لم ترد تشبيه الشيء بغيره ، إلا وأنت تقصد به تقرير  
المشبه فى النفس بصورة المشبه به أو بمعناه ، فيستفاد من ذلك المبالغة فيما  
قصد من التشبيه على جميع وجوهه : من مدح أو ذم ، أو ترغيب أو ترهيب  
أو كبر أو صغر .

(١) الطفاء : السرخية لكثرة ماثها ، أو هى القائمة السخ الخبيثة .

وهذا القول ينسحب على جميع وجوه التشبيه ، فإنه لا يخلو من إفادة  
المبالغة في حال من الأحوال ، وإلا لم يستحق أن يكون تشبيهاً ، لأن إفادة  
المبالغة هي مقصده الأعظم وبابه الأوسع .

وذلك كقول امرئ القيس :

مَكَّرَ مَقَرَّ مَقْبَلٍ مَدْبِرٍ مَعَاً      كَجَلُودٍ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ  
شبهه في سرعة مره وصلابة خلقه ، بحجر ضخيم رمى به السيل من مكان  
مرتفع إلى حضيض .

وغالى بعض من فسره من المحدثين فقال : إنما أراد الإفراط فزعم أنه  
يرى مقبلاً ومدبراً في حال واحدة عند الكر والفر ، الشدة سرعته ،  
واعترض على نفسه واحتج بما يوجد عياناً ، فمثل بالجلود المنحدر من قمة الجبل  
فإنك ترى ظهره في النصب على الحال التي يرى فيها بطنه وهو مقبل عليك .  
قال ابن رشيق : ولعل هذا ما مر قط بيال امرئ القيس ، ولا خطر  
في وهمه ، ولا وقع في خلده ولا روعه (١) .

وصدق ابن رشيق لأن امرأ القيس يريد : أن الكر والفر والإقبال  
والإدبار مجتمعة في قوته لا في فعله لأن تضاداً .  
وقوله :

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصُوبَ الْغَامِ      وَرِيحَ الْخُزَامِيِّ وَنَشْرَ الْقَطْرِ (٢)  
يَعْلُ بِهَ بَرْدٌ أَنْيَابُهَا      إِذَا غَرَدَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِيرُ  
فوصف فاما هذه الصفة سحرآ عند تغير الأفواه بعد النوم ، فكيف  
تظنها في أول الليل ؟



وقوله يصف ناراً :

نظرت إليها والنجوم كأنها مصاييح رهبان تُشبُّ القفال  
ولأنما يرجع القفال من الغزو والغارات وجه الصبح ، فإذا رآوها من  
مسافة أيام أول الصباح ، وقد خمد سناها وكلَّ موقدها ، فكيف كانت  
أول الليل !

وشبه النجوم بمصاييح الرهبان لأنها في السحر يضعف نورها كما يضعف  
نور المصاييح الموقدة ليلاً أجمع ، لا سيما مصاييح الرهبان لأنهم يكلون من  
من سهر الليل ، فربما نكسوا ذلك الوقت .

وزعم بعض المتعقبين أن الذي كثر هذا الباب أبو تمام وتبعه الناس ،  
فإذا صرت إلى أبي الطيب صرت إلى أكثر الناس غلواً وأبعدهم فيه همة ، حتى  
لو قدر ما أخلى منه بيتاً واحداً<sup>(١)</sup> .

والحقيقة أن المتنبي يفرط في الغلو فيسخر حيناً ، ويأني بالحال حيناً  
آخر ، وبخاصة حينما يفخر بنفسه .

وإليك أمثالا من غلوه وإغراقه فجعلك تعتقد أنه أحق أو كان يتحاقق  
ويجعلك تعجب كيف يقول هذا الهراء من يقول هذه الحكم الغالية الغضة  
على مدى الزمان !

فمن ذلك قوله :

تلج جفوني بالدموع كأنما جفوني لعيني كل باكية خد  
وقوله :

أنا في أمة تداركها الله م غريب كصالح في ثمود  
ومن قوله يصف سيفاً :

يبس التجميع عليه وهو مجرد من غمده وكأنما هو مغمد

ومن مدحه لمحمد بن زريق الطرسوسي :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه      لما أتى الظلمات صرن شمساً<sup>(١)</sup>  
أو كان صادف رأس عازر سيفه      في يوم معركة لأعيا عيسى<sup>(٢)</sup>  
أو كان لج البحر مثل يمينه      ما انشق حتى جاز فيه موسى  
أو كان للبران ضوء جبينه      عُدت فكان العالمون بحوسا  
وقوله في رقام والده سيف الدولة :  
مشى الأمراء حولها حفاة      كأن المرو من زف الرئال<sup>(٣)</sup>  
والنقاد يختلف رأيهم في مثل هذه المبالغات ، فمنهم من يكرها ، وفي ذلك  
يروى عبدالرحمن عن عمه الأصمعي : أن رجلاً أنشده قول مالك بن أسماء  
الفزاري :

وإذا الدرزان حسن وجوه      كان للدر حسن وجهك زينا  
وتزيد بن أطيب الطيب طيباً      إن تمسبه أين مثلك أيناً  
والرجل يظهر إعجابه بهما ، فقال له الأصمعي : لا تعجب بهما فما بساويان  
فلسا ، وأجود الشعر ما صدق فيه وانتظم المعنى : كقول امرئ القيس :  
ألم ترياى كلما جئت طارقاً      وجدت بها طيباً وإن لم تطيب  
وقال محمد بن يزيد النحوي : أحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه ،  
وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ، ونبه فيه بفتنته على ما يخفى على غيره ،  
وساقه بوصف قوى واختصار قريب ، ، وعدل فيه عن الإفراط .<sup>(٤)</sup>

(١) لدى القرنين حديث مشهور في التاريخ الذي .

(٢) عازر : رجل من بني إسرائيل أحياه عيسى بإذن الله .

(٣) الزف بالسكسر : أصفر الريش وألبنه ولا سيما ريش النعام ، ولم يرش بذلك حتى

جعله زف الرئال ، وشبه به المرو وهو ما صغر من الحصى .

(٤) الموضح - ٢٢٠ . (٥) المصدر السابق - ٢٤٤ .



ومنهم من يؤثر المبالغة ويقول بتفضيلها ويراهما غاية الغايات في الجودة .

والنابغة رأس هذا المذهب وقد رأينا نقده لحسان في قوله :  
لنا الجففات الغر يلعن في الضحا      وأسافنا يقطرن من نجدة دما  
وقوله — وقد سئل من أشعر الناس ؟ — : من استجيد كذبه ،  
وأضحك رديته .

ولما أنشد كثير عبد الملك مدحته التي يقول فيها :  
على ابن أبي العاصي دلاص حصينة      أجاد المسدئ سردها وأذالها  
يثود ضعيف القوم حمل قديرها      ويستضلع القرم الأشم احتمالها<sup>(١)</sup>  
قال له عبد الملك : قول الأعشى لقيس بن معد يكرب أحب إلى  
من قولك :

وإذا تجي ، كتيبة ملومة      خرساء يخشى الدارعون نهالها  
كنت المقدم غير لابس جنة      بالسيف تضرب معلما أبطالها  
فقال : يا أمير المؤمنين : وصف الأعشى صاحبه بالعيش والخرق ،  
ووصفك بالحزم والعزم .  
فأرضاه .

قال المرزباني : رأيت أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعشى في هذا  
المعنى على قول كثير ، لأن المبالغة أحسن عندهم من الاقتصار على  
الامر الوسط .

والأعشى بالغ في وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الإقدام ،  
وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب ، ففي وصف الأعشى  
دليل قوى على شدة شجاعة صاحبه<sup>(٢)</sup> .

(١) يثود : يثقل ، والفتير : رموس مسامر الخروع . (٢) الموضح — ١٤٦ .

٤ - التوكيد :

وذلك أن التشبيه من شأنه أن يقرر شكل المشبه في الذهن ، ويعمق معناه ، ويلج عليه بالتثبيت ، ويرسم له في لوح الخاطر صورة بارزة المعالم . فإنك إذا مثلت الشيء بالشيء ، فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه ، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه والتنفير منه .<sup>(١)</sup>

وقد صرح العسكري بذلك في قوله : والتشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيداً ، ولهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، ولم يستغن أحد منهم عنه<sup>(٢)</sup> .

ويتجلى التوكيد في معرض واضح في التشبيه المحسوس ، وبخاصة إذا كانت أداؤه . كأن ، كقول الشاعر :

وتنقل من معشر في معشر      فكأن أمك أو أباك الزنبق .

وقول المتنبي بصف الخيل في الحرب :

قد كلتها العوالي فهي كالحة      كأنما الصاب مذرور على اللجم<sup>(٣)</sup>

وقوله :

أرى كل ذي مالك إليك مصيره      كأنك بحر والملك جداول

(١) المثل السائر - ١٥٥ . (٢) الصناعتين - ٢٣١ . (٣) كلامتها : جرحتها .



## الفصل الثامن

### تقسيم التشبيه

سلك البلغاء في تقسيم التشبيه طرقاً تختلف باختلاف أمزجتهم ولون ثقافتهم ونظرتهم العلمية أو الفنية .

وبعض هذه الطرق قاصد ، وبعضها طويل شاق ، وهو على طوله ومشقته لا يفتي إلى فائدة تذكر .

ويكفي أن نعلم أن ابن السبكي بلغ بأقسامه إلى تسعة وثلاثين ومائتي قسم<sup>(١)</sup> حتى يقين لنا مبلغ غلوهم في هذا الشأن .

وقد لفت هذا الإسراف نظر المرشدي ، فاعترض على السيوطي في اقتدائه بالخطيب في ذكر تقسيمات غير مجدية لا تنفرغ عنها أحكام متفاوتة ، مع اعترافه بأن السيوطي حذف كثيراً مما ذكره صاحب الأصل ، جرياً على عادته من ترك التكلم فيما له تعلق بالعلوم الحكمية حيث ذهب إلى تحريمها .

ورمى السكاكي بأنه نهج هذا السيل لبين عن معرفته باصطلاحات المتكلمين ، وأن الخطيب أوهم أنه لا يعرف هذه الاصطلاحات ، ثم أخل بما وعد من حذف الحشو والتطويل والفضول .

ثم حمد لعبد القاهر إحاطته بأسرار الكلام العربي ، وخصائص التراكيب البليغة ، واقتصاره في هذا المقام على الإكثار من إيراد الأمثلة لأنواع التشبيهات وتحقيق لطائفها .

### تقسيم المبرد .

وحينما نستعرض هذه التقسيمات نجد المبرد نظر إلى التشبيه نظرة فنية  
محضة ، فذكر أن العرب تشبه على أربعة أضرب <sup>(١)</sup> .  
فتشبيه مفرط ، وتشبيه مصيب ، وتشبيه مقارب ، وتشبيه بعيد يحتاج  
إلى التفسير ، ولا يقوم بنفسه ، وهو أخشن الكلام  
فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للسخي : هو كالبحر ، وللشجاع :  
هو كالأسد ، وللشريف سما حتى بلغ النجم .  
ثم زادوا فوق ذلك : فمن ذاك قول بعضهم - وهو بكر بن النطاح -  
لأن دلف العجلى :

له هم لا منتهى لكبارها      وهمته الصغرى أجل من الدهر  
له راحة لو أن معشار عشرها      على البر صار البر أندى من البحر  
ولو أن خلق الله في مسك فارس      وبارزه كان الخلق من العمر  
ومن التشبيه المتجاوز الجيد النظم قول أبي الطمجان :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم      دجى الليل حتى نظم الجزع ناقبه  
ومن التشبيه القاصد الصحيح قول النابغة :

وعيد أبي قابوس في غير كنهه      أتاني ودوني راكس فالضواجع <sup>(٢)</sup>  
فبت كأن ساورتني ضئيلة      من الرقش في أنيابها السم نافع <sup>(٣)</sup>

(١) الكامل : شرح المرسى ٠ - ٧ - ٣٣ إلى ٣٧

(٢) المسك ففتح فسكون : الجلد .

(٣) أبو قابوس : كنية العمان بن المنذر ؛ وراكس : اسم واد ، والضواجع : موضع .  
وكلاما يديار غطاهان .

(٤) الساورة : المواتية ، والضئيلة : الحية الدقيقة .



يسعد من نوم العشاء سليمها لحلى النساء في يديه قعاقع<sup>(١)</sup>  
تأذرها الراقون من سوء سمها تطلقه طوراً وطوراً تراجع<sup>(٢)</sup>  
فهذه صفة الخائف المهوم ، وذلك أن المهورش إذا ألح الوجع به تارة  
وأمسك عنه تارة ، فقد قرب أن يوأس من برئه .  
وإنما ذكر خوفه من النعمان وما يعثر به من لوعة في إثر لوعة والفترة  
بينهما ، والخائف لا ينام إلا غرراً فلذلك شبهه بالمدوغ المسد .  
وعرض لحلى النساء ، لأنهم كانوا يعاقونه على المدوغ يزعمون أن ذلك  
من أسباب برئه . لأنه يسمع تحققها فيمنعه النوم فلا ينام فيدب فيه السم ،  
ويسعد لذلك .

وأما التشبيه البعيد الذي لا يقوم بنفسه فكقوله :  
بل لو رأيت أخت جيراننا إذ أنا في الدار كأنى حمار  
فإنما أراد الصحة .

وهذا بعيد لأن السامع إنما يستدل عليه بغيره .  
وقد قال الله - جل وعز - وهو البين الواضح : « مثل الذين حملوا  
التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار الأتية ، في أنهم قد تعاموا عنها ، وأضر بواعن  
حدودها وأمرها ونهيها حتى صاروا كالخمار الذي يحمل الكتب ولا يعلم  
ما فيها .

ويلاحظ أن المبرد لم يمثل للقسم الذي سماه : المقارب

تقسيم فرامة .

وقد أثر قدامة الاقتصاد ، فاكثرت بتقسيم التشبيه قسمين .

(١) السلم : المدوغ ؟ سمي بذلك فخاملاً له بالسلامة .

(٢) تآذرها : خوف بعضهم بعضاً منها ، وعطلته : تخلف عنه أو جاعه فعود إليه قسه .

١ - تشبيه الأشياء في ظواهرها وألوانها وأقذارها ، كما شبهوا اللون بالخر ، والقدر بالغصن ، وكما شبه الله النساء في رقة ألوانهن بالياقوت ، وفي نقاء أبيضهن بالبيض ، وكأنهن بيض مكنون . .  
وقول آخر :

أيا شبه ليلى لا تراعى فاني لك اليوم من بين الوحوش صديق  
فعيناك عناها وجيدك جيدها خلا أن عظم الساق منك دقيق  
وقول آخر :

وردن اعتسافا والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلق<sup>(١)</sup>  
٢ - تشبيه المعاني ، كتشبيهم الشجاع بالأسد ، والجواد بالبحر ،  
والحسن الوجه بالبدر .

وكما شبه الله أعمال الكافرين في تلاشيا مع ظنهم أنها حاصلة لهم ،  
بالسراب يدخله الظلمان الذي قد وعد نفسه به فلا يجده شيئا .  
وكما شبه من لا ينتفع بالموعظة ، بالأصم الذي لا يسمع ما يخاطب به .  
وشبه من ضل عن طريق الهدى ، بالاعمى الذي لا يبصر ما بين يديه .  
ومن هذا النوع قول النابغة :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقول أبي تمام :

هو البحر من أي النواحي أتته فليته المعروف والجود ساحله  
وختم كلامه بقوله : وهذا كثير في القول وفي القرآن والشعر ، وما  
ذكرنا منه دليل على ما تركنا إن شاء الله<sup>(٢)</sup> .

(١) ابن الماء : كل طائر يألف الماء . (٢) قد انزل - ٥٩ .



والتأمل في تقسيم قدامة يرى أنه لم ينظر إلا إلى وجه الشبه فقط ، فالقسم الأول ، وجهه محسوس ، والآخر وجهه معقول .

### تقسيم العسكري :

وغالى أبو هلال العسكري في التقسيم ، فقسمه ابتداء إلى ثلاثة أقسام :

١ - تشبيه شيئين متفقين من جهة اللون ، مثل تشبيه الليلة بالليل ، والماء بالماء ، والغراب بالغراب ، والجرة بالجرة .

٢ - تشبيه شيئين متفقين يُعرف اتفاقهما بدليل . كتشبيه الجوهر بالجوهر ، والسواد بالسواد .

٣ - تشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما ، كتشبيه البيان بالسحر .

والمعنى الذى يجمعهما لطاقة التدبير ، ودقة المسلك .

وكتشبيه الشدة بالموت .

والمعنى الذى يجمعهما : كراهية الحال ، وصعوبة الأمر .

والنوع الأخير من التشبيه العقلى ، تشبيه معنى بمعنى ، والأولان من الحسى .

ولا يخلو هذا التقسيم من غموض واضطراب ونقص ، فالقسم الأول

مقصود على اللون وحده من المحسوسات ، والقسم الثانى يشوبه اللبس :

ما معنى شيئين متفقين يعرف اتفاقهما بدليل ؟

وما الفرق بينه وبين القسم الأول ؟ وما الفرق على الخصوص - بين

تشبيه الليلة بالليلة ، والماء بالماء ، والسواد بالسواد ؟

### تقسيم ثامنه .

ثم عاهد العسكري فقسمه من حيث الجودة إلى أربعة أقسام :

١ - إخراج ما لا يحس إلى ما يحس ، وهو ما يسمى لدى المتأخرين :

تشبيه المعقول بالمحسوس : كقوله - تعالى - ، والذين كفروا أعمالهم كسراب  
بقيعة يحسب الظمآن ماء . . . . . الآية .

والمعنى الذى يجمعهما : بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة .  
ولو قال : يحسب الراى لم يقع موقع الظمآن ، لأن الظمآن أشد فاقة إليه ،  
وأعظم حرصاً عليه .

٢ - إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة ، كقوله - تعالى - :  
« وإذا ننقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة » .

والمعنى الجامع الانتفاع بالصورة .  
أو إخراج ما جرت به العادة إلى ما لم تجر به ، كقوله - سبحانه - :  
« كأنهم أعجاز نخل منقعر » .

وكقوله : « فكانت وردة كالدهان » .  
والجامع : الحمرة ولين الجوهر .

٣ - إخراج ما لا يعرف بالبدية إلى ما يعرف بها ، كقوله - تعالى - :  
« جنة عرضها السموات والأرض . . . . . »  
والجامع بينهما : العظم .

وكقوله : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الخمار يحمل  
أسفاراً . . . . . »  
والجامع : الجهل بالمحمول .

٤ - إخراج ما لا قوة له فى الصفة إلى ما له قوة فيها . كقوله - عز  
وجل - : « وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام » .  
والجامع بين الأمرين : العظم .

وعلى هذا الوجه نجري أكثر تشبيهات القرآن ، وهى الغاية فى الجودة  
والنهاية فى الحسن .

ثم بقول : وقد جاء فى أشعار المحدثين تشبيه ما يرى بالعيان بما نال  
( م ٦ - من التشبيه )



بالفكر ، وهو ردىء . وإن كان بعض الناس يستحسنه لما فيه من اللطافة والدقة <sup>(١)</sup> .

وهذا التقسيم غير محدود أيضاً ، ولا غناء فيه ، ولا يستطيع ضبطه ، وبعضه يندرج تحت بعض .

وبكفى أن نعلم أنه مثل بالآيتين ، والذين كفروا أعمالهم كسراب . . . . .  
و ، مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها . . . . .

لقسمين مختلفين هما : إخراج ما لا يحس إلى ما يحس ، وإخراج ما لا يعرف بالبدية إلى ما يعرف بها ، مع أنهما معا من المركب العقلى .

### تقسيم ثالث له .

ثم عاد مرة ثالثة فقسمه إلى أقسام أخرى يزيد بها الخلط والاضطراب والتشعب ، فقال <sup>(٢)</sup> : والتشبيه بعد ذلك فى جميع الكلام يجرى على وجوه . منها :

١ - تشبيه الشيء بالشيء صورة - وهو عند المتأخرين تشبيه المحسوس بالمحسوس - مثل قوله - تعالى - والقمر قدرناه منازل - حتى عاد كالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . .

٢ - تشبيه الشيء بالشيء لوناً وحسناً ، كقوله - تعالى - : كأنهن الياقوت والمرجان ، . . كأنهن بيض مكنون . .

٣ - تشبيه الشيء بالشيء لوناً وسبوغاً ، كقول امرئ القيس فى الدرع :  
ومشدودة السك موضونة تضام فى الطن كالبرد

تقبض على المرء أردانها كقبض الأتى على الجدجد  
شبه الدرع بالسبل ، والجامع بينهما : البياض والسبوغ ، لأنها تعم الجسد كما تعم السبل الميككان الصلب .

(١) الصناعتين - ٢٢٦ إلى ٢٣٨ . (٢) الصناعتين - ٢٣٢ .

(٣) السك : درع الضيفة الخاق ؟ والموضونة : المنسوجة خاتين خاتين . والمضى :

أنها لا يبرأ تضام عضونها بعضها إلى بعض حتى تطوى حتى تشبه جزوز البرد .

٤ — تشبيهه به لونا وصورة كقول النابغة في الثغر :

كالأقحوان غداة غب سماءه جفت أعاليه وأسفله ندى  
شبه الثغر بالأقحوان لونا وصورة لأن ورق الأقحوان صورته  
كصورة الثغر سواء ، وإذا كان الثغر نقيا كان في لونه سواء .  
٥ — تشبيهه به لونا فقط ، كقول زهير :

وقد صار لون الليل مثل الأرنج

٦ — تشبيهه لونا وهو لا ، كقول امرئ القيس :

وليل كوج البحر مرخ سدوله على بأنواع الهموم ليتلى

٧ — تشبيهه به معنى — وهو المسمى تشبيه المعقول بالمعقول —  
كقول النابغة يمدح النعمان :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب

وهذا التقسيم — كما ترى — يمكن إدخاله تحت تشبيه المحسوس بالمحسوس  
والمعقول بالمعقول ، فلا معنى لتمديده وتضييطة على هذه الصورة .

ولو سلكتنا نهج العسكرى لتشعبت أقسام التشبيه إلى غير نهاية ، لأن  
المعاني لا يمكن حصرها واستقصاؤها .

ولكن من الحق أن نشيد بفضل الرجل ؛ فقد وسع دائرة التشبيه بما  
قسم من أقسام ، وبين من حدود ، ووضع من شروط ، وساق من أمثال  
كثيرة بارعة لكل قسم .

هذا إلى شعب كثيرة فرعها على ما أصله الأقدمون ، وألوان من النقد  
وشع بها مباحثه المختلفة ، فعصمها من الجساسة والجفاف .

(١) الآتي : السيل ، والجند : الأرض الغليظة .

(٢) الأرنج : جلد أسود نعل منه الخفاف .



ولا شك أن ما كتبه العسكري في التشبيه فتح الباب على مصراعيه لمن  
جاموا بعده، ومهد لهم الطريق فبنوا على أسس متينة، وسلكوا أرضاً دمهنة  
وجنوا قطفاً مذللة، وكثير من أمثالهم هي أمثاله التي اختارها بنصها وفحصها.

تقديم عبد القاهر:

وذكر عبد القاهر أن التشبيه ضربان<sup>(١)</sup>:

١ — صريح وهو ما يكون من جهة أمر بين لا يحتاج فيه إلى تأويل  
كتشبيه الشيء بالشيء في الصورة والشكل؛ نحو أن تشبه الشيء إذا استدار  
بالكرة في وجهه، وبالحلقة في وجه آخر.  
وكالتشبيه من جهة اللون، كتشبيه الخد بالورد، والشعر بالليل؛ والوجه  
بالنهار، وسقط النار بعين الديك.  
وكالتشبيه من حيث الصورة واللون؛ كتشبيه الثريا بعنقود الكرم  
المنور.

وكالتشبيه من جهة الهيئة، كتشبيه القامة بالرمح، والقدر اللطيف بالغصن.  
ويدخل في الهيئة حال الحركات في أجسامها، كتشبيه الذهاب على الاستقامة  
بالسهم السديد، ومن تأخذه الأريحية فيهتز بالغصن تحت البارح.  
ويدخل في الصريح كل تشبيه يتعلق بالحواس: من مدوس ومرأى  
ومسموع ومشموم ومذوق، ولو كان وجه الشيء مركباً كالبيت المشهور  
لقيس بن الخطيم:

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى      كعنقود ملاحية حين نورا  
وكقول ابن المعتز:

وأرى الثريا في السماء كأنها      قدم تبتت في ثياب حسداد

(١) انظر أسرار البلاغة ص ٦٦ إلى ٧٠.

فالشبه في هذا كله بين لا يجري فيه التأول ، ولا يفتقر إليه في تحصيله .

٢ - تشبيه مؤول وهو أن يكون الشبه فيه محصلاً بضرب من التأول ولو كان الوجه مفرداً ، ويتفاوت تفاوتاً شديداً ، فيه القريب المأخذ ، السهل المأثى ، كقولهم في صفة الكلام : ألفاظه كالماء في السلاسة . وكالنسيم في الرقة ، وكالعسل في الحلاوة .

يريدون أن اللفظ لا يستغلق ، ولا يستبهم معناه ، ولا يصعب الوقوف عليه ، وليس هو بغريب وحشي يستكره ، لكونه غير مألوف ، أو ما ليس في حروفه تكرير وتناثر يكدر اللسان من أجلهما ، فصارت لذلك كالماء الذي يسوع في الحلق ، والنسيم الذي يسرى في البدن ويتخلل المسالك اللطيفة منه ، ويهدي إلى القلب روحاً ، ويوجد في الصدر انشراحاً ، ويفيد النفس نشاطاً ، وكالعسل الذي يلد طعمه وتهش النفس له . ويميل الطبع إليه ، ويحب وروده عليه .

فهذا كله تأول ورود شيء إلى شيء بضرب من التلطاف .

ومنه ما تقوى فيه الحاجة إلى التأول حتى لا يعرف المقصود من التشبيه فيه بديهة السماع . كنحو قول كعب الأشقرى يصف أبناء المهلب للحجاج - متمثلاً بقول فاطمة بنت الحرث بن الأنمارية - : هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها .

فهذا - كما ترى - ظاهر الأمر في فقره إلى فضل الرفق به والنظر ، ألا ترى أنه لا يفهمه حق فهمه إلا من له ذهن ونظر يرتفع به عن طبقة العامة .

ومن هذا الضرب تشبيه التمثيل الذي يحصل فيه الشبه بضرب من التأول .

تقسيم ابن رشيق .

وذكر ابن رشيق : أن التشبيه عند الرماقي يأتي على ضربين والأصل واحد وهما :



- ١ — تشبيه التقدير — وهو التشبيه من وجه واحد دون وجه — .
  - ٢ — تشبيه التحقيق — وهو التشبيه على الإطلاق ، أو التشبيه بالنفس —  
مثل تشبيه الغراب بالغراب ، وحجر الذهب بحجر الذهب — إذا كان مثله  
سواء — وحرمة الشقائق بحمرة الشقائق .  
ويلحظ أن القسم الأخير يخالف ما اشترطوه في أن الطرفين يجب ألا  
يتفقا في جميع الجهات ، وألا يختلفا كذلك .  
وأورد ابن أبي الإصبع في كتابه ، تحرير التحجير ، تقسيما آخر للرمانى ،  
بعد خير آما تقدم ، وإن أشبهه في الجملة ، وهو :
  - ١ — تشبيه حقيقى — أو تشبيه الاتفاق — وهو تشبيه شئين متفقين  
بأنفسهما ، كتشبيه الجوهر بالجوهر ، مثل قولك : ماء النيل كماء الفرات .  
وكتشبيه العرض بالعرض ، كقولك حمرة الخند كحمرة الورد .  
وكتشبيه الجسم بالجسم ، كقولك : الزبرجد مثل الزمرد .
  - ٢ — تشبيه مجازى — أو تشبيه الاختلاف — وهو تشبيه شئين مختلفين  
بالات ، لجمعهما معنى واحداً مشتركاً ، كقولك حاتم كالغمام ، وعنبرة  
كالضربان<sup>(١)</sup> .
- وما رآه الرمانى من تقسيم التشبيه إلى حقيقى ومجازى ، أو إلى ما اتحد  
ذاتاً واختلف صفة وبالعكس ، هو — فى نظرى — أفضل تقسيم وأوجزه  
وأجمعه .

### تقسيم السطحي :

وللسكاكى وتلاميذه تقسيم آخر نظر فيه إلى الطرفين وقد جاء على  
أربعة أقسام :

١ - تشبيه محسوس بمحسوس - وهو تشبيه صورة بصورة أو إخراج ما تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه - كقول السري الرفاء :

خفقت راية الصباح ولنا رطيب كالراية الصفراء  
لمعت للعيون بعد اسوداد فأضادت حنادس الظلماء  
واستقرت تحت الرماد غفيلت ذهباً تحت فضة بيضاء

٢ - تشبيه معقول بمعقول - وهو تشبيه معنى بمعنى أو إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما لا تقع عليه - كقول البحري :

فقر كفقير الأنبياء وغربة وصباية ليس البلاء بواحد  
وقول حافظ :

معنى الذ من الشما تة بالعـــدو المدبر

٣ - تشبيه معقول بمحسوس - وهو تشبيه معنى بصورة ، أو إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه - كقول ابن منير الطرابلسي :

زعم كنباج الصباح وراه عزم كحد السيف صادق مقتلاً

٤ - تشبيه محسوس بمعقول - وهو تشبيه صورة بمعنى أو إخراج ما تقع عليه الحاسة إلى ما لا تقع عليه - كقول جحظة الهرمكي :

أترجة كالسك في طيبه والتبر في بهجة إشراقه  
كأنها في كف أستاذنا مخلوقة من طيب أخلاقه  
وقول أبي طالب المأموني في الحمام :  
ويدت كأحشاء الحب دخلته  
وقول الواواء الدمشقي :

وحديث كأنه أوبة من مسافر  
كان أحلى من الرقا د لى طرف ساهر

بت ألهو بطيه في رياض زواهر  
بين ساق وسامر ومغن وزامر

وقول آخر :

رب ليل كأنه أملى فيك م وقد رحت عنك بالحرمان  
وسنعرض لهذا النوع بالتفصيل في موضع آخر .  
ويلاحظ أن السكاكي لم ينكر هذا التقسيم ، فهو موجود في ثانياً  
تقسيمات العسكري .  
ولكن لا يمكن نكران ما اتسم به هذا التقسيم من دقة وضبط وحصر  
ولا عيب في ذلك إذا تجرد من الغلو .

وعبد القاهر — على حظه العظيم من الفنية — لم ينكر فائدة ذلك ، فقال  
إن لو وضع القوانين ، وبيان التقسيم في كل شيء ، ونهية العبارة في الفروق فائدة  
لا ينكرها المميز ، ولا يخفى أن ذلك أتم للغرض .<sup>(١)</sup>  
ولكن الذي يؤخذ على هذه المدرسة إغراقها في التقنين والتحديد حتى  
قيدت النشاط البلاغي ، وحجرت ما وسعه الفكر ، وألقت بالعلم مكبلاً  
بين أربعة جدران .

تقسيم ابن الأثير :

وذهب ابن الأثير<sup>(٢)</sup> في تقسيمه مذهباً يجمع بين الطرافة والفائدة ،  
فقسمه ابتداءً إلى قسمين : مظهر ومضمّر .

وذكر أن المضمّر يشكل تقدير الأداة في بعض مواضعه .

ثم قسم المضمّر خمسة أقسام :

الأول : يقع موقع المبتدأ والخبر مفردين كزيد أسد .



فهذا مبتدأ وخبره .

وإذا قدرت أداة التشبيه فيه كان ذلك بديهة النظر على الفور ، فقل :  
زيد كالأسد .

والثاني : يقع موقع المبتدأ المفرد ، وخبره جملة مركبة من مضاف  
ومضاف إليه ، كقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « الكأمة جدرى الأرض »  
وإذا كان المضاف إليه معرفة كهذا الخبر النبوي لا يحتاج في تقدير أداة  
التشبيه إلى تقديم المضاف إليه ، بل إن شئنا قدمناه وإن شئنا أخرناه ، فقلنا :  
الكأمة للأرض كالجدرى أو الكأمة كالجدرى للأرض .  
وإذا كان المضاف إليه نكرة فلا بد من تقديمه عند تقدير أداة التشبيه .  
فمن ذلك قول البحري :

غمام سماح لا يحب له حياً ومسر حرب لا يضيع له وتر  
فإذا قدرنا أداة التشبيه ههنا قلنا : سماح كالغمام .

ولا يقدر إلا هكذا ، والمبتدأ في هذا البيت محذوف وهو الإشارة  
إلى الممدوح ، كأنه قال : هو غمام .  
ومن هذا النوع ما يشكل تقدير أداة التشبيه فيه على غير العارف بهذا  
الفن كقول أبي تمام :

(٢) عن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - : خرج على الصعابة وهم يذكرون  
الكأمة ، وبعضهم يقول : هي جدرى الأرض ، فقال - صلوات الله عليه - : « الكأمة من المن  
وماؤها شفاء للدين » .

قال الزجاج : المن كل ما يمن به - تعالى - مما لا تعب فيه ولا نصب .

وهذا هو المراد من حديث : الكأمة من المن .

وقال أبو عبيدة : إنها كالي الذي كان يسقط على بني إسرائيل سهلاً بلا علاج ، فكذا  
الكأمة لا مثونة فيها ينذر ولا سقى .

أى مرعى عين ووادى نسيب لحبته الأيام فى ملحوب<sup>(١)</sup>  
ومراد أبى تمام أن يصف هذا المكان بأنه كان حسناً ثم زال عنه  
حسنه ، فقال : إن العين كانت تلتذ بالنظر إليه كالتذاذ السائمة بالمرعى .  
وإذا قدرنا أداة التشبيه ههنا قلنا : كأنه كان للعين مرعى وللنسيب  
منزلاً ومألفاً .

وإذا ما جاء شئ من الآيات الشعرية على هذا الأسلوب أو ما يجرى  
مجراه فإنه يحتاج إلى عارف بوضع أداة التشبيه فيه .

والثالث : يقع موقع المبتدأ والخبر جملتين ، كقول النبي - صلى الله  
عليه وسلم - : « وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار جهنم إلا حسانه ألسنتهم » .  
كأنه قال : كلام الألسنة كحساند المناجل .

وهذا القسم لا يكون المشبه به مذكوراً فيه بل تذكر صفته ، ألا ترى  
أن المنجل لم يذكر ههنا وإنما ذكرت صفته وهى الحصد .

وكل ما يجىء من هذا القسم فإنه لا يرد إلا كذلك .

وبعد القسم الثانى والثالث متوسطين بالنسبة إلى تقدير أداة التشبيه فيهما .  
والرابع : يرد على وجه الفاعل والمفعول كقوله - تعالى - : « والذين  
تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم » .

وتقدير أداة التشبيه فى هذا الموضع أن يقال : هم فى إيمانهم كالتبوىء  
داراً : أى إنهم قد اتخذوا الإيمان مسكناً يسكنونه ؛ يصف بذلك تمسكهم منه .  
وعلى هذا ورد قول أبى تمام :

نطقت مقلة الفتى الملهوف فتشكت بفيض دمع ذروف

(١) ويجوز مرعى عين بكسر العين : وهو بقر الوحش على إرادة النساء ذوات العيون  
السود الواسعة ، ولحبه : قشرته .

وإذا أردنا أن نقدر أداة التشبيه ههنا ، قلنا : دمع العين كمنطق اللسان  
أو قلنا : العين الباكية كأنما تنطق بما في الضمير .

والقسم الخامس : يرد على وجه المثل المضروب ، كقول الفرزدق  
هجو جريرا :

ما ضرَّ تغلبَ وائلُ أهجوتها أم بليت حيث تناطح البحران  
فشبه هجاء جرير لتغلب وائل بهوله في مجمع البحرين ، فكما أن البول في  
مجمع البحرين لا يؤثر شيئا فكذلك هجاؤك هؤلاء القوم لا يؤثر شيئا .  
وكذلك ورد قوله :

قوارص تأتيني ويحتقرونها وقد يملأ القطر الإنياء فيفعم<sup>(١)</sup>  
فإنه شبه القوارص التي تأتيه محتقرة بالقطر الذي يملأ الإنياء على صغر  
مقداره : يشير بذلك إلى أن الكثرة تجعل الصغير من الأمر كبيرا ،  
والقسم الرابع والخامس أشكال الأقسام في تقدير الأداة .

### نقسم للملابي .

يقى نقسم أورده الخلابي<sup>(٢)</sup> وقال عنه : ذكر بعض المؤرخين في التشبيه  
سبعة أنواع نحن نورد ههنا وإن لم تكن كلها منه وهي :

١ - التشبيه المطلق ، وهو أن يشبه شيئا بشيء من غير عكس ولا تبديل ؛  
كقوله - تعالى - : « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » ،  
« وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام » ،

« كأنهم أعجاز نخل خاوية » ،

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الناس سواسية كأسنان المشط » ،



٢ - التشبيه المشروط ، وهو أن يشبه شيئاً بشيء لو كان بصفة كذا ،  
ولولا أنه بصفة كذا ، كقوله : أشبه وجه مولانا بالعيد المقبل لو كان العيد  
تبقى ميامنه ، وتدوم محاسنه .  
وكقوله : وجه هو الشمس لولا كسوفها ، والقمر لولا خسوفه .  
وكقول الوطواط :

عزماته مثل النجوم ثواباً لو لم يكن للثاقبات أفول  
٣ - تشبيه الكناية : وهو أن يشبه شيئاً بشيء من غير أداة تشبيه ،  
كقول المتنبي :

بدت قرأ وماست خوطاً بان وفاحت عنبراً ورنث غزالا  
٤ - تشبيه التسوية : وهو أن يأخذ صفة من صفات ، نفسية ، وصفة  
من الصفات المقصودة ، ويشبهها بشيء ، كقوله :  
صدخ الحبيب وحلى كلاهما كالألحاح إلى

وقول الحلبي :  
كلانا غريق في الدموع وفي الدجى كأن دموع العين والليل طوفان  
٥ - التشبيه المعكوس : وهو أن يشبه شيتين كل واحد منهما بالآخر .  
كقول بعضهم : كم من دم أهرقناه في البر ، وشخص أغرقناه في البحر ، فأصبح  
البر ببحراً بدمائهم ، والبحر برأ بأشلائهم .  
وكقول منصور الهروي :

الراح مثل الماء في كاساتها والماء مثل الراح في الغدران  
٦ - تشبيه الإضمار ، وهو أن يكون مقصود التشبيه بشيء ،  
وبدل ظاهر لفظه على أن مقصوده غيره ، كقول المتنبي :

ومن كنت جاراً له يا علي لا يقبل الدر إلا كباراً<sup>(١)</sup>  
فبدل ظاهره على أن مقصوده الدر ، وإنما عرضه تشبيه الممدوح بالبحر .  
وكقول الشاعر :

إن كان وجهك شمعاً فما جسمي يذوب  
٧ - تشبيه التفصيل : وهو أن يشبه شيئاً بشيء ، ثم يرجع فيرجع المشبه  
على المشبه به ، كقول الشاعر :  
حسبت جماله بدرأ مضيئاً وأين البدر من ذاك الجمال

---

(١) علي : هو سيد الدولة الحمداني .

## الفصل التاسع

### أركان التشبيه

للتشبيه أربعة أركان :

المشبه والمشبّه به ، ويقال لهما : طرفا التشبيه .

وأداة التشبيه ، ووجه الشبه .

مثل قول ابن الفارض :

أعوام إقباله كالأيوم في قصر . . ويوم إعراضه في الطول كالخبيج

وعبر السكاكي عن أداة التشبيه : بكلمة « التشبيه »<sup>(١)</sup> .

وذهب الخوى في الأركان مذهباً آخر ، فرأى أنها : المشبه ، والمشبّه

به ، والمشبّه بالكسر — وهو المتكلم — والتشبيه — وهو الإلحاق المذكور في الشبه<sup>(٢)</sup> — .

فأغفل أداة التشبيه ووجه الشبه .

ولكن لما كان الإلحاق لا يتم بغير أداة تشبيه ووجه شبه ، يمكن أن

نعتبر أنه قد أتى بهما ضمناً .

طرفا التشبيه :

طرفا التشبيه هما : الركنان الأساسيان فيه .

ولا بد من اتحادهما في الحقيقة أو اشتراكهما في الذات ، مع اختلافهما

في الصفة ، أو اتحادهما في الصفة مع اختلافهما في الحقيقة أو الذات .

(١) مفتاح العلوم — ١٨٩

(٢) غزاة الأدب — ٢١٦



لأن التشبيه يقتضى الاختلاف فى بعض الجهة والاشتراك فى بعضها .  
إذا الاشتراك من جميع الوجوه حتى الاتحاد الذى يأتى التعدد ، أو الاختلاف  
من جميع الوجوه حتى التعيين الذى يأتى المقاربة ، لا يتأتى به تشبيه البتة .  
فأطراف التشبيه أشبه شئ بالبشر ، فهم جميعاً يشتركون فى صور خاصة ،  
وفى سمات يُعرفون بها أنهم بشر .

وفى الوقت نفسه لا نجد فيهم اثنين متشابهين مطلق التشابه .  
فهنا موضوعان كل منهما حقيقى فى نطاق حدود معينة ، وهما التشابه  
والتغاير ، أو الائتلاف والاختلاف .

مثال الأول : تشبيه إنسان بإنسان مع اختلافهما طولاً وقصرآ ، أو جدانة  
ونحافة ، أو يابضا وسوادآ إلى غير ذلك .

وكتشبيه العذو بالطيران ، لأنه ليس بينهما اختلاف إلا بالسرعة والبطء .  
وكقول عمر بن أبى ربيعة :

يتقابلن كالبدور على الأغصان م فى مُثَقِّل من الأرداف  
بمخصور تحكى خصور الزناير م ضعاف هممن بالإنقصاف  
وقول قيس بن ذريح :

أقضى نهارى بالحديث وبالمنى ويجمعنى والهمم بالليل جامع  
نهارى نهال الناس حتى إذا بدا لى الليل هزتنى إليك المضاحح  
وقول المتنبي - فى هزيمة سيف الدولة لعساكر الإخشيد بصفين - :  
أو ما ترى صفين كيف أقيتها فانجباب عنها العسكر الغربى  
فسكرانه جيش ابن حرب رعنه حتى كأنك باعلى على<sup>(١)</sup>

(١) على الأول : سبب الدولة ، ونهاى : الإمام أبو الحسن .

وقوله :

كم مهمه قَذَفَ قلبُ الدليل به      قلب المحب قضاني بعدما مطلا<sup>(١)</sup>  
وقوله :

نصيبك في حياتك من حبيب      نصيبك في منامك من خيال  
وقول شاعر :

ليلي بتنيس ليل الخائف العاني      تفنى الليالي وليلى ليس بالفاني  
وقول آخر :

عهدي بنا ورداء الليل يجمعنا      والليل أطوله كاللح بالبحر  
والآن ليلي مذبانوا - فديتهم -      ليل الضرير فصبحي غير منتظر

ومثال الثاني تشبيه الإنسان بالقرود والخنزير ، كقول أبي دلالة :

إذا لبس العامة كان فردا      وخنزيراً إذا خلع العامة  
وكتشبيهه بالجواد في قول المتنبي :

فدى لأبي المسك الكرام<sup>٢</sup> فإنها      سوابق خيل يهتدين بأدهم  
وتشبيهه بالجواد والسيف في قول المعري :

وإني جواد لم يُحَلَّ لجامه      ونصل يمان أغفله الصياقل  
وتشبيهه بالنجم في قول المتنبي :

وإني لنجم تهدي صحبتي به      إذا حال من دون النجوم سحاب  
وقد يقال : إن الطرفين متحدان في مثل : كأن زيدا قائم .

والجواب : أن الاختلاف في التقدير ؛ إذ تقديره : كأن زيدا رجل قائم : أي من أفراد الرجل .

وقد يقال : كأن زيدا قائم : للشك ، كما صرح به الزجاج ، إذا كان خبرها صفة مشتقة أو فعلا ، أو كأن للتحقيق عند بعضهم<sup>(٣)</sup> .

(١) المهمة : الغلاة التاسعة . والقذف بفتحين : العبر .

(٢) شرح القوائد القيانية - ١٩٧ .

وأحوال التشبيه من القوة والأهمية ، والعموم والخصوص ، عائدة إلى المشبه به حقيقة .

وأغراضه من بيان الحال وتقريره إلى آخره عائدة إلى المشبه حقيقة إلا في التشبيه المقلوب ، فإن الأغراض تعتبر في المشبه به هناك .

ومرد ذلك إلى أن الأصل في التشبيه أن يقصد به إلحاق الناقص بالزائد في الصفة المطلوبة ، لأنه قد تقرر في أصل الفائدة المستنتجة من التشبيه - كما يقول ابن الأثير - :

أن يشبه الشيء بما يطلق عليه لفظه ، أفعل ، .

أى يشبه بما هو أئين وأوضح ، أو بما هو أحسن أو أقيح .

وكذلك يشبه الأقل بالأكثر ، والأدنى بالأعلى <sup>(١)</sup> .

وهو معنى قول السكاكي : ... المشبه به من حقه أن يكون أعرف

بجهة الشبه من المشبه ، وأخص بها ، وأقوى حالا معها <sup>(٢)</sup> .

وقول العلوي : المشبه به أعظم حالا من المشبه في كل أحواله <sup>(٣)</sup> .

وقد وقع على الندرة مجيء المشبه أقوى من المشبه به في غير القلب :

كقوله تعالى : والله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ،

إذ لا نور أعلى من نوره - عز وجل - ولسكنه جاء كذلك ، تقريباً

لأذهان المخاطبين .

والمدح في التشبيه يجري على المتعارف من تشبيه الأدنى بالأعلى ،

ولكن في الذم يشبه الأعلى بالأدنى ؛ لأن مقام الذم مقام الأدنى ، والأعلى

طارىء عليه .

تقول في المدح : حصاء كالياقوت ، وتراب كالمسك ، ورمل كالخنازير ،

وورق كالفضة .

(٢) مفتاح العلوم - ١٨٤

(١) المثل السائر - ١٦٥

(٣) الطراز - ٣ - ٢٢٧



وكقول المتنبي :

تذكرت ما بين العذيب وبارق      جمر عوالينا ومجرى السوابق  
ولبلا توسدنا التوبة تحته      كأن تراها عنبر في المرافق<sup>(١)</sup>

وفي الذم تقول : ماس كالزجاج ، ودر كالخزف ، وقمح كالزؤان ،  
ودقيق كالجير .

وكقول أبي هفان في ذم باهلة :

أباهلُ يفيحني كلبكم      وأسدكم كلاب العرب  
ولو قيل للكلب يا باهل      عوى الكلب من لؤم هذا النسب  
وقول داود الأنطاكي :

بيضاء تجلو الهم عن ناظري      بعين حق لا بعين انتقاص  
فقل لمن يرغب في أسمر      ما الفضة البيضاء مثل النحاس  
وقول آخر :

وكن كذئب السوء لما رأى دما      بصاحبه يوما أحال على الدم<sup>(٢)</sup>  
وكذلك يشبه الأعلى بالأدنى في السلب .

ومنه قوله - تعالى - : يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ،  
أى في النزول لا العلو .

وقوله - عز وجل - : أم نجعل المتقين كالفجار ،  
أى في سوء الحال .

وكقول طرفة :

فتى ليس بابن العم كالدئب إن رأى      بصاحبه يوما دما فهو آكله

(١) التوبة : موضع بقرب السكوفة .

(٢) أحال : أنزل ، وضرب اللؤم بالدئب في الحياة ، وربما كانت الذئبة مع ذئبها فيرى  
الدئب فتشد عليه وتأكله .

وقد يقع العكس كقول العسكري :  
أفضل الورد على الفرحس لا أجعل الأنجم كالشمس  
ليس الذي يقعد في مجلس مثل الذي يمشي في المجلس  
« رد » بين المشبهين .

وبما نحن فيه قول الحريري : غدوت ولا اغتداء الغراب (١) .  
محذوف مثل وأقيم المضاف إليه مقامه ، ولولاد لم تنصب لأنه معرفة  
وقال الفنجدي : رفعه أبلغ من نصبه  
والمعنى : أراد أن اغتداه كان قبل اغتداء الغراب ، وهو أكثر الطيور  
بكورا .

وهذا وما شابهه كثير في قول الكتاب ، والمشبه فيه أقوى من المشبه  
به ، ولم يأت مثله عن العرب بل عكسه ، كقولهم : فتى ولا كالك : يريدون  
أن مالكاً أفضل من كل فتى .

ومثله : مرعى ولا كالسعدان : أى السعدان أفضل من كل مرعى .  
ثم يقول : هذا مذهب العرب في ذكر ، لا ، بين المشبهين ، وما وقع  
في كلام الحريري انقلب فيه المعنى ، وهو كثير في كلام عامة العراق ، وقد  
استعمله البديع في مقاماته . والمولدون في أشعارهم .

(١) ومثله ما كتبه المالكى إلى العباسي : قرأت خبر سلامتك ، فدرى السرور في الجوانح ،  
واعترت النفس له اهتزاز الغصن تحت البارج .  
أليس لأخبار الأحبة فرحة ولا فرحة العيشان فاجأ القطر  
زهر الآداب - ٢ - ٩٤  
ومن ذلك قول المتنبي :

وكل شجاعة في المرء تنفي ولا مثل الشجاعة في الحكيم  
ومثل : اسم لا وإن كان مضافاً إلى معرفة ، لأنه من الأسماء التي لا تعرف بإضافتها إلى  
المعارف ، والخبر محذوف : أى ولا مثل الشجاعة في الحكيم . وجوده : يريد أن كل شجاعة  
تنفع صاحبها وتدرأ عنه الحيف والظلم والأذى ، ولكنها مع ذلك لا تقاس بشجاعة الحكيم  
المفرونة بالحزم وبعد النظر والتفكير في العواقب .

ويقول الخفاجي : استعمله العرب على الترفي والحريري على عكسه ،  
وليس مثله بما يتوقف على السماع ، لأنه ليس فيه ما يخالف كلام العرب في  
معاني المفردات ولا في قواعد الإعراب ، ومثله لا يتوقف على النقل ، والمعاني  
لا حرج فيها ، مع أن الشعالي في كتابه بحر البلاغة ، نقل مثله عن العرب  
ولم ينتقده .

ويقول الخفاجي : ثم إنني ظفرت بهذا الاستعمال بعينه في كلام العرب  
الفصحاء ، كقول يزيد بن الريان في شعر قاله في قصة وقعت بينه وبين عامر  
ابن الطفيل العامري ، وهو :

أمرى بأبن الأسكر بن مدج لا تجعل هوانا كما ذبح  
لا تتبع في مفرسه كالعوسج ولا الصريح المحضر كالمزج<sup>(١)</sup>  
ثم يقول : والحاصل : أن نبي مشابهة شيء لشيء إما لأنه دونه أو فوقه  
لأن المشبه به أعلى مرتبة منه ، وقد وقع في أول حواشي التلويح ، كلام  
فيه ، حيث قال في وصف الكتاب : اشهر ولا كاشتهار الشمس في رائعة  
النهار ، مع أن لكل وجه من البلاغة حسن في بابه .  
وفي الشعر القديم :

طرق الخيال لا كيلة مدج<sup>(٢)</sup>

وقد يفيد المشبه به معنيين :

أحدهما محسوس ، كتشبيه المصابيح بالنجوم في لمعانها وإشعاعها .  
والآخر معقول ، كتشبيه الرسول - صلوات الله عليه - أصحابه بها  
في الهداية حيث يقول : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم  
فهذا شبه عقلي .

(١) التيم : شجر القسي والسهام ، والعوسج : الشوك ، والصريح : الخالص من  
كل شيء .

(٢) طراز المجالس - ١٢٢ - ١٢٣ .



والمعنى : أن الناس يهتدون بهم كما يهتدى السارى فى ظلمة الليل البهيم  
بالنجوم ، قال - تعالى - : وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها  
فى ظلمات البر والبحر .

وقد يكون للمعنيين متضادين .

وذلك كرقية الحيات ، فإنها تضرب مثلاً فى شيتين متضادين :  
أحدهما الكلام الطويل الذى لا يفهم ، كقول على بن الجهم فى وصف  
توقيعات ابن الزيات :

على ابن عبد الملك الزيات      لعائن الله موخرات  
يرمى الدواوين بتوقيعات      مطولات ومقصرات  
أشبه شئ برقى الحيات

والآخر : الكلام الذى يزيل السخيمة ويصلح ذات البين ، وهو اللين  
اللطيف كما قال أبو تمام :

خذها مثقفة القوافى زنتها      بسوابغ النعماء غير كنود  
كالدر والمرجان ألف نظمه      بالشذر فى عنق الفتاة الرود  
كشقيقة البرد المنعم وشبهه      فى أرض مهرة أو بلاد تزيد<sup>(١)</sup>  
كرقى الأساود والأراقم طالما      نزع تحات سخائم وحقوق<sup>(٢)</sup>  
وكبيضة البلد ، فإن العرب تمدح بها وتذم  
فمن مدح بها جعلها أصلاً كما أن البيضة أصل الطائر .  
ومن ذم بها أراد ألا أصل له .

(١) مهرة : من أماليك جزيرة العرب ، وتزيد : أبو قبيلة ، ومنه البرود الزيدية وبها  
خطوط حمراء .  
(٢) التحات : جميع حمة بالضم ، ومنه الدم أو الإبرة يضرب بها الزنبار أو الحية  
ونحو ذلك .

فمن الأول قول أخت عمرو بن مود العامري، حين قتله علي بن أبي طالب  
في غزوة الخندق :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله      لكنت أبكى عليه آخر الأبد  
لكن قاتله من لا يعاب به      وكان يدعى قديماً بيضة البلد

ومن الثاني قول الراعي يهجو عدى بن الرقاع العاملي :

لو كنت من أحد يهجي هجوكم      يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد  
فأبي قضاة أن ترضى لكم نسباً      وإنا نزار فأنتم بيضة البلد<sup>(١)</sup>

(١) إنا نزار : مضر ، وريعة .

## الفصل العاشر

### التمليح والتهكم

قد يقع التشبيه بين الضدين والمختلفين ، كقولك : العسل في حلاوته كالصبر في مرارته ، أو كالخل في حوضته .

ومن ذلك قولك للبخيل : هو حاتم في الكرم ، والليبان : هو عنبرة في الشجاعة ، واللعبي : هو سحبان في الفصاحة .

غير أنه لا بد لصحة ذلك الأخذ من غرض ، وهو التمليح أو التهكم . فلا يكفي مطلق الاشتراك ، كأن تقول : السماء كالأرض في الانخفاض ، والأرض كالسما في الارتفاع ، ونحو ذلك مما لم يصح وروده عن البلغاء .

والتلميح لغة : هو الإتيان بما فيه ملاحظة وظرف . يقال : ملح الشاعر بالتشديد كفرح : إذا أتى بشيء مليح ، وفلان يتظرف ويتملح ، وحدثته بالملح .

قال الطرماح يخاطب زوجته سليمة :

تملح ما استطاعت وبغلب دونها      هوى لك بنفسى ملحة المتملح  
والتهكم : الاستهزاء كأن تقول للقيح : هو يوسف في الحسن ، وكما تقدم في الأمثلة السابقة .

وتهكم به : نهزأ به ، وقال ذلك على سبيل التهكم . قال حسان :  
يحي أم البنين ألم يرعكم      وأنتم من ذوائب أهل نجد  
تهكم عامر بأبي براء      ليخفره وما خطأ كعمد



وعن الأصمعي : أنه قال في قول زهير :  
فتغالي لكم ....<sup>(١)</sup>

هذا منه تهكم<sup>(٢)</sup> .

ومن ذلك قول شاعر في رجل اسمه عون :

الجود حاتم طيء وحاتم البخل عون  
له مطابخ بيض والعرض أسود جون

ومعناهما في اصطلاح البلغاء : إطلاق اللفظ الدال على وصف شريف على ضده ، كإطلاق الكرم على البخل ، والأسد على الجبان . ولا يصح معهما العكس ؛ كإطلاق البخل على الكريم ، والجبان على الأسد .

ولهذا اشترط الزمان في هذا الضرب من التشبيه أن يكون مصحوباً بتقيد وتفسير .

وقد يقع كل من التلميح والتهكم منفرداً ، وقد يجتمعان معا والأمثلة كلها صالحة لذلك ، فإذا قلت للدميم : أنت يوسف في الجمال أمام من يستملح مثل ذلك الحديث ويستظرفه ، وقامت القرائن على أنك لا تقصد الاستهزاء بالمشبه ، لصداقة بينكما تجعله جليل المكانة عظيم القدر في نفسك ، كان الغرض لا بحالة التلميح .

وإن قامت القرائن على قصدك اتخاذ هزواً ونصبه سخريه ، لعداوتك له وسخطك عليه ، مع عدم وجود سامع يستملح النكات ، ويستظرف النوادر ، ويستجيد الملح تقصده بحديثك ، كان الغرض التهكم حتماً . وإن قامت القرائن على قصدك التهكم والتلميح معا ، بأن كان المشبه خصماً

(١) يريد البيت :

فتغالي لكم ما لا تغل لها قري بالعراق من قفيز ودرهم

(٢) أساس البلاغة للزمخشري . مادة « هكم » .

لك تقصد تجريحه والغرض منه ، وكان هناك سامع وهيف الحس بتدقيق أسرار الكلام ، ويستزوح إلى النكتة الباردة فأردت التطرف والتلميح معه بهذا القول ، كان الغرض كليهما .

ويظهر لدى التأمل أن الجمع بين التهمك والتلميح مما يخرج عن الطريق السوى ، ولا تسوف إليه الفطرة الصافية والطبع السجيج ، والحق ما ذهب إليه المؤني عصام ، وهو أن قصدتهما معا تكلف ، إذ جمع الاعتبارين المذكورين في إطلاق واحد قلنا يمكن (١) .

ووجه الشبه هنا منتزع من نفس التضاد الواقع بين الشبهين لا اشتراكهما فيه ، فإن كلا منهما موصوف بأنه مضاد للآخر مساو له ، فإذا قلنا: ما أشبه الجبان بالأسد في الشجاعة ، أو زيد الجبان ، كالأسد في الشجاعة ، كان وجه الشبه منتزعا من المتضادين .

وذلك لأننا نزلنا تضاد الجبن والشجاعة منزلة تناسبهما ، فصار الجبن مناسباً للشجاعة وبمترتها ، لأن التناسب التزيلي مشترك بين الجبن والشجاعة ، لكون كل منهما مناسب للآخر ، فصار الجبان مناسباً للشجاع . فإذا شبهته به صار كأنه قامت به شجاعة ، وإذا أخذ وجه الشبه منهما كان هو الشجاعة ، وإن كانت في المشبه به حقيقة وفي المشبه ادعاء .

وزيادة في الإيضاح يقال : إن وجه الشبه في هذا التشبيه هو الراجع للتضاد ، الموجب للناسبة ، لا نفس التضاد المشترك بين الضدين ، ومن جعل الوجه هنا هو التضاد المشترك حقيقة فقد سها .

وذلك أنه إذا قصدنا أن الوجه هو التضاد لم يعد تلميحاً ولا تهمكاً ، لأنه بمنزلة قولنا : البياض كالسواد في تقابلها وتضادها ، أو في اللونية الكائنة

فيهما ، ولكننا نرانا التضاد منزلة التناسب ، وجعلنا الجين بمنزلة الشجاعة ،  
فالجبان شجاع تنزيلا فصيح الاشتراك<sup>(١)</sup> .

أى إن تنزيل التضاد منزلة التناسب رفع التضاد بينهما ، فصح جعل الجين  
بمنزلة الشجاعة ادعاء .

وقد اعتبر عبد اللطيف البغدادي في كتابه ، البلاغة ، : التضاد على وجه  
آخر فقال : قد يشبه أحد الضدين بالآخر إذا كان أحدهما أظهر ، كما يقال :  
العسل في حلاوته كالصبر في مرارته .

وأنشد لإبراهيم بن المهدي يعتذر إلى المأمون في الخروج عليه :  
لئن جحدتك معروفا مننت به إني لفي اللؤم أحظى منك في الكرم  
يريد أن لؤمه إذ ذاك يرير على نصيب المأمون من الكرم مع عظم  
نصيبه منه .

وقول أبي نواس :

أصبح الحسن منك يا أحسن الأمة م يحكى سماجة بن حبش  
يريد أن حسن هذا يبلغ في منزلته قبح ذاك .

وقول آخر :

أنت أذكى رجلاً إذا تعطرت بالعنبر م والمندلى من كثر بان<sup>(٢)</sup>  
ويرى ابن السبكي : أن وجه الشبه ليس هو التضاد ، بل هو مطلق الشدة  
والقوة الموجودة في كل من الضدين .

ثم هو يرى أن المراد بالتمليح هنا : هو التلميح المصطلح عليه : أى الإشارة  
في شعر أو قرينة سجع إلى قصة معلومة ، أو نكتة مشهورة ، أو بيت شعر

(١) حاشية الدسوقي - ٢ - ٣٨٣ .

(٢) المندلى : هود منسوب إلى مندلى من بلاد الهند ، والظريان كقطران : دويبة

كالهرة منقطة .



حفظ لتواتره ، أو إلى مثل سائر يجرى في الكلام على جهة التمثيل .  
وهذا هو المتعين عنده .

فإذا أخذنا قولهم للبخیل : هو حاتم ، إلى التلميح ، فالقصة المشار إليها :  
ما اشتهر من كرم حاتم وأخباره .<sup>(١)</sup>

وقد رد ذلك المغربي ، فقال : وليس هو ، التلميح ، مرادفاً للتلميح بتقديم  
اللام ، الذي هو الإشارة إلى قصة ، كما في قول أبي تمام — وقد سمرت  
محبوبته من جانب الحدر ليلاً — :

فُرِدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ      بِشَمْسٍ لَهِمْ مِنْ جَانِبِ الْحَدَرِ تَطْلُعُ  
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَلَا لَامٌ نَائِمٌ      أَلَمْتُ بِهَا أُمٌّ كَانَ فِي الرِّكَبِ يَوْشَعُ

ومن سوى بينهما وجعل قوله : هو حاتم ، إلى قصة حاتم فقد وهم ؛  
لأن حاتم لا يشعر بقصة وإنما يشعر بالجوود الذي هو كاللازم له ، وهذا  
ما قصد لي جعل وجه الشبه .<sup>(٢)</sup>

والحق مع المغربي في أن التلميح غير التلميح في معناه وغرضه ، ولكن  
هذا لا ينفي أن التلميح يسمى تلميحاً عند بعضهم ، كأن صاحبه أتى بكنة  
زادت كلامه ملاححة كما يقول الحموي .<sup>(٣)</sup>

هذا ، والتلميح معروف في كلام العرب كما نبه عليه الإمام المرزوقي  
في قول الحماسي :

أَنَا بِي مِنْ أَبِي أَنَسٍ وَعَبْدٌ      فَسَلْ لَغَيْظَةِ الضَّحَاكِ جَسْمِي  
فإن قائل هذا البيت قصد التهمك بأبي أنس ، والتلميح بإتيانه شيئاً يستظرفه  
السامعون .

(١) عروس الأفراح — ٢ — ٣٨٣ .

(٢) ، واهب الفتح — ٣ — ٣٨٥ . (٣) خزانة الأدب — ٢٣٠ .

وسل مبنى للجهول ، والجسم نائب فاعل .

وفي بعض الروايات :

فَسَلَّ تَغِيظُ الضَّحَاكِ جِسْمِي

بالبناء للفاعل ، وتغيظ : فاعله ، والجسم : مفعول به .

والمراد بالضحك : أنس نفسه ، وقد عبر بالظاهر بدل المضمّر بياناً

لعين المستهزأ به بذكر الاسم العلم تحقيراً لشأنه .

وقيل الضحك : اسم لماك من الملوك سماه به زيادة في التهم . لتضمنه

تشبيهه به على وجه الهزؤ والسخرية ، فكانه قال : فسَلَّ جسمي تغيظ هذا

الذي هو كالمالك الفلاني ، ولا يخفى ما فيه من الاستهزاء .

ومن هذا قول جرير يتهكم بالفردق لتهديده راويته : مربع ، بالقتل

زعم الفردق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربع

وقول ابن النقيب :

تَوَعَّدَنِي وَهَدَدَنِي وَغَالَى وَبَالِغٌ فِي التَّعَنُّتِ وَالْمَلَامَةِ

فَقَالَتْ حَسْدِي أَبْشُرْ بِخَيْرٍ وَأَيُّقِنْ طَوْلَ عَمْرِكَ بِالسَّلَامَةِ

ومما يحل عن الوصف قوله - تعالى - : « ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ »

جماعت على سبيل الهزؤ والتهكم بمن كان يتعزز وينكرم على قومه .

وقيل : إن المراد به أبو جهل ؛ فقد روى أنه قال لرسول الله - صلى

الله عليه وسلم - : « ما بين جليلها أعز ولا أكرم مني ، فوالله ما تستطيع

أنت ولا ربك أن تفعلاني شيئاً » (١)

وهناك فرق لطيف بين التهم وبين الهزل الذي يراد به الجد - كما يقول

الحوي - (٢) :

فالأول ظاهره جد وباطنه هزل والثاني بالعكس .  
والهزل الذى يراد به الجد . هو أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمه ،  
فيخرج من ذلك المقصد مخرج الهزل والمجون اللائق بالحال كما فعل أصحاب  
النوادر ؛ مثل أشعب وأبي دلالة وأبي العيئة ومزبد ، ومن سلك مسلكهم .  
فمن نوادر أشعب أنه حضر وليمة لبعض ولادة المدينة وكان رجلاً بخيلاً  
فدعا الناس ثلاثة أيام وهو يجمعهم على مائدة فيها جدى مشوى ، فكان  
الناس يحومون حوله ولا يمسسه أحد منهم لعلهم يبتخله .  
وكان أشعب يحضر مع الناس ويرى الجدى ، فقال فى اليوم الثالث :  
زوجه طالق إن لم يكن عمر هذا الجدى بعد أن ذبح وشوى أطول من عمره  
قبل ذلك !

والفاح لهذا الباب امرؤ القيس بقوله :  
وقد علمت سلى وإن كان بعلمها      بأن الفقى يهذى وليس بفعال  
ومن شواهد<sup>(١)</sup> ما أنشده ابن المعتز من قول أبي العتاهية .  
أرقبك أرقبك باسم الله أرقبك      من يخل نفسك عل الله يشفيك  
ما سلم كفك إلا من يتركها      ولا عدوك إلا من يرجيك<sup>(٢)</sup>  
ومثل له الخطيب<sup>(٣)</sup> بقول أبي نواس من قصيدة يحيا بها تيماء وأسداً  
وافخر بقحطان .  
إذا ما نيمي أناك مفاخرأ      فقل عد عن ذا كيف أكل للضب  
وسؤال النيمي عن أكله الضب ، هزل مبطن بالجد ، لأن تيماء فى الواقع  
كانوا يأكلون الضباب ويعيرون بذلك .

(١) البديع لابن المعتز - ١١٢ (طبع الأستاذ خفاجى) .

(٢) فى خزائن الأدب للحدوى وفى معاهد التنصيص : « تناولها » .

(٣) الإيضاح - ٢٦٩ .



وقد هجا أبو القاسم بن الفضل أبو الرئيس عني بن الأعرابي ، الحبيص بيص  
الشاعر التميمي بقوله :

كم تبارى وكم تطول طرطو رك ما فيك شعرة من تميم  
فكل الضب واقترض الحنظل الأخضر م واشرب ما شئت بول الظلم  
ليس ذا وجه من يضيف ومن يقر ي ومن يدفع الأذى عن حريم  
ومن بدائه قول ابن نباتة المصري :

سليت محاسنك الغوال صفاته حتى تحير كل ظبي فيكا  
لك جوده ولحاظه ونفاره وغداً نظير قروته لأبيكا  
ويقول الحموي : وهذا النوع ما سبكه في قواله إلا من لطف ذاتة ،  
وكانت له ملكة في هذا الفن وحسن تصرف .

ثم يذكر أن من أظرف ما وقع له في هذا الباب أنه أصيب بحرب وهو  
في مصر أشرف منه على التلف ! ووصف له الحكيم بطيخا - وكان عزيز  
الوجود في هذه الأيام - وقد بلغه أنه أهدى إلى ابن البارزى صاحب  
صاحب دواوين الإنشاء بطيخ ، فكتب إليه :

مولاي عاقبني الزمان بحربة وقد انقطعت بجسمى المسلوخ  
وعميت من حزني على ماتم لي لكن شمت روائح البطيخ  
ثم يقول معلقاً على ذلك : والكناية عن طلب البطيخ سبكت في أحسن  
قوالب الهزل مع حسن التضمين<sup>(١)</sup> .

تقدير الطرفين :

قد يأتي الطرفان في تشبيه المفرد بالمفرد غير مقيدين ، كتشبيه  
القعد بالغصن .

وقد يقعان مقيدين ؛ كقولك لمن لا يحصل من سعيه على طائل : هو كالقابض على الماء ، والرافع على الماء .

فالمشبه هو الساعي ولكن سعيه غير مطلق بل مقيد بأنه سعي مقرون بالحياة والإخفاق .

والمشبه به هو القابض أو الرافع لا مطلق قبض ولا رقم ، بل قيد بالقبض على الماء أو الرقم فيه ، لأن وجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه في فقد الفائدة .

والتقيد في هاتين الصورتين هو الجار والمجرور .

فمعنى التقيد إذن : أن تشبه شيئاً بشيء بشرط انضمام شيء إليه .

والمراد بالتقيد في طرفي التشبيه : ما كان له مدخل في التشبيه ، احترازاً عن القيود اللفظية ، كقوله - تعالى - : هـ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، فلكم ولهن : قيد لفظي لا أثر له في وجه الشبه .

وقد يقع المشبه به مقيداً والمشبه مطلقاً ؛ كقولك : هو كالحادي وليس له بعير .

والتقيد هنا : حال .

أو بالعكس ؛ كتشبيه القمر في الليلة الرابعة عشرة بالوجه .

وبما جاء طرفاه مقيدين قول ابن الرومي :

إني وتزييني بمدحى معشراً كعلق درأ على خنزير

فالشبه : هو أن كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر ؛ لأن

الشيء غير قابل للتزيين .

ولا بد للواو في هذا النحر أن تكون بمعنى هـ مع ، وأمرها فيه أيين

إذ لا يمكن أن يقال : إني كذا وإن تزييني كذا ، لأنه ليس معاشيتان يكون

أحدهما خبراً عن ضمير المتكلم في هـ إني ، الذي هو المعطوف عليه ، والآخر

عن تزييني المعطوف ..... فأنت في نحو : إني وتزييني ، ملجأ إلى جعل  
الواو بمعنى مع من كل وجه ، حتى لا تقدر على إخراج الكلام إلى صورة  
تكون فيها الواو عارية من معنى مع ويكون تشبيهاً بعد تشبيه .

فإن قلت إن في : معلق ، معنى الذات والصفة معاً ، فيمكن أن يكون  
أراد أن يشبه نفسه بذات الفاعل وتزيينه بالفعل نفسه

والجواب لو أريد إني كمعلق درأ على خنزير ، وإن تزييني بمدحى معشراً  
كتعليق درة على خنزير ، كان قولاً ظاهر السقوط ، لما ذكرت من أنه  
لا ينصور أن يشبه المتكلم نفسه من حيث هو زيد مثلاً ، بمعلق الدر على الخنزير  
من حيث هو عمرو ، وإنما يشبه الفعل بالفعل فاعرفه <sup>(١)</sup> .

والفرق بين المفرد المقيد والمركب : أن المركب ، كل واحد من أجزائه  
جزء الطرف ، والمفرد المقيد يكون الطرف فيه ذلك القيد ، والقيد شرط  
لا جزء <sup>(٢)</sup> .

وتشبيه المركب بالمركب ، والمفرد المقيد بالمفرد المقيد ، لا يكاد يتفصل  
أحدهما عن الآخر في اللفظ بل في المعنى .

فحيث كان المقصود الهيئة الحاصلة من مجموع أمرين أو أمور ، فهو  
تشبيه مركب بمركب ، لأن كل واحد من أجزاء الطرف الواحد ليس  
مقصوداً ، وإن صح تشبيهه بجزء الطرف الآخر .

وحيث كان المقصود كل واحد من أجزاء الطرف الواحد ولكن بقيد  
فيه ، وليس ذلك القيد مقصوداً لنفسه بل للطرف ، فهو مقيد بمقيد <sup>(٣)</sup> .

وعلى كل فوجه الشبه المقيد بمعنى آخر . فيه معنى التركيب ، ولكنه  
بعد مفرداً لأن التقيد غير التركيب .

(١) أسرار البلاغة - ١٦٢ - ١٦٣ . (٢) مواهب الفتاح - ٣ - ٤١٨ .

(٣) عروس الأفراح - ٣ - ٤٦٣ .



فإذا وجدت في أحد الطرفين قيداً لفظياً : من مفعول أو صفة أو ظرف  
أو جار ، ومجرور أو غير ذلك ، فانظر إلى المعنى ، فإن وجدت المقيد هو  
المقصود والقيد تبع لم يؤثر فيه شيئاً ، فهو مفرد مقيد .  
وإن وجد القصد إلى الهيئة الحاصلة في الذهن على السواء ، فهو  
تشبيه مركب .

وإن أردت تشبيه أشياء منفصلة بأشياء منفصلة ، فهو تشبيه متعدد .  
ولا خلاف أن الفرق بين المركب والمفرد أحوج شيء إلى التأمل  
فكثيراً ما يقع الالتباس ، لأن القيود معتبرة في كليهما ، ولا حاكم في تمييز  
أحدهما عن الآخر عند الالتباس سوى ذكاء الطبع وصفاء القريحة .

## الفصل الحادي عشر

### وجه الشبه

وجه الشبه : هو المعنى المشترك بين الطرفين ، الجامع لهما في قصد المتكلم .  
ولا بد من وجوده في الطرفين تحصيلاً للفائدة إما تحقيقاً أو تخيلاً .  
مثال الأول : تشبيه الخدب بالفاح مثلاً ، فإن وجه الشبه — وهو النضارة  
واللون — متقرر في كل منهما على وجه التحقيق .  
ومثال الثاني قول القاضي التنوخي المشهور :  
وكان النجوم بين دجأها سنن لاح بين ابتداء  
فالجامع بينهما : الهيئة الحاصلة من وجود أشياء مشرقة يضيء في جوانب  
شيء مظلم .  
ولا يمكن وجوده في المشبه به — وهو السنن والابتداء — إلا على  
طريق التأويل .  
فهو قد شبه النجوم بالسنن والجامع حصول النور ، وهو خيالي  
في الابتداء .  
فإن تجرد الطرفين منه على وجه التحقيق أو التخيل وقع التشبيه مختلفاً  
لعدم فائدته .  
فإن من حق وجه الشبه شمول الطرفين ، فإذا صادفه صح وإلا فسد<sup>(١)</sup> .  
وذلك كقول القائل :

كأننا والماء من حولنا قوم جاوس حولهم ماء

فقد خلا من وجه شبه يجمع بين الطرفين ، ويكون غاية منشودة من التشبيه ، وترك السامع في فراغ لا يستقر فيه على حال ، فكان لغواً من القول لا لغو بعده .

ومن ذلك<sup>(١)</sup> أن الوجيه ابن الدورى دخل الحمام ومعه ابن وزير الشاعر فقال ابن وزير :

لله يوم بحمام نعيمت به      والماء ما بيننا من حوضه جارى  
كانه فوق شقات الرخام ضحا      ماء يسيل على أبواب قصار<sup>(٢)</sup>  
فقال ابن الدورى :

وشاعر أوقد الطبع الذكاء له      فكاد يحرقه من غرط إذكاء  
أقام يعمل أياماً قريحته      وشبه الماء بعد الجهد بالماء  
ويذكرون أن ابن شرف القيروانى أنشد ابن رشيق قوله :

غيرى جنى وأنا المعاقب فيكم      فكأننى سبابة المتندم  
ثم قال له : هل سمعت هذا المعنى ؟  
قال ابن رشيق سمعته وأخذته أنت وأفسدته !

أما الأخذ من النابغة حيث يقول للنعمان بن المنذر معتذراً :

لكلفتى ذنب امرئ وتركته      كذى العر يكوى غيره وهو رائع  
وأما الإفساد ، فإن سبابة المتندم أول شئ يتألم منه ، فلا يكون المعاقب غير الجانى .

بخلاف بيت النابغة فإن المكوى من الإبل يألم وما به عرألة ، وصاحب العر لا يألم جملة<sup>(٣)</sup> .

(١) وفيات الوفيات للكتبي - ١ - ١٢٠ . (٢) القصار كشاد : محور الثياب .

(٣) الإيضاح - ١٥٩ - ١٦٠ .



وقد أورد ابن السبكي: أن نسبة الجناية إلى سبابة المتقدم فيها نظر ، لأن سبابة المتقدم قد لا تكون جانية ، بأن يكون الندم على فعل قلبي أو فعل عضو آخر . وإنما اتصال الأعضاء ، وجعلها كالشيء الواحد سهل ذلك<sup>(١)</sup> .  
والحق أن ابن رشيق كان متجنباً على منافسه ومعاصره ابن شرف - والمعاصرة حجاب - فليس في البيت فساد كما زعم .  
ولتقريب ذلك نقول : لنفرض أن إنساناً سفيهاً سب إنساناً فعوقب على بدامته ، فعض على سبابه ندماً حتى قطعها أو أدمها !  
فهنا يصح أن يقال : إن اللسان جنى وأن السبابة عوقبت ، وإن كان العقاب في الواقع قد حق على صاحب اللسان والسبابة .  
وقد جرى الشعراء تخيلاً على تصوير الأعضاء تجنى ويؤخذ فيها البريء بذنب المجرم ، ويعقدون بينها مناظرات غاية في الإبداع .  
فمن ذلك قول ابن الرومي :

وغيرال ترى على وجنتيه	قطر سهميه من دماء القلوب
لطف نفسى لتلك من وجنات	وردها ورد شارق مهضوب <sup>(٢)</sup>
أنهلت صبغ نفسها ثم علّت	من دماء القتلى بغير ذنوب
جرحت العيون فاقتص منها	يجوى في القلوب دامي الندوب

وقول خالد الكاتب :

أعان طرفي على جسمي وأحشائي	بنظرة وقفت جسمي على دائي
وكنت غراً بما يجنى على بدني	لا علم لي أن بعضي بعض أدواني

وقول ابن أبي فتن :

أدميت بالألحاظ وجنته	فاقتص ناظره من القلب
----------------------	----------------------

(١) عروض الأراج - ٣ - ٣٣٠ . (٢) المهضوب : المنقور .

وقول صردر :

لواحظنا تجنى ولا علم عندها  
ولم أر أعجب من نفوس عفائف  
ومن كانت الأجفان حجاب قلبه

وقول الأرنجاني :

تمتعنا يا مقلتي بنظرة  
أعني كفا عن فزادي فإنه

وقول آخر :

كل الحوادث مبدؤها من النظر  
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها  
والمرء مادام ذا عين بقلبها  
يسر مقلته ما ضر مهجته

وقول آخر :

نظر العيون إلى العيون هو الذي  
ما زالت اللحظات تغزو قلبه  
حتى تشحط بينهن قتيلا

وقول آخر :

يا من يرى سقمي يزيد م وعلى أعيت طيبي  
لا تعجبين فهكذا تجنى العيون على القلوب

وقول آخر

يقول قلبي لطرفي إذ بكى جزعا  
فقال طرفي له فيما يعاتبه  
حتى إذا ما خلا كل بصاحبه  
تبكى وأنت الذي حملتي الوجعا  
بل أنت حملتي الآمال والطمعا  
كلاهما بطويل السقم قد قنعا

نادتهما كبدى لا تعباً فلقد قطعتهما بما لاقيتهما قطعا  
وقول آخر :

عائبت	قلبي	لما	رأيت	جسمي	عليلا
فالزم	القلب	طرفي	وقال	كنت	الرسولا
فقال	طرفي	لقلبي	بل أنت	كنت	الدليلا
فقلت	كُفّا	جميعاً	تركتما		قتيلا

وقول شوقي :

مازلت أركب كل صعب في الهوى حتى ركبته إلى هواك حمائى  
وإذا القلوب استرسلت في غيها كانت بليتها على الأجسام  
وبما جاء على لسان النفس قول أحدهم :

أنا ما بين عدوين م هما قلبي وطرفي  
ينظر الطرف ويهوى م القلب والمقصود حتى  
ومن الطرائف قول ابن مدرك - وقد ضمنه مسألة فقهية - :  
جرحت بلحظي خد الحبيب فما طالب المقلّة الفاعله  
ولكنه اقتصر من مهجتي كذاك اللّيات على العاقلة (١)  
وهذا قليل من كثير .

ومن اختلال التشبيه لاختلال الجامع بين الطرفين قول ابن وكيع التميمي :  
وسحاب إذا همى الماء منه ألهب الرعد في حشاه البروقا  
مثل ماء العيون لم يحمر إلا ظل يذكى على القلوب حريقا  
فإن تقريره أن جريان ماء العيون يذكى حريق القلوب ، لا يصح في مبنى  
الطباع ، ولا متعارف العادة .

(١) العاقلة : التي تفرم عن الخائف .



والشعراء من قديم الزمان جروا على عكس ذلك ، فقال امرؤ القيس :  
وإن شفتي عسيرة مهراقة      فهل عند رسم دارس من معول  
وقال ذو الرمة :

لعل انحدار الدمع يُعقب راحة      من الوجد أو يشقى نجيّ البلائل  
وقال الفرزدق :

فقلت لها إن البكاء لراحة      به يشتقى من ظن ألا تلاقيا  
وقال أبو تمام :

نثرت فريد مدامع لم تُنظم      والدمع يحمل بعض ثقل المفرم  
وقال البحتري :

علّ ماء الدموع يُخمّد ناراً      من جوى الحب أو يبلّ غليلاً  
وبكاء الديار بما يرد الشوق      مذكراً والحب يضيّأ ضيّلاً  
وقال الحسن بن وهب :

إنك فما أكثر نفع البكا      والحب إشفاق وتعليل  
افزع إليه في ازدحام الجوى      ففيه مسلاة وتسهيل  
وهو إذا أنت تأملته      حزن على الخدين محمول  
وقال حافظ إبراهيم :

يا من خلقت الدمع لطفاً      منك بالباكي الحزين  
بارك لعبدك في الدموع      ع فإنها نعم المعين  
وقال شاعر عصرى :

هذه الأدمع نستشقي بها      من جوى الأحزان والأحزان داء  
ربما كانت شفاء عبدة      لأخي البك إذا عزّ الشفاء  
ولم يخالف هذا النهج السلوك غير أبي تمام في بعض شطحاته حيث يقول :  
أجدرّ بحمرة لوعة إطفائها      بالدمع أن تزداد طول وقود

لأنه كما يقول الأمدى<sup>(١)</sup> : أحب الإغراب فخرج إلى ما لا يعرف من  
كلام العرب ، ولا مذاهب سائر الأمم .

وقد تبعه على الخطأ تلميذه البحتري في قوله :

فعلام فيض مدامع تدق الجوى      وعذاب قلب في الحسان معذب

وكان خيراً لهما لو سلك ابن دريد في قوله :

قلب تقطع فاستحال نجيعاً      فخرى فصار مع الدموع دموعاً

رُدت إلى أحشائه زفراته      ففضضن منه جوائنحاً وضلوعاً

عجبا لنار ضرمت في صدره      فاستنبطت من عينه ينبوعاً

وقول العسكري :

طيب قلبي أفاض الدمع من بصرى      والعود يقطر ماء حين يحترق

فإنهما جعلاً الحرقه سبباً في البكاء ، لأن البكاء يزيد الحرقه ، ولا اعتراض

على ذلك لعدم المناقاة بينهما .

على أن هناك فرقاً بين قول ابن وكيع ، وقول أبي تمام والبحتري :

فابن وكيع يقرر بالتشبيه حكماً عاماً ، وتقرر الأحكام يجب أن يكون

بنجوة من الخطأ والاثلام .

وأما الطائيان فقد ساقا القول مساق المبالغة ، فزعموا أن بكاءهما يزيد في

غليلهما ، وهي حالة خاصة بهما لم يدعيها لغيرهما ، ولا أرسلها إرسال

القواعد المسلية ، فعيبهما الإفراط والسرف في الوصف ، وهو خطأ أقل

من خطئه .

ويسوقنا ما نحن بسبيله إلى ذكر المثل : والنحو في الكلام كالملح

في الطعام . .

فإن جعل الوجه فيه كون القليل مصلحا والكثير مفسداً اختل التشبيه .  
لأن القلة والكثرة إنما تلحظ في الملح فقط ، فيوضع منه في الطعام القدر  
المناسب فيصلحه ، ويجعل فيه ما زاد عليه فيفسده .  
وأما النحو في الكلام فلا يمكن أن يوصف بقلة ولا كثرة ، لأنه لا يوزن  
ولا يكال وإنما هو ضوابط وأحكام ، إما أن توجد كلها فيصلح بها الكلام  
ويوصف بالصحة ، وإما أن تتخلف جميعاً أو يفقد بعضها فيفسد .  
وإذن يكون الوجه المقبول في المثل المتقدم : كون الاستعمال مصلحا  
والإهمال مفسداً ، لا اشتراكهما في ذلك دون نظر إلى قلة أو كثرة .  
وأما مراعاة القلة والكثرة فلا تنأى إلا في مثل قول أبي الفتح البستي :  
أفد طبعك المكدود بالجد راحة يحجم وعمله بشيء من المزح<sup>(١)</sup>  
ولكن إذا أعطيه المزح فليكن بمقدار ما يعطى الطعام من الملح  
فإن الملاحظ هنا أن في استعمال الملح والمزح استعمالاً معتدلاً على نسبة  
خاصة ، فيه صلاح للكلام والضعام .

على أن بعضهم فيما يظهر كان يرى التقليل من الإعراب .  
فأبو بكر الخوارزمي يقول :

والبغض عندي كثرة الإعراب

وأنشد أبو أحمد العسكري عن الصولي<sup>(٢)</sup> :

ويعجبني زى الفتي وجماله	ويسقط من عيني ساعة يلحن
على أن الإعراب حداً وربما	سمعت من الإعراب ما ليس بحسن
ولا خير في اللفظ الكربة استماعه	ولا في قبيح اللفظ والقصد زين

(١) في زهر الآداب - ١ - ٢٠٦ :

أفد طبعك المكدود بهم راحة

(٢) ديوان المعاني - ١ - ١٤٨ .

براح وعمله بشيء من المزح



غير أن عبد القاهر أنكر على الخوارزمي قوله ، وقال فيه : كلام لا تحصل منه على طائل ، لأن الإعراب لا يقع فيه قلة وكثرة إن اعتبرنا الكلام الواحد والجملة الواحدة .

وإن اعتبرنا الجملة الكثيرة وجعلنا إعراب هذه الجملة مضموماً إلى إعراب تلك ، فهي الكثرة التي لا بد منها ولا صلاح مع تركها ، والخليق بالبعض من ذمها .

وإن كان أراد نحو قول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا ملكا أبو أمه حتى أبوه يقاربه

وما كان من الكلام معقداً ، موضوعاً على التأويلات المتكلفة ، فليس ذلك بكثرة وزيادة في الإعراب ، بل هو أن يكون نقصاً له ونقصاً أولى ؛ لأن الإعراب هو أن يعرب المتكلم عما في نفسه ويبيّنه ، ويوضح الغرض ويكشف اللبس ، والواضح كلامه على المجازفة في التقديم والتأخير زائل عن الإعراب ، إنما هو كثرة عنا على من رام أن يرده إلى الإعراب لا لكثرة الإعراب (١) وبخيل لي : أن المراد بكثرة الإعراب البغيضة إليهم ، هي تعاطي التشادق والتعمر والإغراب كما روى عن أبي علقمة النحوي وغيره ، فإن هذا إن عد إعراباً فهو إعراب مقبوت ، واللحن أخف منه .

أو استعمال الإعراب في نواذر العوام ومُلح الحشوة والطغام ، وتخفيف اللفظ الحسن لها ، وإخراجها من الفهم بخرجا سرياً ، فقد قرر الجاحظ : أن ذلك يفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له ، ويذهب استطاعتهم إياها واستملاحهم لها .

وهو لذلك يستملح اللحن من الجوارى الظراف ، ومن الكواعب  
النواهد ، ومن الشواب الملاح إذا كان على سجية سكان البلد ، ولم يقع على  
سبيل التكلف ، كما تستحسن اللثة من الجارية الحديثة السن ، المقدودة المجدولة (١).  
هذا هو الذى يمكن أن يقال فى بغض كثرة الإعراب ، فأما تجويز  
اللحن فى الكلام مطلقا فلا يعقل التسليم به ، ولا يظن بمثل الخوارزمى أنه  
قصد إليه فى قوله :

والبغض عندى كثرة الإعراب

ويقول قدامة : وربما اغتفر فى دهرنا هذا اللحن والخطأ للإنسان فى  
كلامه ؛ لكثرة اللحن فى الناس وأنه فشا وعظم ، وفسدت الفصاحة بمخالطة  
العرب للأعاجم والأقباط وسائر الأجناس ، فأما فى الكتاب فغير معترف له  
ذلك لأن الطرف يتكرر نظره فيه ، والروية تجول فى إصلاحه ، وليس كمثله  
الكلام الذى يجرى أكثره على غير روية ولا فكرة ، وقد يستملح اللحن  
من الجوارى والإماء وذوات الحداثة من النساء ، لأنه يجرى بجرى الغرارة  
منهن وقلة التجربة ، وفى ذلك يقول الشاعر :

وحديث ألدّه هو ما تشبه النفوس بوزن وزنا

منطق صائب ولحن أحبنا نا وخير الحديث ما كان لحنا

ثم يعود فيقول : ولست أدري كيف صار اللحن عند هذا الشاعر خبر  
الحديث ، وأظنه أراد أملح الحديث فاضطره الوزن إلى أن جعل فى موضع  
ذلك : « خير الحديث » .

وقد تأول له بعض الناس فقال : إنما أراد باللحن : الفطنة المعانى ، ومنه

قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إنكم لتتحاكمون إلى ولعل  
أحدكم ألحن بحجته ،  
يريد أفطن لها .

وما أتى هذا التأويل بشيء ؛ لأن قوله : منطق صائب قد أتى على إصابة  
المعنى ، فما وجه فطنتها لذلك أحياناً (١) ؟  
فقدامة كما نرى بعد لحن الغريرات من الحديث المليح ، ولكن لا يراه  
خير الحديث .

وابن الأثير يعد النحو في علم البيان من المنظوم والمشور بمنزلة «أبجد»  
في تعليم الخط ، وأنه أول ما ينبغي اتقان معرفته لكل أحد ينطق باللسان  
العربي ليأمن معرفة اللحن ، ولكنه ذهب إلى أن الجهل به لا يقدر في فصاحة  
ولا بلاغة ولكنه يقدر في الجاهل به نفسه ، لأنه لا يعد شرطاً في حسن  
الكلام ، وأن الغرض من الشعر والخطب والرسائل ليس إقامة إعراب  
الكلمات ، وإنما الغرض أمر وراء ذلك كله .

وقد قد رآه العلوي : بأن المقاصد وإن كانت مفهومة بالقرائن في بيان  
الفاعل والمفعول لكننا نريد مع فهم المعاني بالقرائن الحالية ، أنه لا بد من  
جرها على القوانين الإعرابية . . . فالزلل في الجمل باللغة مؤد إلى تحريف  
الألفاظ وفساد معانيها ، والزلل في الإعراب يؤذن بفساد المعاني والتباسها . (٢)  
ويظهر أن العلوي لم يفهم كلام ابن الأثير ، فابن الأثير لا يستجيز اللحن  
ولا يستحسنه ولا يغمط حق الإعراب ، وإنما يريد ما قاله الأستاذ  
الشاي بك : من أن هناك قوانين نحوية وبلاغية مقررة يراعيها جميع

(١) نقد النثر - ١٤٤ - ١٤٥ (٢) المنل النثر - ٥ - ٨ .

(٣) الطراز - ١ - ٢٨ - ٣٠ .



المفشين ، ولكنها ذات أثر سلبي يحفظ العبارة من الخروج على الأصول  
البيانية العامة ، أما العبقرية الذاتية والقدرة على تصفية الكلمات والتصرف  
في العبارات بما يجعلها مرآة لنفس الأديب ، فذلك عمل إيجابي كثير أما يحتقر  
القوانين المحددة .<sup>(١)</sup>

وصفوة ما تقدم : أن المقيت المذموم هو التنطع بجلب الكلمات الغريبة  
والقصد إلى المعاظلة حبا في التفاسح ، فأما تجويز اللحن في الكلام إطلاقا  
فلا يمكن التسليم به ، ولا يظن بمثل الخوارزمي أنه يرى إليه في قوله :  
والبعض عندي كثرة الإعراب .

وقد عرف عن العرب كراهة اللحن والاحتراس منه ، وتهيب التصدي  
للخطابة خوف الوقوع فيه .

ويكفي في بيان قبحه قول مسلمة بن عبد الملك : إن الرجل يسألني الحاجة  
فستجيب نفسي له بها ، فإذا لحن انصرفت نفسي عنها<sup>(٢)</sup> .

وقول قدامة : اللحن ما خالف اللغة العربية ، وخرج عن استعمال أهلها  
وما بني عليه إعرابها ، وهو معيب عند الأدباء في الجملة ، وعلى من يأخذ  
نفسه بالإعراب ويتكلم بالغريب من لغة الأعراب أعيب<sup>(٣)</sup> .

(١) أصول النقد الأدبي - ٢٥٤ .

(٢) نقد النثر - ١٤٤ .

(٣) طراز المجالس - ٦٧ .

## الفصل الثاني عشر

### أقسام وجه الشبه

ينقسم وجه الشبه إلى ثلاثة أقسام :

١- وهم مفرد :

والمراد به ما يعد في العرف واحداً ، لا الذي لا جزء له أصلاً .  
وذلك كالخبرة في تشبيه الخد بالورد مثلاً ، فإنها تشتمل على مطلق اللونية  
والقبض للبصر ، ولكنها مع ذلك تعد وجهاً واحداً .  
وهذا الوجه المفرد قد يكون حياً ، وفي هذه الحال لا يكون الطرفان  
إلا حين .

كقول بشار :

كان فؤاده كرة تزي حذار الدين لو نفع الحذار  
وقول المعري :

وسهل كوجنة الحبيب في اللو ن وقلب المحب في الخفقان  
وقول ابن رافع الجزري :

انظر إلى الجزر البديع كأنه في حسنه قُصِب من المرجان  
أوراقه كزبرجد في لونها وقلوبه صيغت من العقيقان  
وقول آخر في الموز :

موز حلا فكأنه غسل ولكن غير جار  
ذو باطن مثل الأفا ح وظاهر مثل النضار  
يحكي إذا قشرته أنياب أفيال صغار

وقد يكون عقلياً ، ويجوز حينئذ أن يكون الطرفان حسيين

كقول مسلم ابن الوليد يمدح يزيد بن يزيد الشيباني :

كالديث بل مثله الليث المحصور إذا غنى الحديد غنماً غير تغريد  
وقول العباس بن جرير :

إن الصديق هو الذي يرعاك حين تغيب عنه  
مثل الحسام إذا انتضا ه أخو الحفيظة لم يخنه  
وقول أبي الفتح البستي :

أنا كالورد فيه راحة قوم ثم فيه لآخرين زكام  
أو عقليين :

كقول البحري :

فقر كفقير الأنبياء وغربة وصباة ليس البلاء بواحد  
وقول جحظة البرمكي :

ورق أخو حتى قيل هذا عتاب بين جمحظة والزمان  
وقول المتنبي :

مثلة حتى كأن لم تفارق وحتى كأن اليأس من وصالك الوعد  
وقول السري الرفاء :

بنفسى من أجود له بنفسى ويخل بالتحية والسلام  
وحق كامن فى مقلتيه كمن الموت فى حد الحسام  
وقول شوقي :

ترك النفوس بلا علم ولا أدب ترك الجسوم بلا طب ولا آسى  
وقول زكى مبارك :

حزن بقطع فى الحشا فكأنه غدر الصديق  
أو المشبه معقول والمشبه به محسوس :



كقول العسكري :

خالق كنشر الروع طُلُ نباته      أو مثل صرف الراح فض ختامه  
وقول ابن سينا :

إنما النفس كالزجاجة والعلم      م      سراج وحكمة الله زيت  
وقول الصافي :

والعمر مثل الكأس      ير      سب في أواخرها القذى

ومن طرائف ذلك : أن أبا دلف كتب إلى عبد الله بن طاهر :

أرى ودمكم كالورد ليس بدائم      ولا خير فيمن لا يدوم له عهد  
وحبي لكم كالآس حسنا ونضرة      له زهرة تبقى إذا فنى الورد<sup>(١)</sup>  
فأجابه ابن طاهر :

وشبهت ودى الورد وهو شبيهه      وهل زهرة إلا وسيدها الورد

وودك كالآس المرير مذاقه      وليس له في الطيب قبل ولا بعد

ومن تشبيه المعقول ، بالمعقول والمحسوس معاً ، قول ابن هاني الأندلسي  
— يصف زهرة رمان قطفت قبل عقدها — :

لو كف عنها الدهر صرف الدهر      جاءت كمثل النهد فوق الصدر

تفتقر عن مثل اللآلئ الحجر      في مثل طعم الوصل بعد الحجر  
وقول المتنبي :

كان المعاني في فصاحة لفظها      نجوم الثريا أو خلائقك الزهر

وقول حافظ في الأستاذ الإمام :

خشع البحر إذ ركبت جواريه      م      خشوع القلوب يوم الحساب

(١) الآس : يضرب به المثل في دوام الود لحضرته ، قال أبو حنيفة الدينوري : الآس بأرض العرب كثير ينبت في الدهل والجبل وخضرته دائمة ، وينمو حتى يكون شجراً عظيماً ، وله زهرة بيضاء شبيهة الرائحة وثمرته سوداء إذا أبيضت تحلوا وفيها مع ذلك علفمة .

وبدا ماؤه كخاطر كالمصقول م أو كالفرند أو كالسراب  
أو المشبه محسوس والمشبه به معقول :  
كقول أبي تمام :

وفتكت بالمال الجزيل وبالعدا فتك الصباة بالحب المخرم  
وقول عبد العزيز الجرجاني :  
مَنْ عاذرى مَنْ زمن ظالم ليس بمستحي ولا راحم  
تفعل بالأحرار أحداثه فعل الهوى بالمدنف الهائم  
وقول آخر :

كَأَنَّ بياض غُرته رشاد كأن مسواد طُرته ضلال  
٢ - وجه مركب :

وهو المركب تركيباً اعتبارياً يجعله بمنزلة الواحد ، بأن يكون حقيقة  
ملتزمة ، كقول ابن وكيع التليسي في البلع :  
كَأَنَّهُ والعيون تنظره إذا بدا زهره على القضب  
مكاحل من زمرد خرطت مقمعات الروس بالذهب  
أو يكون أوصافاً مقصوداً من مجموعها إلى هيئة واحدة ، كقول أبي  
طالب الرقي :

وكان أجرام السماء لوامعاً درر تُثَرْنَ على بساط أزرق  
وهو إما مركب حسي وطرفاه مفردان ، كقول أحيحة بن الجلاح ،  
أو قيس بن الأسلت :

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا  
والوجه الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض الصغار المقادير في مرأى  
العين وإن كانت كباراً في الحقيقة ، على الكيفية المخصوصة ، منضمة إلى  
المقدار المخصوص .

والمراد بالكيفية مخصوصة : أنها لا بمجموعة اجتماع التضام والتلاصق ولا هي شديدة الافتراق ، بل لها كيفية مخصوصة من التقارب والتباعد على نسبة قريبة مما نجده في رأى العين بين تلك الأنجم .  
والطرفان المفردان : هما الثريا والعنقود ، ولا عبرة بتقييدهما لأن التقييد لا ينافي الإفراد .

أو طرفاه مركبان .

كقول البحترى في شقائق النعمان :

شقائق يحملن الندى فسكانه دموع التصاني في حدود الخرائد

وقول ابن المعتز في النارج :  
كانما النارج لما بدت

وجنة معشوق رأى عاشقاً صفوته في حمرة كاللهيب

وقول أبي الحسن الصقلي فيه :  
فأصفر ثم أحمر خوف الرقيب

ونارنجة بين الرياض نظرتها على غصن رطب كهامة أغيد

وقول محمد بن القاسم العلوى في المطلع :  
إذا ميلتها الريح مالت كأكرة بدت ذهباً في صولجان زمرّد

وطلع هتكنا عنه جيب قبضه فيا حسنه في لونه حين هتكنا

حكى صدرخود من بنى الروم هزها سماع فشقت عنه ثوباً ممسكا

أو مختلفان والمشبّه مفرد والمشبّه به مركب ، كقول عدى بن الرقاع :

ترجى أغن كأن إرقة روقه فلم أصاب من الدواة مدادها

وكقول محمد بن قيس في الورد الأبيض :

جاءت بورد أبيض شبهته عند العيان

بمداهن من فضة فيها بقايا زعفران

وقول آخر في الورد الأسود :



وورد أسود خلناه لما تنشق نشره ملك الزمان  
مداهن عنبر غصن وفيها بقايا من سحيق الزعفران  
وقول الصنوبري في النيلوفر :

كانا باسط اليدين نحو — و نيلوفر ندى

كديبايس عسجد قضبا من زبرجد

أو المشبه به مركب والمشبه مفرد ، كقول أبي تمام :

يا صاحبي تقضيا نظربكما تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهارا مشمساً قد شابه زهر الربا فكأنما هو مقمر

وهذا النوع عزيز جداً ، ويقول العلوي : إنه لم يجد له مثالا في القرآن الكريم لقلته وغرابته ، وهو موجود في الشعر على جهة النادرة<sup>(١)</sup>.

أو مركب عقلي ، كقول أبي تمام :

خلط الشجاعة بالحياء فأصبحا كالحسن شيب لمغرم بدلال

وجه الشبه : صورة قوة عاتية مؤثرة يمازجها ضعف ولين وتكسر .

وقول أبي الفضل المكيالي :

كم والد يحرم أولاده وخيره يحظى به الأبعد

كالعين لا تنظر ما حولها ولحظها يدرك ما يبعد

وجه الشبه : حرمان الأقرب المستحق ، ونيل الأبعد الذي لا يستحق :

وقول سلطان بلنسية عبد الملك بن مروان الأندلسي :

ولا غرو بعدى أن يسود معشر فيضحي لهم يوم وليس لهم أمس

كذلك نجوم الجو تبدو زواهرا إذا ما توارت في مغاربها الشمس

وجه الشبه : سيادة الدهماء بفقد العظام :

وقول آخر :

لئن بسط الزمان يدي لئيم فصبوا للذي فعل الزمان  
فقد تعلو على الرأس الذناني كما تعلو على النار الدخان  
وجه الشبه : ارتفاع السفلة واستفال العلية .

٢ - وجه شبه متعدد

وهو ما ليس واحداً ولا منزلاً منزلة الواحد .  
وذلك أن يذكر في التشبيه عدد من أوجه الشبه : شيتين أو أشياء على  
عل وجه الاستقلال ، فلا يتقيد بعضها ببعض ، بل كل واحد مفرد بنفسه .  
مثال المتعدد الحسي قول أبي حنيفة يصف جواداً :  
مثل الغراب بدا يباري صحبه بسواد صبغته وحسن قوامه  
ومثال المتعدد العقلي قول ابن الرومي :  
كالدهر في النفع والمضرة والحكمة م لكن رية غصبه  
وقول المتنبي :

في كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحياء منها وتخشى الصواعق<sup>(١)</sup>  
ومثال المتعدد المختلف قول شاعر :

هم الأسد بأساً في اللقاء وأوجها إذا غضبوا والسهميرة غيلاً  
والفرق بين التعدد في الوجه والتركيب فيه :

أن الأول لا يجب فيه الترتيب ، فيجوز تقديم بعضه على بعض .  
تقول : محمد كالغيث في النفع والضرر ، أو في الضرر والنفع .  
وثانياً أنه إذا أسقط بعضه لا يختل التشبيه ولا يتغير حال الباقي .  
فمثلاً في قول ابن رشيق :

وتفاحة من كف ظبي أخذتها جناها من الغصن الذي مثل قدمه  
حككت لمس نهديه وطيب نسيمه وطعم ثناياه وحرمة خده

(١) الجون بضم الجيم : جمع جون بفتحها ، السود والبيض ، والمراد هنا السود .

يمكن الاكتفاء بالخرقة ، أو بالخرقة وطيب الرائحة ، وبطل التشبيه بعد هذا حافظاً لقيمته ، وإن كان الاستقصاء أروع وأدق .

ومثل هذا يقال في وصف أندلسي للسفرجل :

سفرجلة جمعت أربعاً      نظمن لها كل معنى عجيب  
صفاء النضار وطعم المَغار      ولون المحب وريح الحبيب  
وقول أبي القاسم العطار :

وبى غزال إذا صادفت غُرته      جنيت من وجنتيه روضة أنفاً<sup>(١)</sup>

كالبدر مكتملاً كالظي ملتفاً      كالروض مبتسماً كالغصن منعظاً

بخلاف المركب كقول السري الرفاء في وصف القلم :

أخرس مُنيك      يطرأه      عن كل ما شئت من الأمر

يُدرى على قرطاسه دمة      تُبدى لنا السر وما يدرى

كعاشق أخفى هواه      وقد نمت عليه عبرة تجرى

فإنه لو أسقط منه جزء مما اعتبرت فيه الهيئة بطل التشبيه في قصد المتكلم لأنها صورة روعى فيها أن تكون تامة التأليف كاملة الأجزاء ، يسودها التناسب والانسجام والتفسيق .

وفي هذا يقول الزمخشري : والعرب تأخذ أشياء فرادى معزولة بعضها عن بعض فتشبهها بنظائرها ، وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً بآخر مثلها .<sup>(٢)</sup>  
هذا هو التقسيم المأثور لدى البلغاء .

وقد قسمه الفيومي تقسيماً آخر باعتبار آخر ؛ فقال : إن النصفة التي هي وجه الشبه ذاتية ومعنوية ؛  
فالذاتية : نحو هذا الدرهم كهذا الدرهم ، وهذا السواد كهذا السواد .

(١) الغرة بالسكس : النقلة .

(٢) حاشية الرشدي - ٢٤



والمعنوية : نحو زيد كالأسد ، أو كالحمار : أى فى شدته وبلادته ، وريد  
كعمرو : أى فى قدرته وكرمه وشبهه .

وقد يكون مجازاً : نحو الثابت كالمعدوم ، والثوب كالدرهم : أى قيمة  
هذا الثوب تعادل قيمة الدرهم فى قدره<sup>(١)</sup> .

وبما تقدم نعلم أن فى تشبيه المحسوس بالمحسوس يأتى وجه الشبه على  
ثلاثة أضرب :

- ١ - أن يكون محسوساً كالوجه والصبح فى الإشراق .
  - ٢ - أن يكون معقولاً كالعالم والنجم فى الهداية .
  - ٣ - أن يكون محسوساً ومعقولاً كالجيل والبدر فى الجمال وعلو المنزلة .
- غير أنه إذا كان وجه الشبه محسوساً كله أو بعضه سواء أكان واحداً  
أو مركباً أو متعدداً ، فلا بد أن يكون الطرفان حسيين لا متناع أن يدرك بالحس  
شيء من غير الحس .

أما فى تشبيه المعقول بالمعقول كالشباب والجنون فى التهور والطيش .  
والمعقول بالمحسوس كالشوق والنار فى الإحراق .  
والمحسوس بالمعقول كالمسك والثناء الحسن ، فإن وجه الشبه يكون  
عقلياً فقط ، لأنه مشترك بين الطرفين ، فلو أمكن أن يحس محسوساً فى هذه  
الحال ، لكان المعقول الموصوف به محسوساً من ذلك الوجه وهو محال  
بخلاف يحس المعقول من الطرفين الحسيين ، لجواز أن يدرك بالعقل شيء  
من الحس .

ومن هنا يثبت أن التشبيه بالوصف المعقول أعم من التشبيه بالوصف  
المحسوس ، وأن التشبيه بالوصف المحسوس أتم من التشبيه بالوصف المعقول  
لأمور منها :

١ — أن أكثر الغرض من التشبيه : التخيل الذي يقوم مقام التصديق والخيال أقوى على ضبط الكيفيات المحسوسة .

٢ — أن المشابهة في الصفة قد تبلغ إلى حيث يتوهم أن أحد الطرفين هو الآخر كالحمد والورد ، ولكن ما يتعلق بالصفة لا يبلغ إلى هذا الحد فإن من المستحيل ألا يفرق العاقل بين ذوق العسل في نفس الذائق ، وبين ما يحدث بالكلام المقبول في نفس السامع من الارتياح في تشبيه الكلام بالعسل .

وفي هذا يقول السكاكي (١) : وهنا نكتة لا بد من التنبيه لها ، وهي أن التحقيق في وجه الشبه يأتي أن يكون غير عقلي .  
يريد أن وجه الشبه أمر كلي مأخوذ من المثاليين بتجريدتها عن التعيين ، وما كان هذا شأنه فهو أمر عقلي .

ويقول الخطيب : يمكن أن يقال : المراد بكونه حسياً أن تكون أفراده مدركة بالحس كالسواد ، فإن أفراده مدركة بالبصر وإن كان هو في نفسه غير مدرك به ولا بغيره من الحس .

وهذا في الحقيقة تسليم لكلام السكاكي واعتراف بأن وجه الشبه عقلي ، غير أنه يسمى حسياً (٢) .

ولا بد في وجه الشبه من زيادة اختصاص بالمشبه به ، كالشجاعة مثلاً في تشبيه زيد بالأسد ، فكلاهما يشتركان في الحيوانية والجسمية والوجود وغير ذلك ، ولكن شيئاً منها لا يسمى وجه تشبيه .

وقد اشترط بعضهم أن يكون اشتراك الطرفين في صفة ظاهرة ، وفيه

(٢) الإيضاح — ١٦١

(١) المفتاح — ١٧٦

(٤) أسرار البلاغة — ٢٢٧

(٣) معروس الأفراح — ٣ — ٢٥٢

تظر إذ لا مانع من التشبيه في صفة خفية على شريطة بيان وجه الشبه بها ،  
كقولك : رأيت رجلاً كالأسد في البحر .<sup>(١)</sup>

والممتنع هو الخفاء في العلاقة .

وخير التشبيه عند عبد القاهر<sup>(٢)</sup> ما جمع معنيين ، كقول ابن الرومي :

يا شبيه البدر في الحسن م وفي بعد المنال

جد فقد تنفجر الصخرة م بالماء الزلال

فوجه التشبه مؤلف من معنى الحسن وبعد المنال .

ولا يخلو ما به المشابهة من أن يكون :

١ — صفة حقيقية ، وهي الكيفيات الجسمانية محسوسة أو غير محسوسة  
كالألوان والأصوات والمذوقات والأشكال والمقادير والحركات والصلابة  
والرخاوة ، أو الكيفيات النفسانية كالغرائز والأخلاق .

٢ — أو حالاً إضافية كقولك : هذه حجة كالشمس .

فأشترأكهما ليس في شيء من الكيفيات الحقيقية ، كالحرارة في الورد والخد  
ولكنه أمر إضافي ، وهو أن كلا منهما مزيل كاشف للغطاء .

وهذه الحالات الإضافية قد تكون واضحة حتى تقرب من الكيفيات  
الحقيقية ، كما في تشبيه الكلام بالعسل في خلواته .

وقد يكون بعيداً يحتاج إلى تأويل كتشبيه المسنويين في الفضل بالحلقة  
المفرغة لا يدري أين طرفاها .

فلا يتصور المقصود من ذلك إلا من له ذهن يرتفع عن طبقة العامة .

(١) يوصف الأسد بالبحر لفلة ريقه كما يقولون .



## الفصل الثالث عشر

### مراعاة جهة التشبيه

حينما يوقع المتكلم تشبيها بين شيئين ، يراعى معنى خاصا قصد إشتراك الطرفين فيه .

فليس مراداً له الاتفاق في جميع الوجوه ، لأن ذلك يقضى بعدم التعدد فيصبح الطرفان شيئاً واحداً عبر عنه بعبارتين ، إذ تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفاً له بمشاركته المشبه به في أمر من الأمور ، وإلا لو كان نفس المشبه به لكان من قبيل الترادف أو الاشتراك .

كذلك ليس مراداً له الاختلاف في جميع الصفات ، لأنه لا يمكن التشبيه مع النخالف التام لفقد الجامع بينهما ، والتشبيه في جوهره ربط وتأليف .

لذلك كان لا بد من الاختلاف في بعض الجهة ، والاشتراك في بعضها . لأن الاشتراك من جميع الوجوه أو الاختلاف من جميع الوجوه لا يتسنى به تشبيه .

وقد شرح قدامة ذلك بقوله : إنه من الأمور المعلوم أن الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات ، إذ كان الشئان إذا تشابه من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة ، اتحداً فصارا لثنان واحداً ، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما ويوصفان بها ، واقتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها (١) .

ومن ثم كان الواجب مراعاة جهة التشبيه مراعاة تامة؛ لأنها عنوان الدقة ، ومظهر الإصابة ، وتجلى الذوق السليم والمنطق المستقيم ، والنظر العميق النافذ إلى صميم الأشياء ، ودليل القدرة على المقارنة المستوعبة ، وإصدار الأحكام العادلة المتزنة .

ولا يبعد من يقول : إن مراعاة الجهة هي ميزان التشبيه ، بها يحكم له أو عليه ، وأن سر ارتباطنا للتشبيه أو انقباضنا عنه ، ترجع إلى مبلغ حظه منها قوة وضعفا .

وهذا عبد القاهر يقول : إن من حق العاقل ألا يتعدى بالتشبيه الجهة المقصودة ولا سيما في العقليات (١) .

وذهب قدامة إلى أن أحسن التشبيه هو ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها ، حتى يدنى بها إلى حال الاتحاد .  
وبما أورده في ذلك قول يزيد بن الطثرية (٢) يصف رأسه قبل حلقه وبعده (٣) .

فأصبح رأسي كالصخرة أشرفت عليها عقاب ثم طارت عقابها  
فالحسن في تشبيه الرأس بالصخرة أنه قريب منها في الضخامة والملامسة واللون المائل إلى الخضرة (٤) .

وقد ألح على هذا المعنى ، فقال في نعت الوصف (٥) : والوصف إنما هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات ، ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يتم على الأشياء المركبة من ضروب المعاني ، كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ، ثم بأظهرها فيه وأولاها

(١) أمداد البلاغة - ٥٣ .

(٢) شاعر غزل ظريف كان يتعرض للنساء فعاقبه أخوه بخلق رأسه وكان حسن الشعر .

(٣) نقد الشعر - ٦٥ - ٦٨ . (٤) المصدر السابق - ٧١ - ٧٢ .

حتى يحكيه بشعره ، ويمثله للحس بنعته ، كقول رجل من هذيل يصف حال  
القوم في الحرب عند الجلاء :

كفانغم الثيران بينهم ضرب تغمض دونه الخدق<sup>(١)</sup>  
وكقول معاوية بن خليل النصرى - يصف نباهة قومه وأنهم أشهر من  
حى آخر - :

فنحن الثريا وعيوقها ونحن السباكان والمرزم<sup>(٢)</sup>  
وأنتم كواكب مجهولة نرى في السماء ولا تعلم  
وكقول عبد الرحمن القس - يصف إصغاء السامعين إلى غناء سلامة - :  
إذا ما عجم مزهرها إليها وعاجت نحوه أذناً كرام  
فأصغوا نحوه الأسباع حتى كأنهم - وما ناموا - نيام  
ورأى أن جودة التشبيه لا تتوقف على كثرة الاشتراك في الصفات ،  
فقد لا نكون هناك صفات متعددة تقضى بهذا الاشتراك ، وإنما المهم هو  
إصابة جهة الاشتراك وقد تكون هذه الجهة معنى واحداً .  
ونحن نرى كثيراً من التشبيهات تخلو من المعاني المتعددة ، ولكنها بالغة  
الغاية في الدقة والإصابة ، كقول أشجع السلمى في مدح جعفر البرمكى :  
بديته مثل تفصكيره متى رمته فهو مستجمع  
وقول أبى العيناه :

إني لأعجب بل فعالمك أعجب من طول تردادى إليك وتهرب  
وتقول لى قولاً أظنك صادقاً فأجىء من طمع إليك وتكذب  
فإذا اجتمعت أنا وأنت بمجلس قالوا مسيلة وهذا أشعب

(١) الفانغم : الأصوات جمع غمضة .

(٢) العيوق : نجم آخر معنى في طرف الهجرة الأيمن . والمرزم : نجم .



وقول المتنبي :

كريم لفظت الناس لما بلغته كأنهم ما جف من زاد قادم  
وقول بعضهم يهجو رجلا برثائه الحال :

يأتيك في جبهة مخرقة أطول أعمار مثلها يوم  
وطيلسان كالآل يلبسه على قيص كأنه غيم  
وقول أبي الفتح البستي :

كأنه فرس الشطرنج ليس له في ظل رابطه ماء ولا علف  
وقول آخر :

من كانت الدنيا له ثروة فتحن من نظارة الدنيا  
نرمقها من كئيب حسرة كأتنا لفظ بلا معنى  
وقول آخر :

كأن بلاد الله وهي عريضة على الخائف المذعور كفة حابل  
وقول شوقي :

والفرد يؤمن شره في قبره كالسيف نام الشر خلف قراه  
فهذه التشبيهات لا ترد روعتها إلى كثرة الاشتراك في صفات متعددة  
ولكن إلى إصابة جهة التشبيه وإن كانت جهة واحدة .  
نعم إن كان شيء يشبه شيئين ، وكان أحدهما أغنى من الآخر بجهات الشبه  
فلا مرية أن يكون أولى بالتشبيه .

ولعل ذلك ما يقصده قدامة من قوله المتقدم .

ومن هذا تشبيه الأقبوان بالثغور فقد أكثر الشعراء منه ، وإن كان  
تشبيههم الثغور به أكثر ، كقول ظافر الحداد - وهو من النوع الجيد - :  
والأقبوانة نحكي نعر غانية تبسمت عنه من عجب ومن عجب

في قد والبرد والريق الشهى وطيب م الرياح واللون والتفليج والشنب<sup>(١)</sup>  
كشمسة من الجين في زبرجدة قد شرفت حول مسبار من الذهب<sup>(٢)</sup>  
ويقول آخر :

والأقحوانة تجلي وهي ضاحكة عن واصح غير ذي ظلم ولا شنب  
كانها شمسة من فضة حُرست خوف الوقوع بمسبار من الذهب

وهذا والذي قبله - كما يقول النويري - من بديع التشبيه ، وهو  
أجود من تشبيهها بالثغور وأصنع ، فإنها لا تشبه بالثغر حقيقة إلا من وجه  
واحد ، وهذا قد شبهها ووصفها بجميع صفاتها وهياتها .<sup>(٣)</sup>  
فإذا كانت الجهات كثيرة كان من الحق أن يستوعبها المنشئ كلها إن كان  
الإطار العام للتشبيه لا يتم إلا بها .

كقول الحسن بن وهب :

بأبي كرهت النار لما أوقدت فعرفت ما معتك في إبعادها  
هي ضرة لك بالتماع ضياتها وبحسن صورتها لدى إيقادها  
وأرى صنيعك بالقلوب صنيعها بساتها وأراكها وعرادها<sup>(٤)</sup>  
شر كنتك في كل الأمور بحسنها وضياتها وصلاحتها وفسادها

وقول صاحب بن عباد :

وشمعة قدمت إلينا تجمع أوصاف كل حب  
صفرة لون وذوب جسم وفيض دمع وحر قلب

(١) التفليج : الداعد ما بين الأسنان .

(٢) الشمسة : يريد بها القطعة المدورة على هيئة الشمس .

(٣) نهاية الأرب - ١١ - ٢٨٩ .

(٤) السبال : نبات له شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه اللبن ، والعراد : نبت .

وقول أبي الفتح البستي :

فنى جمع العلياء عليا وعفة      وبأساً وجوداً لا يفوق فواقا (١)  
كما جمع التفاح حسنا ونضرة      ورائحة محبوبة ومذاقا  
وقول التهامي :

بحكى جنى الأفحوان الغض مبسمها      فى اللون والريح والنفليج والأشعر (٢)  
وقول ابن الخلال فى وصف الشمعة :

وصحيفة يضاء تطلع فى الدجى      صبحا وتشفى الناظرين بدائها  
شابت ذوائبها أوان شباها      واسودت مفرقها أوان فئسائها  
كالعين فى طبقاتها ودموعها      وسوادها وبياضها وضيائها  
وقول ابن القارح - وقد جمع فى بيت واحد أوصاف الشمعة السبعة : (٣)  
لقد أشبهتني شمعة فى صباي      وفى هول ما ألتى وما أتوقع  
نحول وحرق فى فناء ووحدة      وتسبب عين واصفرار وأدمع  
فهذه الأشعار روعى فيها استيفاء جهات التشبيه المتعددة ؛ لأن غرض  
الشاعر كان الاستقصاء ، فكان لا بد من الإتيان بها .

ولكن هذا ليس بلازم حتم ، بل ليس بمستلزم دائما ، فليس مطلوبا  
من الشاعر أن يشرح ويفسر ويتبع الأجزاء الصغيرة ، لأن هذه نظرة العالم  
لا الأديب ، وإنما يراد منه أن يصور لنا أهم الأجزاء ، ويجلو علينا ما حالك  
فى صدره ، لنشاركه فى تجربته .

فالشعر والرسم نحات دالة على النواحي السكلية القيمة الممتازة ، والفن

(١) لا يفوق فواقا : لا يستريح من العمل قدر فواق الناقة ، وهو الوقت الذى بين الحابتين ،  
أو هو ما بين فتح يد الحالب وقبضها على الضرع .

(٢) الأشعر : بضمتين وضم وفتح : تحزير فى الأسنان خلفة وصناعة .

(٣) رسائل ليلها - ٢٠٩ - جمع الأصناف كرد على .



الأصيل بأبي الإفاضة والتفسير ويعنى نفسه من التفاصيل الفرعية .  
 فالشأن — كما يقول المبرد — : واعلم أن التشبيه حدا ، فالأشياء تشابه  
 من وجوه وتباين من وجوه ، فإنما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع ، فإذا  
 شبه الوجه بالشمس فإنما يراد الضياء والرواق ، ولا يراد العظم والإحراق .  
 والعرب : تشبه النساء بالسحابة لتهاديها وسهولة مرها ، قال الأعشى :  
 كان مشيتها من بيت جاريتها مر السحابة لاريت ولا تعجل  
 فهذا ما تلحق العين منها ، فأما الخفة فهي كأسرع مار .  
 والعرب تشبه المرأة بالشمس والقمر والغصن والغزال والبقرة الوحشية  
 والسحابة البيضاء والذرة والبيضة ، وإنما تقصد من كل شيء إلى شيء .<sup>(١)</sup>  
 ويقول العسكري : ويصح تشبيه الشيء بالشيء جملة وإن شابه من وجه  
 واحد مثل قولك : وجه مثل الشمس ومثل البدر ، وإن لم يكن مثلهما في  
 ضيائهما وعلوهما ولا عظمهما ، وإنما شبه بهما لمعنى يجمعهما وإياه وهو الحسن .  
 وعلى هذا قول الله — عز وجل — : وله الجوار المنشآت في البحر  
 كالأعلام . .  
 إنما شبه المراكب بالجبال من جهة عظمها لا من جهة صلابتها ورسوخها  
 ورزانتها ، ولو أشبه الشيء الشيء من جميع جهاته لكان هو هو .<sup>(٢)</sup>  
 فليس كل شيء يشبه شيء . يقع التشبيه به من جميع الجهات حتى لا يغادر  
 منها شيء ، وقد يكون إنما شبه ببعض ما فيه لا بأكمله .<sup>(٣)</sup>  
 والسنور يوصف بصفة الأسد إذا أرادوا به الصبورة والأعضاء  
 والوثوب والتخلع في المشي ، وقد يكون في الشيء بعض الشبه من شيء ولا  
 يكون ذلك مخرجا لهما من أحكامهما .<sup>(٤)</sup>

(١) السكامل • شرح الرصنى • ٦ - ١٧٧ - (٢) الصنائع • ٢٢٦ -

(٣) الموازنة للأمدى • ٣٧٦ - (٤) الحيوان • ٥ - ٨٤ -

وقد جرت عادة الناس أن يقولوا : فلانة أحسن من الطاوس ، وما هي إلا طاوس ، وقول الشاعر :

خدودها مثل طواويس الذهب

مع أن الفرس الرائع الكريم أحسن من كل طاوس في الدنيا . وكذلك الرجل والمرأة ، وإنما ذهبوا من حسنه إلى حسن ريشه وألوانها ..... ولم يذهبوا إلى أعضائه وجوارحه .

وكما يقول جعفر بن سعيد : إن الديك أحسن من الطاوس وأنه مع حسنه وانتصابه وتقلعه<sup>(١)</sup> إذا مشى ، سليم من مقايح الطاوس وموقه<sup>(٢)</sup> وقبح صوته ، وتشاؤم أهل الدار به ، ومن قبح رجله ونذالته<sup>(٣)</sup> .

ويقول ابن رشيقي : ألا ترى أن قولهم : خد كالورد إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها لا ماسوى ذلك من صفرة وسطه ، وخضرة كائمه . وكذلك قولهم : فلان كالبحر وكالليث إنما يريدون كالبحر سماحة وعلها وكالليث شجاعة وقرما ، وليس يريدون ملوحة البحر وزعوقته ، ولا شتامة الليث وزهو مته ، فوقوع التشبيه إنما هو أبداً على الأعراض لا على الجواهر لأن الجواهر في الأصل كلها واحد ، اختلفت أنواعها أم اتفقت ، فقد يشبهون الشيء بسميه ونظيره من غير جنسه ؛ كقولهم : عين كعين المهابة ، وجيد كجيد الرئم ، فاسم العين واقع على هذه الجارحة من الإنسان والمهابة ، واسم الجيد واقع على هذا العضو من الإنسان والرئم والكاف للمقاربة ، وإنما يريدون أن هذه العين لكثرة سوادها قاربت أن تكون سوداء كلها كعين المهابة ، وأن هذا الجيد لانتصابه وطوله كجيد الرئم .

ألا ترى أن الأصمى سئل عن الحور ، فقال : أن تكون العين سوداء كلها كعيون الظباء والبقر ولا حور في الإنسان .

(١) لتقلع : القفز والمفعة في الوثب .

(٢) الموق بالضم : الحق .

(٣) نمار القلوب — ٣٧٣ .

هذا أحد أقوال الأصمعي في الحور ، وهو بذلك على أن التشبيه إنما هو بالمقاربة كما قلنا<sup>(١)</sup>.

وفي ظل هذا القانون يمكنك أن توازن بين قول ابن الرومي في النيلوفر :  
وكانه إذ غاب عند مسائه في الماء فاحتجبت نضارة قدح  
صب يهدده الحبيب بهجره ظلماً فغرق نفسه من وجده  
وقول السري الرفاء فيه :

يا حسن نيلوفر شغفت به بمنحه الماء صفو مشروبه  
كانه عاشق به ظلماً توهم الماء ريق محبوبه  
فإن الرومي تخيل النيلوفر صباً تهدده الحبيب بالهجر ظالماً له ، فأما  
نفسه غرقاً فرأى عما هو أشد من الموت !

أرى هجرها والقتل مثني فاقصرا ملامكا فالهجر أعنى وأبسر  
وهذه النظرة السوداء الانتحارية تتفق مع مزاج ابن الرومي المتشائم !  
وتخيل الرفاء أن النيلوفر عاشق أيضاً ، وأن هذا العاشق اعتراه ظلماً  
فراى ماء توهمه رضاب محبوبه ، فأكب عليه بكرة منه ويبعب ولا يروى ؛  
لأن ريق المحبوب يزيد في وقدة الوجد :

ترشفت فاهها سحرة فكأنني ترشفت حر الوجد من بارد الظلم  
فأنت ترى أن كلا الشاعرين شبه النيلوفر المحب الهائم المتيم ، وكلاهما  
التمس العلة في شغف النيلوفر بالماء والنصاقه به فأحسن التعليل ، ولكن وجه  
نظرهما اختلف باختلاف مزاجيهما وخيالهما والزاوية التي آثر كل منهما أن  
ينحاز إليها ، وهي لا تعدو معنى جزئياً خاصاً .

وعما وقع موقعه من دقة المراعاة لوجه الشبه قول أوس بن حجر — .



يشبه ارتفاع الأصوات في الحرب تارة ، وهوودها وانقطاعها تارة  
أخرى ، بصوت الفتاة البكر تجاهد أمر الولادة :

لها صرخة ثم إسكاته كما طرقت بنفاس بكر

فلم يرد الشاعر في هذا الموضع نفس الصوت ، وإنما أراد حالة في أزمان  
مقاطع الصرخات ، وإذا نظر في ذلك وجد الذي وفق بين الصوتين واحداً  
وهو مجاهدة المشقة ، والاستعانة على الألم بالتبديد في الصرخة<sup>(١)</sup>.

ولعلقمة - أنشده المبرد يشبه الظلم في حركة جناحيه مع إرسالهما  
بالجاء المقوض - :

صَلَّ كَانَ جناحيه وجؤجؤه يبت أطافت به خرقاءمهجوم<sup>(٢)</sup>

اشترط أن تعاطى تقويضه خرقاء ؛ ليكون أشد تفاوت جركاته وخروج  
اضطرابه عن الوزن<sup>(٣)</sup>.

وقول الشماخ في العقاب :

تلوذ نعالب الشرفين منها كما لاذ الغريم من التبيع

وقد يختلف اللوذان بحسب اختلاف اللاتذين ، فأما التبيع فهو ملح  
في طلب الغريم لفائدة يرومها منه ، والغريم بحسب ذلك يجتهد في الروغان  
وفي اللواذ خوفاً من مكروه يلحقه .

(١) التطريق : قرب الولادة . (٢) تقد البئر - ٦٦ .

(٣) الناضل : الدقيق الرأس ، والجؤجؤ : الصدر ، والخرقاء : المرأة الحقةاء ، والريخ  
الخفيفة المهبوب لا تدوم على جهة واحدة ، والمهجوم : الذي سبب أخطابه .

(٤) أسرار البلاغة - ١٢٦ .

(٥) الشرفين : مثنى شرف وهو ، الزنم من الأرض ، والغريم : اللاتين والمدين والمراد  
هنا الثاني ، والتبيع : صاحب الدين .

وكذلك الثعلب والعقاب سواء ، لأن العقاب ترجو شبعها والثعلب يخاف موته .

وقول ابن أحرر الباهلي - يصف قلب الفرس عند الحركة السريعة - :  
وفؤاده زَجَلٍ كَعُرْفِ المَهْدَدِ

فتواتر نبض قلب الفرس إذا تحرك قريب الشبه من تواتر حركة عُرْفِ المَهْدَدِ .<sup>(١)</sup>

وقول عمرو بن معد يكرب :

ولما رأيت الخيل زُوراً كأنها جداول زرع أرسلت فاسبطرت<sup>(٢)</sup>  
بجاشت إلى النفس أول مرة فردت على مكروها فاستقرت<sup>(٣)</sup>  
يقول : لما رأيت الفرسان منحرفين للطعن وقد خلوا عنهم دواجم  
وأرسلوها علينا كأنها جداول زرع أرسلت مياهها فامتدت . . . . .  
والتشبيه وقع على جرى الماء في الأنهار لا على الأنهار ، فكأنه شبه  
الخيول في انحرافها عند الطعن بامتداد الماء في الأنهار ، وهو يطرد ملتوياً  
ومضطرباً .

وهو تشبيه بديع .<sup>(٤)</sup>

وقول قيس بن الخطيم :

فرأيت مثل الشمس عند طلوعها في الحسن أو كدنها الغروب  
وإنما نص على ذلك ؛ لأن الشمس عند طلوعها وعند غروبها يمكن النظر  
إليها ويمكن التشبيه .

(١) قد الشعر - ٦٦ - ٦٧ .

(٢) زور : جم أزور وهو الموج الزور بالفتح : أي الصدر ، والمراد : مائلات ، واسبطرت : امتدت .

(٣) بجاشت : ارتفعت من الغزع .

(٤) خزانة الأدب للبنداءى - ٢ - ٣٨١ - ٣٨٢ .

وأما قول الخنساء :

يذكرني طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمس

فإنها تعني : أنها تذكره أول النهار للغارة وآخره للأضياف .

وقول الطرماح في وصف الثور هارباً من الكلاب :

يبدو وتضمه البلاد كأنه سيف على شرف يسُلُّ ويغمد

والثور يوصف بالسيف كما يوصف بانقضاض الكوكب ، لسرعته

وحسنه وبريق جلده .

وقول بعضهم - وقد أنشده الجاحظ - :

أما رأيت بني بحر وقد حفلوا كأنهم خبز بقال وكتاب<sup>(١)</sup> .

هذا طويل وهذا حنبل جحد يمشون خلف عمير صاحب الباب

شبههم بخبز المعلمين لإتيانه مختلفاً لأنه من بيوت صبيان مختلفي الأحوال .

وأنشد أيضاً :

وشعر كبر الكباش فرق بينه لسان دعي في القريض دخيل

وبعر الكباش لا يقع إلا متفرقا .

ولذلك قالت ابنة الحطيئة لأنها لما نزل في بني كليب بن يربوع : تركت

الثروة والعدد ، ونزلت في بني كليب بعير الكباش<sup>(٢)</sup> .

وقول بعضهم :

حديث بني بدر إذا ما لقيتهم كنزو الدبي في العرفج المتقارب<sup>(٣)</sup>

(١) الحنبل : القصير الضخم البطن ، والجحد بكسر الحاء : الضيق العيش .

(٢) الكامل للبهرد « شرح المرموق » ٥ - ١٢٠ .

(٣) الدبي : سفار الجراد والحدنه دابة ، والتزو : الوثب ، والعرفج : نبت لا يطول مثل

قعدة الإنسان سريع الالتهاب .



يصفهم بضوالة الأصوات وسرعة الكلام وإدخال بعضه في بعض ،  
والحمود الجهارة والفخامة كما قال العناني يمدح الرشيد :

جهير الكلام جهير العطاس      جهير الرواء جهير النغم  
ويخطو على الأبن خطو الظليم      ويعلو الرجال بخلق عجم<sup>(١)</sup>  
وقول أبي حية النمرى : - وهو من مליح التشبيه - :

لعينك يوم البين أسرع واكفا      من الفن المعطور وهو مروح  
وذاك أن الغصن يقع المطر في ورقه فيصير منها في مثل المداهن ، فإذا  
هبت عليه الريح لم يلبث أن يقطر .  
وقول أبي تمام :

فكنت لناشيم أبا ولكهلم أخا ولذي التقويس والكبرة ابنا  
فقد أحكم فيه المقابلة وأعدل القسمة .

وقول ابن المعتز - وقد عده بعض البغداديين أحسن ما قيل في طيب  
النكهة والريق وحسن الشعر - :

وقلت أفواها عذاباً كأنها      ينابيع خمر خضبت لؤلؤ البحر  
ولا يعيبه إلا كلمة البحر فإنها فضل لا يحتاج إليه ، لأن اللؤلؤ لا يكون  
إلا في البحر ، ولو كان في غير البحر لؤلؤ فليس لنسبته إليه فائدة .  
وقوله يصف شرب حمار :

وأقبل نحو الماء يستل صفوه      كما أغمدت أيدي الصياقل مُنصلا  
شبه انسياب الماء في سدقيه إلى حلقه بمنصل يغمد .  
وهذا تشبيه مليح يدرك بالحس ويتمثل بالمعقول<sup>(٢)</sup> .

(١) الأبن : الإعياء ، والعجم : الجسيم .

(٢) العمدة - ١ - ١٩٦ .

وقوله - وهو أحسن ما وصفت به كأس على قم - :

ظي خلّي من الأحزان أودعني      ما يعلم الله من حزن ومن قلق  
كأنه وكأن الكأس في فيه      هلال أول شهر غاب في الشفق  
وهذه صورة جميلة دقيقة كثيراً ما نراها في عالم الواقع .

وقوله يصف الحية - وليس في شعر المحدثين أحسن منه - :

كأنني ساورتني يوم بينهم      رقصاء مجدولة في لونها باق  
كأنها حين تبدو من مكانها      غصن تفتح فيه النور والورق  
ينسل منها لسان تستغيث به      كما تعود بالسبابة الغريق  
وهذا تشبيه كاشف للحية في مظاهرها المختلفة لا يزيدنا الرؤية عليه شيئاً .  
وقول ابن الرومي في الخمر - وهو أحسن ما قيل في بابها وأتمه - :  
لها صريح كأنه ذهب      ورغوة كاللآلئ <sup>(١)</sup> انفق

فقد أتى بشيء لم يسبق إليه ، وهو تشبيه الخراب بفاق اللؤلؤ - وهو  
على الحقيقة تشبيهه - والناس قبله إنما شبهوه باللؤلؤ الصحيح .

وقد قفى على آثاره أبو هلال العسكري شارحاً ما أجمله بقوله :

وكأس - تمتلئ أطراف كف      كأن بناتها من أرجوان  
أنازعها على العلات شرباً      لهن مضاحك من أقحوان  
يلوح على مفارقها حجاب      كأنصاف الفرائد والجمان  
وفي قول العسكري زيادة ، لأن في الحجاب ما هو كبير يشبه بأنصاف  
الفرائد - وهي كبار اللؤلؤ - ومنه ما هو صغير يشبه بأنصاف الجمان  
- وهو صغار اللؤلؤ - .

(١) الصريح : الخالص من كل شيء ، والفاق : جمة خلفه بالكسر : الكسرة من الشيء .

وقول ذي الرمة في الصبح :

وقد لاح للشارى الذى كمل السرى      على أخريات الليل فتق مشر  
كلون الحصان الأنبط البطن قائما      نمائل عنه الجلل والنون أشقر  
والأنبط : الأبيض البطن : شبه بياض الصبح تحت حرته بياض بطن

فرس أشقر ، وهذا أحسن تشبيه وأكمله .

وقد أخذه ابن المعتز فقال :

وما راعنا إلا الصباح كأنه      جلال قباطى على فرس ورد<sup>(١)</sup>

وقال أيضا :

غدا والصبح تحت الليل باد      كطرف أشهب ملق الجلال  
قصد الشبه الحاصل لك إذا نظرت إلى الصبح والليل جميعاً وتأملت  
حالهما معاً ، وأراد أن يأتي بنظير للمهيئة المشاهدة من مقارنة أحدهما الآخر .

وبنى أن تعلم أن الوجه في إلقاء الجلل : أن تريد أنه أدارد عن ظهره  
وأزاله عن مكانه حتى تكشف أكثر جسده ، لأنه رمى به حتى انفصل منه  
لأنه إذا أراد ذلك كان قد قصد إلى تشبيه الصبح وحده من غير أن يفكر  
في الليل .

ويشبه ذلك قول الشريف الرضى في القمر :

سوادك من حيث تسمى هلالا      إلى حيث تكمل بدرأ منيراً  
نقاب لتركبة أسود      نُزِّلَ منه يسيراً يسيراً

(٢) الحلال بالسكس : أكمة الدواب جمع جل بالضم والفتح ، والقباطى : ثياب تنسج  
على القبط مفردة بضم الباء على غير قياس وقد نسكس .



وأما قوله :

إذا تبدى البرق منها خلته بطن شجاع في كتيب يضطرب<sup>(١)</sup>  
وتارة تبصره كأنه أبلق مال جلّه حين وثب  
فلا شبهة فيه أن يكون القصد إلى تشبيه البرق وحده بيباض البلق ،  
دون أن يدخل لون الجل في التشبيه ، حتى كأنه يريد أن يريك بيباض البرق  
في سواد الغمام ، بل ينبغي أن يكون الغرض بذكر الجل أن البرق يلمع  
بفتة ويلوح للعين فجأة ، فصار لذلك كيباض الأبلق إذا ظهر عند وثوبه  
وميل جلّه عنه .

وقد قال ابن بآبك في هذا المعنى :

للبرق فيها لمب طائش كما يعرى الفرس الأبلق  
إلا أن لقول ابن المعتز ، حين وثب ، من الفائدة ما لا يخفى .  
وقد عني المتقدمون أيضاً بمثل هذا الاحتياط ، ألا تراه قال :  
وترى البرق عارضاً مستظيلاً مريح البلق جلن في الأجلال  
فجعلها تريح وتيجول ليكون قد راعى ما به يتم التشبيه ، وهو معظم  
الغرض من تشبيهه ، وهو هيئة حركته وكيفية لمعه<sup>(٢)</sup> .  
وقول آخر :

وإني وإياه كرجلي نعامة على كل حال من غنى وفقير  
شبه رجلي النعامة لأنه لا تنوب إحداهما عن الأخرى ، إذ لا تخ فيها  
وسائر الحيوان إذا أعتب<sup>(٣)</sup> إحدى رجليه استعان بالأخرى ، وقال «غنى»  
لأن الأسماء ترد على المصادر والمصادر على الأسماء ، لأن المصادر إنما ظهرت  
لظهور الأسماء فتتمكن الإعراب منها<sup>(٤)</sup> .

(١) الشجاع : الحية .

(٢) أسرار البلاغة — ١٣٧ (٣) أعتب : رفع إحدى رجليه ووثب بالأخرى .

(٤) معجم الأدباء — ١٨ — ١١٥ .

ومما انحرف فيه عن رعاية التشبيه فجاء قسلاً منهوكاً قول الفرزدق :  
 يمشون في حلق الحديد كما مشت جرب الجبال بها السكحل المشعل<sup>(١)</sup>  
 فتشبيه الرجال في الدروع بالجبال الجرب بعيد ، لأنه إن أراد السواد  
 فلا مقارنة بينهما في اللون ، وهو إلى ذلك سخي .<sup>(٢)</sup>  
 وقد شبه غيره مشية الأبطال في الميدان بمشية الجبال فلم يقعوا في هذا الهراء ؛  
 فكعب ابن زهير جعلها جمالاً بيض الألوان ، لا جمالاً جرباً مهنوءة  
 تقذي العين وتغثي النفس في قوله يمدح قريش :  
 يمشون مشى الجبال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرّدت السود التنايل<sup>(٣)</sup>  
 وحسان بن ثابت جعلهم جمالاً في اكتمال قوتها ، ولم يعرض لسواد  
 الدروع التي تشبه القطران ، بل وصفها بالمتانة والإحكام لنسجها المضاعف  
 في قوله :

يمشون في الحلل المضاعف نسجها مشى الجبال إلى الجبال البزل<sup>(٤)</sup>  
 وقول بعض بني تميم يمدح :

ومهم عمر محمود نائله كأنما رأسه طين الخواتيم

وهو لا يقل بعداً وقبحاً عن قول الفرزدق السابق .

وقول بعضهم في وصف الهلال :

والجو صاف والهلال مشنف<sup>(٥)</sup> بالزهرة الزهراء نحو المغرب<sup>(٦)</sup>

كصحيفة زرقاء فيها نقطـة من فضة من تحت نون مذهب

(١) السكحل : القطران ، والمشعل : السكين . (٢) التنايل المائل — ١٦٤ .

(٣) التنايل : جمع تنال وهو القصير ، وقد عرفت ذلك بالأخبار التي نقلت عنهم عليه ، فأكثر ذلك قريش وقالت : لم نعدنا إذ هجوتهم . الشعر والشعراء لابن قتيبة — ٦٩ .

(٤) البزل : جمع بزل وهو ما خرج نابه من الجبال بأن يكون في سن التاسعة .

(٥) مشنف : لايس المشنف بالفتح وهو ما يعلق بأعلى الأذن .

فجعل النقطة تحت النون والعادة أن تكون فوقها .

وقول ابن المعتز في وصف الورد الأبيض :

أناك الورد مبيضاً مصوناً      كعشوق تكتفه صدود  
كأن وجوهه لما توافت      بدور في مطالعها صعود  
بياض في جوانبه احمرار      كما احمرت من الخجل الحدود

وهذا خطأ في التشبيه مرده إلى سوء المقابلة ، لأن الحدود متوسطة وليست جوانب .<sup>(١)</sup>

وفي الخجل إنما تحمر الوجنتان ، فأما منتب الأصداع ومخبط العذار فقليل ما يحمران .

ولو اتفق له أن يقول : حمرة في جوانبها بياض لكان قد طبق المفصل وأصاب الغرض ، ووافق شبه الخجل ، لكن أراد أن أبيض والحمرة يجتمعان فجعل الاحمرار في جوانب البياض ، فراغ عن موقع التشبيه .

ويرى عبدالقاهر : أن هذا التشبيه من ابن المعتز يستوجب الفصل والخروج من التشبيه العامي وأنه يقال : قد زاد زيادة لم يسبق إليها إلا بالتركيب والجمع وبأن ترك أن يراعى الحمرة وحدها ، واعتذر له عما ذكره من إحدائق الحمرة بالبياض ، بأنه لعله وجد الأمر كذلك في الورد فشبّه على طريق العكس ، فقال : هذا البياض حوله الحمرة كالحمرة حوله البياض هناك .

ثم يقول : فانظر الآن إن فرقت كيف يتفرق عنك الحسن والإحسان ويحضر العي وبذهب البيان ، لأن تشبيه البياض على الانفراد لا معنى له ، وأما تشبيه الحمرة وإن كانت تصح على الطريقة الساذجة ، أعني تشبيه الورد الأحمر بالحد ، فإنه يفسد من حيث القصد إلى جنس من الورد مخصوص ،



وهو ما فيه بياض تحديق به حره . فيجب أن يكون وصف المشبه به على هذا الشرط أيضاً (١)

وقول بعض المحدثين :

قد انقضت دولة الصيام وقد بشر سقم الهلال بالعيد  
تبدو الثريا ككفاغر ثمره يفتح فاه لا كل عنقود  
ذكر العنقود ، ولم يصفه بلون خاص ، وقد يكون العنقود أسود اللون  
أو أحمر .

فقول الآخر :

كعنقود ملاحية حين نوراً

أدق منه وأبين .

وقول المتنبي :

وجرى على الورق النجيع الثاني فكأنه النارج في الأغصان (٢)

ولا تكاد نحس بوجه شبه بين الطرفين من حيث نظرت إليه .  
وقد عده ابن الأثير من التشبيهات الباردة ولا مزية في ذلك .  
وقوله في رثاء والده سيف الدولة :

سقى مثواك غاد في العوادي نظير نوال كفك في النوال

لساحبه على الأجداث حفش كأيدى الخيل أبصرت الخالي

الساحي : الذي يقشر الأرض ، والحفش ، شدة الوقع .  
يريد : أن هذا المطر يقشر بسيلانه القبور ويشد وقعه عليها ، كما تفعل  
الخيول بأيديها إذا رأت الخالي .

(١) أسرار البلاغة - ١٦٠ - ١٦١ - (٢) الورق : المراد به ورق الشجر .

(٣) نيل السائر - ١٦٤ .

فالمناسبة بعيدة بين طرفي التشبيه مع قبح الالفاظ ، وجمعه بين الحوشى في أول البيت والمبتذل في آخره .  
وقوله :

وعجاجة ترك الحديد سوادها زنجياتهم أوقذالا شائبا (١)  
فقد قصد التهويل من شأن هذه الكتيبة فالتوى عليه قصده ، فتبسم الزنجى لا يوحى إلينا بعظمة تناسب عظمة الجيش المتكفر في السلاح ، بل لعله يوحى إلينا بمعانى الاستهجان والاحتقار والزراية ، لما قر في الأذهان من ضعة شأن الزنوج وقبح مشافهم .  
والقذال الشائب أحقر من أن يشبه به بريق السيوف ولمعان الأسلحة ، فهو يثير فينا شعور الضئولة والمهانة والتفاهة لا شعور العظمة والجلال .  
ومن الغريب أن يقول بعد ذلك :  
فكأنما كسى النهارها دجى ليل وأطلعت الرماح كواكبا  
وقول التنوخى :

شقائق مثل حدود نقشت شوارب بالمسك فيها ولحى  
والبعد ظاهر لأن السواد الذى فى الشقائق لا يشبه الشوارب والملحى .  
وقول ابن فتوح الأندلسى — وقد أهدى مقصا — :  
خذها إليك فإنها مغلوبة من فطنة مشبوبة وذكاء  
تحكيك فى دفع المهم لأنها وراعت بشق حناجر الأعداء  
وفيه يقول ابن بسام (٢) : وتشبيه ابن فتوح صديقه بالمقص من الوصف

(١) العجاجة : الغبار ، والقذال : مؤخر الرأس ، شبه بريق الأسلحة فى سواد الغبار بتبسم الزنج وشيب القذال .

(٢) القصيدة — ٢ — ٢٦٥ .

القيح بما مال فيه إلى العقوق ، وعدابه عن سواء الطريق !  
ومنى كان المقص بشق الحناجر ، كأنه لم يسمع قول الآخر - وهو  
ابن الرومي - :

وما تكلمت إلا قلت فاحشة      كأن فكيك للأعراض مقراض

وقول صردر :

قوم كنوسهم السيوف وخرم      ما استخرجت من شاخب الأوداج  
فلا علاقة بين الكنوس والسيوف في ناحية من النواحي ، ولو قال  
سقاتهم أو ندمانهم السيوف لأصاب .

وقال الصفدي في وصف القمر من خلال ثنى الأغصان :

كأنما الأغصان لما انتثت      أمام بدر التم في غيبه  
بنت ملك خلف شباكها      تفرجت منه على موكبه

وقال في ذلك أيضا :

كأنما الأغصان في روضها      والبدر في أثنائها يسفر  
بنت ملك سار في موكب      قامت إلى شباكها تنظر

وقد انتقد النواحي وبدر الدين بن الدمامي هذا الشعر : بأن مراد الشاعر  
أن يشبه البدر - يظهر من خلل الأغصان حال انثائها ، ويحتجب في حال  
اعتدالها - ببنت ملك خلف الشباك تراه مرة وتختفي أخرى .  
ولكن التركيب لم يساعده على غرضه - . وكثيراً ما يقع له ذلك -  
فقد جعل الأغصان بنت الملك ، والمقصود جعل البدر بنت الملك .



هذا إلى ضعف النسج وهلماته ، وكثرة الخشوب ذكر في غيبه ، وهالفرج  
على الموكب . .

واختصاص بنت الملك بالذكر لا معنى له ، فأى امرأة جميلة تقوم مقامها  
وليس من الضروري أن تكون بنت الملك جميلة .  
فأين يقع قوله هذا من قول أعرابية :

تطالعنى الشمس من دونها      طلاع فتاة تخاف اشتها  
تخاف الرقيب على سرها      وتحد من زوجها أن يغار  
فتستر غرتها بالخصا      وطورا وطورا تزيل الخمار  
وقول ابن عبد ربه :

نهار لاح فى سربال ليل      فما عرف الرواح من البكور  
وعين الشمس تنو من بعيد      رنو البكر من خلف الستور  
وقول ابن فطوح الأندلسى فى عين الشمس :

نشر الغمام رداءه فتقنعت      خجلا به للناظرين ذكاء  
فكأنه ستر تشير بمقلة      مطروقة من خلفه عذراء  
وكأنه إذ مده من تحتها      سر تضيق بكتمه الظللاء

وقول آخر :

والبدر فى الأفق الغربى متسق      والشم يكسوه جلبابا ويسله  
كوجه محبوبة تبدو لعاشقها      فإن بدا لها واش تنقبه  
على أن الصفدى لم يخترع هذا المعنى ، بل أخذه من القاضى محى الدين

ابن قرياص حيث يقول :

وحديقة غمام تنتظم السدى      بفروعها كالدر فى الأسلاك  
والبدر من خلل الفصون كأنه      وجه المنيح بطل من شباك

وهذا الشعر خال من العيوب التي لحقت بشعر الصفي مع ما فيه من  
الإيجاز ، فقد أتى بالمعنى في بيت واحد  
ولو أنه قال :

كان بدر التم لما بدا      من خلل الأغصان في غيبه  
بنت ملك خلف شباكها      تفرجت منه على موكب  
وفي المقطوع الثاني :

كان بدر التم في أفقه      من خلل الأغصان إذ يسفر  
بنت ملك سار في موكب      قامت إلى شباكها تنظر  
لسم بعض السلامة من العيوب  
وقول شوقي في وصف روضه :

قام الجليل بها وسال كأنه      دمع الصباة بلّ غصن عذار  
فالعذار لا يشبه بالغصن      وإن كان يوصف بالخنصرة - ولو قال :  
روض عذار مثلاً لكان أفضل .  
وقوله من قصيدة رثاء :

همدوا وكل محرك      يوما سيسكن في التراب  
وكأنهم صرعى كرى      بالقاع أو صرعى شراب  
فقد شبه فعل الموت بفعل النوم والخمر ، فشبّه قوة بضعف ، وأين  
صرع المنام والمدام من صريع الحمام ؟  
وقوله يصف صعود الطيارات في الجو :

ذهبت تسمو فكانت أعقباً      فنسوراً فصقوراً فخماً  
وكان الترتيب الواقعي أن يقول : فكانت نسوراً فأعقباً ، لأن النسور

(١) المذكور : الشعر الباب على الصدغين .

(٢) أعقب : جمع عقاب ، حائر معروف يعثر سبد النور .

أضخم من العقبان وإن كانت أقل منها قوة وبطشا .

وقد جرت العادة أن الطيارة تصغر حين تصعد في الجو شيئا فشيئا ،  
فمن المعقول أن تبدو بادية ذي بدء في نظر العين نسرًا ثم عقابا لا العكس ،  
ولكنه هنا يقول : إنها بدأت صغيرة ثم استحالت كبيرة وهو محال .  
ولو لم لشوقي ذلك لكان هذا البيت في جمال ترتيبه وحسن تعاطفه  
وملاحظة انسجامه كيته المشهور :

نظرة فابقسامه فسلام فكلام فموعد فلقاء

وقد زاد شوقي على هذا البيت بيتا آخر هو :  
فلقاء يكون فيه دواء أوفراق يكون منه الداء

وشوقي على العموم من البارعين في هذا الضرب .  
ومن ذلك قوله — يصف غرق الطراداة الإنجليزية ، هامشير ، بفعل  
مخاصة ألمانية في الحرب العالمية الأولى (١) — :

ضربتها وهي سر في الدجى ليس دون الله تحت الليل سر  
وجفت قلبا وخارت جوجؤا ونزت جنبا ونامت من آخر  
طُغنت فانبجست فاستصرخت فأتاها حينها فهي خبر (٢)  
وهذا النوع قليل في الأدب العربي ولا يتاح لغير المطبوعين .

وقد سأل ابن فرحون ابن حكم : هل نجد في التنزيل ست فامات ترتيبها  
كهذا البيت — وهو للشاب الظريف :

رأى غب فرام الوصل فامتنعوا فسام صبرا فأعيا نيله ففقضى

(١) غرق بفرق هذه الطراداة اللورد كدشت وزير الخارجية الإنجليزية إذ ذاك .

(٢) استصرخت : استغاثت .



ففكر قليلاً ثم قال : نعم : ، فطاف عليها طائف من ربك وعم نائمون ،  
الآيات .

ويقول النويرى : أكثر ما وجدت ألفاء تنتهى فى كلامهم إلى هذا العدد  
سواء بهذا الشرط أو بدونته ؛ كقوله - تعالى - حكاية عن نوح - عليه السلام -  
« فعلى الله توكلت . . . . » الآيات .

وقد يحدث أن يراعى الشاعر جهة التشبيه ، ولكن تغيب عنه أشياء  
أخرى كان يجب عليه أن يلاحظها ؛ فيصاب التشبيه بالهجنة ولا ينفعه مراعاة  
الجهة وحدها .

وذلك كقول ابن المعتز فى صفة كتاب : (١)

ودونكه موشى نعمته وحاسكه الأنامل أى حوك  
بشكل يرفع الإشكال عنه كأن سطوره أغصان شوك

والسطور فى استوائها تشبه الشوك شبا تاما ، ولكن الكتاب لا يمدح  
بجعل سطوره شوكا لأنه بالذم أشبه

وأين ذلك من قول ابن فرناص :

هو مالك قد أصبحت ألقاظه حلياً على جيد الزمان العاقل  
وكان أسطوره خلال دُروجه ظل الغصون بلوح بين جداول (٢)

وكقول شاعر فى الخوخ :

فى الخوخ أعجوبة لساظره ما مثلها جاء فى الأحاديث  
كانها وجنة الحبيب وقد أثر فيها قرص البراغيث

فالخوخ قد يشبه الوجنة التى أدمها البرغوث بقرصه ، ولكن فى هذا  
التشبيه زراية على هذه الوجنة ، ولا سيما إذا كانت وجنة حبيب يستحق أن  
ينسب به الشاعر ويشمى بمحاسنه !

(١) نفع العيب ٣ - ١٦٢ (٢) المروج : جمع درج بالفتح ( فرخ الورق )

( م ١١ - من التشبيه )

فكيف ساغ لهذا المحب أن تهون عليه هذه الوجنة الرقيقة الناعمة ،  
فيجعلها فيها لهذه الحشرات اللاذعة !

ثم إن هذا لا يتحقق إلا إذا افترضنا أن هذا المحبوب يرى من نظافة  
المكان والجسم والثياب ! ولا يحى محبوب بأوجع من هذا ! ونعوذ بالله  
من جفاء الطبع وغاظ الدوق !

وقد عرض بعضهم لمثل ما عرض له الشاعر ، ولكنه سلك سبيلا آخر  
لا يضع من قدر المعشوق .

قال بعض الشعراء :

وكان البنفسج الغض يحكى أثر اللطم في حدود النيد  
ومن شأن النساء أن يلطمن الحدود في المناحات فزداد حمرة على حمرتها  
وذلك يزيد في فتنتهن ، ولا يزرى عليهن إلا من حيث يخالفته للدين .  
وقال أبو الحسن العقيلي :

أشرب على زهر البنفسج قهوة أتني الأسي عن كل قلب لمحمد  
فكانه قرص بخمد خريدة أو أعين زرق كحلن يأمم  
وقال أبو الحسن الشاطبي أو ابن الرومي (١) :

أشرب على زهر البنفسج م قبل تأنيب الحسود  
فكأنما أوراقه آثار قرص في الحدود

وقال أبو هلال العسكري :

وبخافاتنا البنفسج يحكى أثر القرص في حدود العذارى  
وقال الميكالي :

وريم على السكر خشته بقرص بعارضه أثرا  
فأصبح نرجسه وردة ووردة نخديه نيلوفرا

وقال يصف غلاما مخمورا خمش وجهه :

هيه تغير حائلنا عن عهدنا      ورعى فؤادي بالصدود فأزعجنا  
ما بال ترجسه تحول وردة      والورد في خديه عاد بنفسجا

وقال صاحب مصر :

والله لو لا أن يقال تغيرا      وصبا وإن كان التصابي أجدر  
لأعدت تفاح الخدود بنفسجا      ثما وكافور الترائب عنبرا  
ففي هذه الآيات أراد الشعراء أن يبالغوا في وصف الخدود باخرة  
فاتخذوا لذلك سببا من القرص أو اللثم أو التخميش ، وهي أشياء يتسع لها  
فن الغزل ولا تشتمز منها النفوس ، ولم ينزل بهم خيالهم إلى قرص البراغيث  
لأن فيه هجئة على العاشق والمعشوق .

على أن الصنوبري جمع بين الخوخ والوجنة في التشبيه وأتى بالمعنى  
المتقدم ، وحماه ذوقه السليم أن يكون كصاحب البراغيث ، وذلك حيث يقول :

أهدى إلينا الزمان خوفا      منظره منظر أنيق  
من كل مخصوصة بحسن      معناه في مثلها دقيق  
صفراء حراء مستفيد      بهجتها التبر والعقيق  
ذات أديمين : ذا بهار      لمحتليه وذا شقيق  
كوجنة أليست خلوقا      فزال عن بعضها الخلق

فهذا الشاعر المصور وصف الخوخ وصفا دقيقا شائقا ألم بجميع صفاته  
مع التفصيل البديع والتقسيم الجميل .

وبلغ ما أراد من وصفه بالحرمة القانية حين شبهه بالشقيق وهو أشد  
حرمة من الورد دون أن يحوجه سوء الذوق ونضوب الخيال إلى استعارة  
لذع الحشرات .

(١) البهار : الأنحوان الأصفر ، والشقيق : المروء بشقائق النعمان .

(٢) الخلوق بالفتح : ضرب من الطيب مركب فيه زعفران كما قال الحافظ بن حنبل .



## الفصل الرابع عشر

### التشبيه المجمل والمفصل

ينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى قسمين :

١ - مجمل : وهو ما لم يذكر فيه وجه الشبه .

سمى بذلك لوقوعه مجملًا ، أخذاً من الإجمال الذي هو عدم ذكر الشيء

صريحاً ولو فهم معنى .

وهو إما ظاهر لا يخفى فهمه حتى على العامة لمعرفة المقصود منه ببديهة

السماع كتشبيه الجميلة بالقمر والدميمة بالقرد ؛ فوجه الشبه ظاهر لا يحتاج إلى

تأمل لأن الجمال والدمامة أظهر أوصاف القمر والقرد .

وإما خفي لا يدركه إلا الخواص من الناس لمسيس الحاجة فيه إلى فضل

ال نظر وكثرة التأمل ، وإمعان التفكير ، والتغلغل في الغوص على استخراج

وجه المقايسة ، كقول كعب الأشقرى يصف أولاد المهلب للحجاج : ، كانوا

كالخلة المفرغة لا يدري أين طرفاها .

وقد كان سألهم : أيهم كان أنجدا

فوصف الحلقة بأنها مفرغة غير معلومة الطرفين مشعر بوجه الشبه .

ومثل هذا لا يدركه إلا المثقف الفطن الأريب الذي يعرف أن الحلقة

المفرغة متناسبة الأجزاء ، حتى ليستحيل التفاضل بين أجزائها فيمتنع تعيين

بعضها طرفاً وبعضها وسطاً وبعضها نهاية ، لأنه يصح أن تبدأ بأي جزء شئت

لتساويها جميعاً في الرتبة ، فيقيس عليها حال هؤلاء الأبناء النجباء الذين تساوا

في فضيلة النجدة والفروسة، وشرق البسالة والإقدام، فيتعذر أن يرى بينهم  
تفاوتا في هذه المنازل، فيكون بعضهم فاضلا وبعضهم مفضولا.  
فوجه الشبه: التناسب الذي يمتنع معه التفاوت، لكنه في المشبه، في  
المعنى، وفي المشبه به، في الصورة.

ومن الصعب على عامي الذهن الغفل من المعرفة أن يفتن إلى هذا الشبه  
الدقيق الخفي بين المشبه والمشبه به فينتقل من الأول إلى الثاني.  
ويحضر في هذه المناسبة أن مراسلي الصحف في ألمانيا سألوا الجنرال  
(إيزنهاور): كيف يمكن أن تعبر برلين؟

فقال: والله لا ندري من أي جزء نبدأ.  
يريد أن الخراب عم جميع نواحيها وشمل كل أحيائها بنسبة واحدة،  
فليس فيها جزء بعد أولى بالتعمير من آخر.  
وقد وردت للعرب أمثال في معنى قول الأشقرى منها:  
١ — ركبنا البعير.

يضرب بهما المثل في الشيعيين المتساويين، والرجلين المتكافئين الذين لا  
يفضل أحدهما على الآخر.

ولما تنافر عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة العامريان إلى هرم بن قطبة  
لم يرد أن ينفر أحدهما على الآخر خوفاً حدوث فتنة، فقال لهما، أتيا  
كركتي البعير الأدرم<sup>(١)</sup> تسقطان على الأرض معا، وما منكما إلا سيدكريم.  
فانصرفا راضيين.

٢ — حمارا العبادي

يضرب بهما المثل في الشيعيين الرديئين ليس أحدهما بأمثل من الآخر،  
فتقول: هما كحمارى العبادي.

(١) الأدرم: البعير ذهب أسنانه ودعا وفوعها.

والعبادى : هو الذى قيل له : أى حماريك شر ؟

فقال : ذا ثم ذا !

فسار بذلك المثل .

وقد تحاكم نفر إلى الرقاشى فى أيهما أنذل وأسفل ، الكناس أو الحجام ؟

فأنشد قول الشاعر :

حمارا العبادى الذى سبل عنهما      وكانا على حال من الشر واحد

٢ - عكّا العير .

تقول العرب وقعا كعسمى عير : إذا وقعا متساويين .

وأصله : أن يحمل العير حباله فيسقط عكاه معا .

ويقال : عما عكّا عير مثلان ؛ كما يقال : كركبتى البعير .

والعكم بكسر وسكون : العدل .

٤ - جانبنا هرشى .

وهرشى كسكرى : أكمة بهامة يسلكها الحاج .

وفى القاموس : ثنية قرب الجحفة .

ولها طريقان من جانبيها أيهما سلك كانا صوابا ، فيضرب بهما المثل

للأمر له بابان ، وأنشدوا فى ذلك :

خذوا حيث هرشى أوقفهاها فإنما      كلا جانبي هرشى لمن طريق

٥ - الفرقدان .

ويضرب بهما المثل فى طول الصحبة بالتساوى والتشاكل .

قال الشاعر :

كالفرقدين إذا تأمل ناظر      لم يعد موضع فرقده عن فرقده

وقول آخر :

شغلى يعتدل القوا      م ظلوم لحظ المقتلين



أفئته عضا وتقيلام وإني بين ذين  
وكأنني وكان من أهوى اجتماع الفرقدين  
وبما يتصل بذلك أن الغريض وابن سريج حين غنيا :

عوجي علينا ربة الهودج

قالت سكينه تحكم بينهما : والله ما أفرق بينكما ، وما مثلكما عندي إلا  
كمثل اللؤلؤ والياقوت في أعناق الجوارى الحسان لا يدري أى ذلك أحسن  
وفي رواية : ما أشبهكما إلا بالجديين : الجار والبارد لا يدري أيهما  
أطيب <sup>(١)</sup> .

وقول أبي تمام :

قطعام لثام بل كرام بزعمهم سواسية ما أشبه الحول بالقبل <sup>(٢)</sup>  
وقوله :

شريكا عنان رضيعا لبان عتيقارهان حليفا صفاء

أقسام المجهول :

وينقسم المجهول إلى ثلاثة أقسام :

١ - ما لم يذكر فيه وصف المشبه ولا المشبه به .

والمراد بالوصف : الذى يكون فيه إيماء إلى وجه الشبه لا مطلق  
الوصف ، فالفاضل في قولك : زيد الفاضل : أمد : ليس بما نحن فيه ؛ لأن  
الفاضل لا يشعر بالشجاعة ، مثال ذلك قول المتنوخى :

خداه ورد والنواظر نرجس والثغر سوسن والرضاب محفار  
وقول العسكرى :

كأنك في خد الزمان نورد وفي فمه ضحك وفي وجهه بشر

(١) الاغانى - ٢ - ٣٦١ - ٣٦٥ شرح دار الكتب .

(٢) الحول : جمع أحول ، والقبل : جمع أقبل ، والقبل أحسن من الحول .

وقول آخر .

كفاه عاج والحباب لآلى . والراح تبر والزجاج زبرجد  
وقول البارودي :

والوعة القلب من غز لان أخية      تكاد تسكر من أحداقها الراح  
من كل مائسة كالغصن قد جمعت      بدائعا كاهبا للحسن أوضاع  
فالعين نرجسة والشعر سوسنة      والنهد رمانة والخد تقاح  
٢ - ذكر ما فيه وصف كل      منهما كقول أبي تمام يمدح الحسن  
ابن سهل :

ستصبح العيس بن والليل عند فتي      كثير ذكر الرضا في ساعة الغضب  
صدفت عنه ولم تصدف مواهبه      عني وعأوده ظني فلم يحب  
كالغيث إن جثته وأفاك ريقه      وإن ترحلت عنه لج في الطلب  
فقد وصف المشبه وهو الممدوح : بأن عطاياه فائضة عليه أعرض عنه  
أم لم يعرض ، ووصف المشبه به وهو الغيث بأنه يصبه قدم عليه أو ارتحل عنه .  
والوصفان مشعران بوجه الشبه : أعني الإفاضة في حالتي الطلب وعدمه ،  
وحالتي الإقبال عليه والإعراض عنه .  
وقول أبي الأسود الدؤلي :

حسدوا الفتي إذ لم ينالوا سعيه      فالقوم أعدام له وخصوم  
كضرائر الحسناء قلن لوجهها      حسدا وبغيا إنه للمعتم  
وقول الرعي :

والنذل لا يطلب العلام ولا      يعطيك شيئا إلا إذا رهبا<sup>(١)</sup>  
مثل الحمار الموقع السوء لا      يحسن شيئا إلا إذا ضربا  
وقول مسلم بن الوليد :

يلقى المنية في أمثال عدتها      كالسبل يقذف مجلودا بمجلود

(١) الموقع : الذي كثرت آثاره الدبر عليه .

وقول ابن الرومي — وهو من أظرف ما قيل في هجاء أبناء الحرام — :  
لك وجه كآخر الصلح فيه      لمحات كثيرة من رجال  
كخطوط الشهود مشتهات      مملات أن لست بابن حلال  
وقول ابن المعتز :

كان الشمس يوم الغيم لحظ      مريض مدنف من خلف ستر  
وقوله في الهلال :

انظر إلى حسن هلال بدا      يهتك من أنواره الهندسا  
كنجل قد صيغ من فضة      يحصد من زهر الربا ترجسا  
وقول أبي هفان :

لعمرى لئن بيعت في دار غربة      ثيابي إذ ضاقت على المأكلا  
فأنا إلا السيف يأكل جفته      له حلية من نفسه وهو عاطل  
وقول آخر :

إذا ما جئت أحد مستميجا      فلا يغرك منظره الأنيق  
له خلق وليس عليه خلق      كبارقة تروق ولا تريق  
وقول آخر :

وزارة العباس منكوسة      تقتلع الدولة من أسها  
كانه حين غدا راكبا      في خلعة يعجز عن لبسها  
جارية السوء إذا قدرت      ثياب مولاها على نفسها  
وقول آخر :

أضيع في معشر وكم بلد      يعد عود الكباء من خطبه<sup>(١)</sup>  
وقول آخر :

وتزكيتي مالا جمعت من الربا      خسار وبعض الجود أخزى من البخل  
كسارقة الرمان من كرم جارها      تعود به المرضى وتطمع في الفضل<sup>(٢)</sup>

(١) الكباء كالسقاء : عود البخور أو ضرب من الخشب . (٢) الفضل : الزيادة .



وقول الشهاب الخفاجي :

جيش ما لها في الملك نفع      حكمت صوراً تُصور في كتاب  
رأيت قتالهم من غير قتل      كمثل الضرب في كتب الحساب  
وقول محمد بن الشامي :

لا يحسن الشعر إلا في مدائحه      كالدر أحسن ما يبدو على الجيد  
وقول ابن المطران :

المودات ما خطت      من تمّ—اد مزورة

كطبيع خلا من اللحم م يدعى مزورة<sup>(١)</sup>

٢ - ما ذكر فيه وصف المشبه به ، كقول بعض الشعراء :

الناس مثل ظروف حشوها تصير      وفوق أفواها شيء من العسل  
تغر ذاتقها حتى إذا كشفت      له تبين ما تحويه من دخل  
وقول الأخطل :

وأنت كالدهر مبثوثاً حبائله<sup>٢</sup>      والدهر لاملجأ منه ولاهرب  
وقول أبي تمام في المعتصم :

مو البحر من أي النواحي أتيت      فليجته المعروف والجود ساحله  
وقول البحري :

هو العارض الشجاع أخضل جوده      وطارت حواشي برقه فتلبها  
وقول المتنبي :

غمام علينا مطر ليس يُقشع      ولا البرق فيه خلّيا حين يلع  
وقوله :

كأنها الشمس يُعَي كُف قابضه      شعاعها ويراه الطرف مقتربا

(١) الزورة بصفة اسم المفعول : مرقعة يطعمها المريض وهي كلة مولدة ، وقال الفقهاء : هي ما يبلع خاليا من الأدهان .

وقول العسكرى :

هلى أنت إلا البدرُ تمَّ تمامه      والغيثُ باكرٌ وبله وسجامة  
والسيفُ أرفف للبضاء غراره      والريحُ قومٌ للقاء قوامه

وقول أنسرى الرقاء :

والشعر كالروض ذا ظلام وذا خضيل      وكالصوارم ذا ناب وذا خذم  
أو كالعرانين هذا حظه خفس      مزرٍ عليه وهذا حظه شم  
ومن النثر البليغ قول الحجاج لأهل الشام : إنما أنا لكم كالظلم الراجح  
عن فراخه : ينقى عنها القدر ، ويأعد عنها الحجر ، ويكذبها من المطر ،  
ويحميها من الضباب ، ويحرسها من الذئاب .

وقال حكماء العرب والعجم : مثل مضار السلطان في جنب منفعه مثل  
الغيث الذي هو سفياء الله - تعالى - وبركات السماء وحياة الأرض ومن عليها ،  
وقد ينأذى به المسافر ، ويتداعى له البناء ، وتسكون فيه الصواعق ، وتدر  
سيوله فتهلك الناس والدواب والذخائر

ومثل موج البحر تشتد بليته على أهله ، ولا يمنع ذلك الخلق إذا نظروا  
إلى آثار رحمته - تعالى - في الأرض التي أحيا ، والنبات الذي أخرج ،  
والرزق الذي بسط ، والرحمة التي نشر ، أن يعظموا رحمة ربهم ويشكروها ،  
ويلغوا ذكر خواص الأذية التي دخلت على خواص الخلق <sup>(١)</sup> .

وقد سمي الأستاذ جبر ضومط هذا الضرب : ترشيح التشبيه ، وهو أن  
يبدأ الكاتب أو الشاعر بذكر طرفي التشبيه ، ثم يوهم تناسي أحدهما - وأكثر  
ما يكون المشبه - ويأخذ في ذكر أحوال المشبه به كأنه ليس في الكلام غيره ،  
إلا أن هذه الأحوال يلحظ العقل عند ذكرها أن لها ما يقابلها في المشبه .

وقد يكون من الكاتب في أثناء كلامه هذا أن يعود فيذكر المشبه أو يلجإ إليه .

ولا يخفى أن ترشيح التشبيه لا يحسن استعماله إلا إذا كان القارئ من تلقاء نفسه يرد هذه الأحوال إلى ما هو شبيه بها من أحوال المشبه وكما سهل الرد لظهور وجوه المناسبة ووضوحها كان الكلام أبلغ لأن الاقتصاد فيه أتم .

وقد غالى الفيلسوف دهربرت سبنسر ، في مدح هذا الضرب من الكلام لما فيه من الاختصار والاقتصاد على انتباه السامع ، وذكر أن من أحسن من أجاد هذا النوع من العبارة ، أمرسون ، الكاتب الأمريكى المشهور<sup>(١)</sup> . والجملة إذا جاءت بعد المشبه به لم تخل من ثلاثة أوجه :

١ — أن يكون المشبه به معبراً عنه بلفظ موصول وتكون الجملة صلة ، كقولك : أنت الذى من شأنه كبت وكبت .

وكقوله — تعالى — : « كمثل الذى استوقد ناراً . . . . . الآية .

٢ — أن يكون المشبه به فكرة فتقع الجملة صفة له كقولنا : أنت رجل من أمره كذا وكذا ، وقول النبى — صلى الله عليه وسلم — : « الناس كإبل مائة لا تعد فيها راحلة .

وأشبه ذلك .

٣ — أن تجيء الجملة مبتدأة مستأنفة ؛ وذلك إذا كان المشبه به معرفة ولم يكن هناك ، الذى ، كقوله — تعالى — : « كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً . . . الآية .<sup>(٢)</sup> »

٤ — ما ذكر فيه وصف المشبه .

وبلاحظ أنهم لم يمثّلوا له ؛ وقد قيل فى تعليل ذلك : إنهم تركوه لعدم الظفر له بمثال ! وهو تعليل مضحك .



وقيل : إنهم تركوه لعدم إمكانه ، لأن وصف المشبه يقتضى أن يكون وجه الشبه فيه أتم منه في المشبه به وهو ممنوع .

وقد رد على ذلك ابن السبكي : بأن ذكر : بأن وصف المشبه لا يستدعى أن يكون فيه وجه الشبه أتم ، فقد يكون طوى ذكره في المشبه به لأنه فيه أشهر وأتم (١) .

ولا خلاف أن وصف المشبه وحده في التشبيه نادر جداً ، ومن الصعوبة المضنية أن تعثر له على مثال في ديوان شعري كامل .  
وأحسب أن منه قول أبي تمام :

هي البدر يُغنيها تودد وجهها      إلى كل من لاقت وإن لم تودد  
وقول الخليل السعدي :

وتريك وجهها كالصحيفة لا      ظمآن مُتَحَلِّج ولا جهم (٢)  
وقول مائى الموسوس :

أهيف كالغصن لو أن ريحا      حركت هُذب ثوبه لتثني  
٢ — مفصل . كقول أبي تمام :

كالخوط في القند والغزاة في البهجة م      وابن الغزال في غبده  
وما حكاه — ولا نعيم له —      في جبهه بل حكاه في جبهه  
وقوله في مدح مالك بن طوق :

قل لابن طوق رحي سعد إذا خبطت      نوائب الدهر أعلاها وأسفلها  
أصبحت حاتمها جودا وأحنفها      حلها وأكثمها علها ودَغفلها (٣)  
وقول البحتري :

فهي الشمس بهجة والقضيب اللد      ن لنا والرئم طرفاً وجيدا

(١) عروس الأفراح — ٣ — ٤٤٦

(٢) المتحليج بالبناء للمفعول : قليل اللحم ، والجهم : الغليظ المجتمع السمج .

(٣) دغفل : نابة غربي مشهور .

وقول مفضل العسكري :

أغر أروع يحكي الخيث مكرمة والنجم منزلة والطود أحلاما  
وقول السري الرفاء :

كالغيث والليت والهلل إذا أقرم بأسا وبهجة وندى  
وقول أبي الحسن بن اليسع الأندلسي :

هي الظبي جيداً والغزالة مقلة وروض الربا عرفاوغصن النقاقدنا  
وقول المطرائي :

مهففة لها نصف قضيف كخوط البان في نصف رنداح<sup>(١)</sup>  
حكمت لونا ولينا واعتدالا ولحظا قاتلا سمر الرماح  
وقول البارودي :

كالورد خذا والبنفسج طرة والغصن قدا والغزالة ملفتا  
وقوله شوقي :

وخيلة فوق الجزيرة مشها ذهب الأصيل حواشيا ومتونا  
كالنهر أفقا والزرجد ربوة والمسك تربا والمجن مبعينا  
ويفرق المغربي<sup>(٢)</sup> بين تفصيل وتفصيل ، فالمراد بالتفصيل في وجه الشبه  
المحكوم بإجابه حسن التشبيه : أن يوجد متعددا انفصلت حقيقة بعضه عن  
بعض في نفس الأمر وإن اعتبر المجموع شيئا واحدا .

وهو يعني بذلك تشبيه التمثيل في نحو قول الشاعر :

خلتها في المعصفرات القواني ورده في شقائق النعمان

فالحسناء تقابل الوردية ، والمعصفرات تقابل شقائق النعمان ، ولكن  
ليس المراد تشبيه هذه الأشياء بعضها ببعض على انفراد ، بل المراد الصورة  
المنتزعة من كل أولئك ، وهو شيء أبيض تشوبه حمرة معتدلة في ضمن شيء  
قائم الحمرة

(١) القضيف : النعيل ، والرداح : المغليمة الأوراك .

(٢) مواهب الفتاح — ٣ — ٤٣

## الفصل الخامس عشر

### أدوات التشبيه

يدخل في أدوات التشبيه كل ما أفاد شبيهاً ؛ كالكاف وكان وياه النسب ،  
ومثل ومثيل وشبه وشبيه ونحو وضرب وشكل ، ومضاهو مساو ومحاك ، وأخ  
ونظير وعدل وعديل وكفء ومشاكل وموازن ومضارع ورند وصنو  
وما كان بمعناها أو كان مشتقاً منها من فعل أو اسم .

والمصدر بتقدير الآداة ، كقوله - تعالى - : « وهي تمر مر السحاب » (١)  
فالآداة تعم الحرف كالكاف وكان ، والاسم كمثل وشبه - كما تقدم -  
والفعل ؛ كشابه ومائل وحاكى وما إلى ذلك .

ويقول التوحي : ولا بد في التشبيه من أداته ، وهي الكاف وكان ،  
أو إرادتها أو إرادة معناها ، ومتى خلا من ذلك فهو الاستعارة ، فإن المستعير  
قصد نقل اسم المستعار عنه إلى المستعار له ؛ أي هو هو ، ولزومه التشبيه من  
غير قصد (٢) .

#### أشهر أدوات التشبيه

وأشهر هذه الأدوات وأكثرها استعمالاً :

#### ١ - الكاف :

ومرد ذلك إلى بساطتها إذ هي حرف واحد ، والأصل فيها وفيما أشبهها  
بما يدخل على المفرد كمثل أن يليها المشبه به ، لأن المشبه مخبر عنه بالحق  
غيره ، تحكم عليه ، فلو دخلت عليه الكاف لامتنع الإخبار عنه (٣) .

(١) خزائن الأدب المعصومي - ٢١٦ (٢) الألفي القريب - ٤٢

(٣) عروض الأفراح - ٣ - ٣٨٧



بمخلاف ما يدخل على الجملة مثل كان ، أو يكون جملة بنفسه كيشابه  
ويماثل ويضاهى ، فإنه لا يليها المشبه به بل المشبه ، فإذا قيل : زيد يماثل عمراً  
كان الضمير المستتر في الفعل هو المشبه ، والمشبه به ، عمراً ، المتأخر <sup>(١)</sup> .  
وموالاة المشبه به للكاف ونحوها ، إما لفظاً كقولك زيد كالأسد ،  
وإما تقديرآ كقوله - تعالى - : «أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق»  
فالكاف في «كصيب» لم تدخل على المشبه به لفظاً بل تقديرآ .  
وأصل النظم : أو كمثل ذوى صيب ، فحذف «ذوى» للدلالة يجعلون  
أصابعهم في آذانهم عليه .

وحذف «مثل» لمادل عليه عطفه على قوله : «كمثل الذى استوقد ناراً»  
إذ لا يخفى أن التشبيه ليس بين مثل المستوقدين - وهو صفتهم العجيبة  
الشان - وبين ذوات ذوى الصيب ، وإنما التشبيه بين صفة أولئك وبين  
صفة هؤلاء <sup>(٢)</sup> .

وقد بلى الكاف غير المشبه به ، وذلك فيما إذا كان المشبه به مركباً لم يعبر  
عنه بمفرد لعدم اقتضاء المقام ذلك التعبير ، فيستغنى عن ذلك المفرد بأخذ  
الحال التركيبية من مجموع ما فى اللفظ المركب <sup>(٣)</sup> ، كقوله - تعالى - : «واضرب  
لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح  
هشيماً تذروه الرياح» ، إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر  
يتمحل لتقديره ، بل المراد تشبيه حالها فى نضارتها وبهجتها وما يتعقبها من  
الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارقاً ثم يهيج فتطيره الرياح كأن  
لم يكن <sup>(٤)</sup> .

فالمراد أن قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضرة ، فأما أن يراد تشبيه  
الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئاً واحداً فلا .

(١) حاشية الدسوقي - ٣ - ٣٨٧ (٢) الفتح - ١٨٦

(٣) مواهب الفتح - ٣ - ٣٨٧ (٤) الإيضاح - ١٦٩

وبما هو بين قول لبيد :

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها وغدواً بلاقع  
لم يشبه الناس بالديار ، وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم  
وفنائهم بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية<sup>(١)</sup> .  
وليس بما نحن فيه قوله — تعالى — : يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار  
الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله ،  
لأن المعنى : كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى ، حين قال  
لهم : من أنصاري إلى الله .

وصفوة القول : أن التشبيه إذا كان مركباً ، فإن عبر عنه بلفظ مفرد  
كلفظ المثل ، وإلى المشبه به الكاف ، وإن لم يعبر عنه بمفرد ولا اقتضى الحال  
تقديره ، بل استغنى عنه بما في ضمن الألفاظ فلا يلي المشبه به الكاف<sup>(٢)</sup> .

٢ — كأن :

وهي حرف كالـكاف ، وقد اختلف فيها ؛ فقليل : إنها بسيطة وليست  
الكاف أصلاً وهو مذهب بعض البصريين .  
وقيل : إنها مركبة من الكاف وأن المشددة ، وهو اختيار أبي حيان ،  
ومذهب الخليل وسيبويه والجمهور .

والأقرب الأول فجود الحروف ، مع وقوعها فيما لا يصلح فيه التأويل  
بالمصدر المناسب لأن المفتوحة . وإن كان الثاني أشبه بحسب ما يبدو من  
صور كأن .

وفي ، كأن ، بعد القول بالتركيب كلام لا يخلو من الفائدة ؛ فالزحشرى  
يذهب في قولهم : كأن زيدا أسد ، إلى أن أصله : إن زيدا كالأسد .  
فلما قدمت الكاف فتحت الهمزة لفظاً والمعنى على الكسر ، وتحريكه

(١) السكشاف للزحشرى ١ - ٣٣ (٢) حاشية الدسوقي ٣ - ٣٨٧  
(م ١٢ - إن التشبيه)

أن قولك : إن زيداً كالأسد : تحقيق لإثبات إلحاق الناقص بالكامل .  
وقولك : كأن زيداً أسد : إعلام بأن تحقيق الأسدية على زيد إنما هو  
بطريق التشبيه لا غيره .

وقال ابن جني في سر الصناعة : أصل كأن زيداً عمرو : إن زيداً كعمرو ،  
ثم أرادوا الاهتمام بالتشبيه الذي عقدوا عليه الجملة ، فأزالوا الكاف من  
وسطها وقدموها إلى أولها لفرط عنايتهم بالتشبيه ، فلما أدخلوها على . إن ،  
وجب فتحها ، لأن . إن ، المكسورة لا يتقدمها حرف الجر ، ولا تقع إلا  
أولاً ويبقى معنى التشبيه الذي كان فيها . . . . . وليست زائدة لأن معنى التشبيه  
موجود فيها .

وهذا علمت أن مقصوده : أن . كأن ، : مركبة من إن المكسورة  
والكاف ، وأنها فتحت وصارت بعد الفتح على حالها من الدلالة على تأكيد  
الجملة غير منحلة مع ما بعدها إلى مصدر ، وأن هذه المفتوحة المتصلة بالكاف  
غير أن المفتوحة في قولك : عجبت من أنك قائم ، وقد قدمت الكاف  
ووضعت في غير محلها مسارعة إلى تبادر ذهن السامع للتشبيه<sup>(١)</sup> .

وتفيد كأن التشبيه سواء أخففت نونها أم لا ، أو اتصلت بما الكافة أم لا .  
والمشهور : أنها للتشبيه على الإطلاق ، وذهب الكوفيون والزجاج  
وابن الطراوة وابن السيد : إلى أنه : إن كان خبرها اسماً جامداً فهي للتشبيه  
نحو قولك : كأن زيداً أسد ، وإن كان جملة أو مشتقاً ، فعلاً أو صفة ،  
فهي للشك بمنزلة ظلمت وتوهمت ، نحو : كأن زيداً قائم ، فمثل هذا لا يكون  
تشبيهاً ، لأن خبرها المشبه به في المعنى هو المشبه ، والشئ لا يشبه بنفسه .  
ومن ذهب إلى أنها لا تقع لغير التشبيه أول ذلك على حذف الموصوف  
أي كأن زيداً شخص قائم : أي من أفرادهم : كما تقول : زيد أسد أي من



أفراده ، فلما حذف الموصوف وجعل الاسم بسبب التشبيه كأنه الخبر بعينه صار الضمير يعود إلى الاسم لا إلى الموصوف المقدر .

وقد وصفه ابن يعقوب بالتكلف .<sup>(١)</sup>

وقال ابن ولاد : معناه تشبيه هيئته حال عدم القيام ، بهيئته حال القيام .  
ومن ذلك قول ابن الأثير : كأنك بالشتاء مقبل .  
معناه : أظن .

وجعله الكوفيون للتقريب ؛ كقول الحسن البصري : كأنك بالدنيا لم تكن وبالأخرة لم تزل .

والجمهور يؤولون هذا إلى ما يرجع إلى التشبيه كما تقدم .  
وقد نفى كآن التحقيق عند بعضهم .

وذهب الكوفيون والزجاج إلى أنها للتحقيق في قول الشاعر :

وأصبح بطن مكة مقشعرا      كأن الأرض ليس بها هشام<sup>(٢)</sup>  
وقول ابن أبي ربيعة :

كأنني حين أمسى لا تكلمني      مني يشتري ما ليس موجودا  
والجمهور يؤولون ذلك .<sup>(٣)</sup>

والمتبع لكلام الشعراء - وهم الحجة في مثل هذه الصور البيانية -  
يقطع بصحة رأي الجمهور في أنها تقع للتشبيه دائما .

فقد عد العسكري قول امرئ القيس :

ألم تسأل الربيع القديم بعسسا      كأنى أنادى - إذ أكلم - آخرسا  
من التشبيه الفاسد .

وعد قول كثير عزة :

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت      من الصم لو تمشى بها العصم زلت

(١) مواهب الفتح - ٤ - ٣٨٩

(٢) حاشية الدسوقي - ٣ - ٣٨٥

(٣) اقترنت الأرض : أعانت .

من التشبيه الجيد .<sup>(١)</sup>

وقال : ومن أحسن تشبيه جاء في الهية قولهم : كأن على رءوسهم الطير .  
وذلك أن الهائب تسكن جوارحه ، فكأن على رأسه طائرا يخاف طيرانه<sup>(٢)</sup>  
وأورد في باب التشبيه قول مسلم بن الوليد :

أجذك ماتدرين أن رب ليلة كأن دجاها من قرونك تُنشر  
وقول ابن المعتز<sup>(٣)</sup> :

وكان عقرب صدغه وقفت لما دنت من نار وجهته  
وقول ابن نباتة في فرس أبلق أغر<sup>(٤)</sup> :

وكانما لطم الصباح جبينه فاقترض منه نخاض في أحشائه  
وذكر ابن المعتز في باب ما اختاره من التشبيه<sup>(٥)</sup> قول البحرى :

يخفى الزجاجة لونها فكأنها في الكف قائمة بغير إناء  
وقال ابن الأثير في قول البحرى يصف السيف :

وكانما سود النمال وحرها دبّت بأيد في قواه وأرجل

شبه فرند السيف بديب النمال سودها وحرها ، وذلك من التشبيه الحسن .<sup>(٦)</sup>  
ودفع الأمدى تهمة السرقة عن البحرى في قوله :

بأبيض وضاح كأن قبضه يُزَرّ على الشيخين زيد وحاتم

فقال : أفترى البحرى مسمع بذكر زيد الخيل ولا حاتم الطائي اللذين

تفخر بهما اليمن كلها ، فيشبه بمدوحه بهما إلا من بيت أبي تمام .

وأنت ترى أن هذه الآيات التي مرت عليك جميعها وقع فيها المشبه به

غير جامد ، وذكرت على أنها أمثلة من التشبيه .

والشواهد على ذلك كثيرة .

(٢) ديوان المهافى - ١ - ١٤٤

(٤) المصدر السابق - ٢٤٠

(٦) اللؤلؤ السائر - ١٦٢

(١) الصناعتين - ٦٨

(٣) الصناعتين - ٢٤٤

(٥) البديع - ١٢٩

والكاف يليها المشبه به ، كقول صفية الباهلية :

كنا كأنجم ليل يبدنا قر يحلو الدجى فهو من يبدنا القمر  
وكان بالعكس كقول عبيد بن الأبرص :

كان ربقها بعد الكرى اغتبت من ماء أدكن في الحانوت نضاح  
والتحقيق في ذلك - كما قال ابن السبكي - : أن يقال : أداة التشبيه  
إن كان لها معمولات قدم ما تقضى العربية بتقديمه مشبهاً كان أم مشبهاً به ،  
فتقول : كان زيدا أسداً ؛ فليها المشبه لأنه مخبر عنه ، والمخبر عنه هو اسم  
كأن لا خرها ، فليس تقديمه لكونه مشبهاً بل لكونه اسماً لها ومخبراً عنه ،  
وتقول : شابه زيد الأسد ومثاله ، فوليا المشبه لأنه فاعل ووضع التقديم  
على المفعول ، ونقول : زيد يشبه الأسد ، فوليا المشبه لأنه ضمير متصل ،  
وإن كان لها معمول واحد وليها في اللفظ المشبه به ؛ تقول : زيد كعمرو ،  
أو مثل عمرو ، أو شبه عمرو .<sup>(١)</sup>

بين الكاف وكان :

المتبادر إلى الذهن أن التشبيه بكأن أبلغ من الكاف ، وقد صرح به  
الرازي في نهاية الإيجاز ، وحازم في منهاج البلغاء ، يقول : وهي إنما تستعمل  
حيث يقوى الشبه حتى يكاد الرائي يشك في أن المشبه هو المشبه به أو غيره  
ولذلك قالت بلقيس : « كأنه هو » .<sup>(٢)</sup>

ولم تقل هكذا هو لحكمة ، وهي : « كأنه هو » : عبارة من قرئب عنده  
الشبه حتى شكك نفسه في التباين بين الأمرين فكاد يقول : هو هو وتلك حال  
بلقيس ، وأما هكذا هو فعبارة جازم بتباين الأمرين ، حاكم بوقوع الشبه  
بينهما لا غير ، فلماذا عدلت إلى العبارة المذكورة في التلاوة لمطابقتها لحالها .<sup>(٣)</sup>

(١) عروس الأفراح - ٣ - ٢٩١

(٢) نريد عرشها الذي أتى به سليمان - عليه السلام - من الجن وأمر أن ينكر لها كما جاء  
في سورة النمل

(٣) الانصاف لابن المنبر - ٢ - ١٤٦



ومن ذلك ما أنشده ابن الأنباري عن أبيه: (١)  
 لما تبدت من الأستار قلت لها      سبحانه سبحانه ربي خالق الصور  
 ما كنت أحسب شمسا غير واحدة      حتى رأيت لها أختا من البشر  
 كأنها هي إلا أن يفضلها      حسن الدلال وطرف فاطر النظر  
 فهي تستعمل — كما رأيت — في مقام تشاهد فيه الصفة وتتصور الحالة  
 كأنها محسوسة لإفادتها التحقيق في التشبيه .  
 ويرى ابن السبكي : أنه إن قلنا : بأنها — أي كان — بسيطة صح ذلك  
 فإن كثرة الحروف غالباً دليل على المبالغة في المعنى ، وإن قلنا : بأنها مركبة  
 فلا ؛ لأن أداة التشبيه في الحقيقة هي الكاف ، وأن : تأكيد للجملة ، وتأكيد  
 الجملة المخبر فيها بالتشبيه لا يدل على المبالغة فيه ، والاعتناء بالتشبيه في تقديم  
 الكاف المشعرة بالتشبيه من أول وهلة . ليس فيه ما يدل على أن المشابهة أبلغ  
 بل فيه تأكيد الدلالة على مطلق التشبيه والاعتناء به ، سواء أكان هو أبلغ  
 أم لا فيكون مساوياً (٢) .

### أدوات أخرى للتشبيه :

١ — لعل .

قال — تعالى — « وتتخذون مصانع لعلكم تخلّدون »  
 جاء في البخاري عن ابن عباس : معناه : كأنكم تخلّدون .  
 وفي الكشف : معناه : ترجون الخلود في الدنيا ، أو تشبه بحالكم حال  
 من يخلّد .

وفي مصحف أبي : « كأنكم تخلّدون » .  
 وقال الطيبي : لعل هذا وارد على الاستعارة التمثيلية (٣) .

(١) عروس الأفراح — ٣ — ٣٩٤ .

(٢) المصدر المتقدم — ٣ — ٣٩٢ — ٣٩٣ .

٢ - سواء .

جعلها عبد اللطيف البغدادى من أدوات التشبيه ، كقولهم : رأيت رجلا هو والعدم سواء .<sup>(١)</sup>  
ويقول البحترى :

وسواء مقاوم الحلم منه  
وقول مضى الفقعى :

وليل تقول العين من ظلماته  
كأن لنا منه بيوتا حصينة  
ورعان الريان أرست هضابه  
وسواء صحاحات العيون وعورها  
نمسوح أعاليها وساج كسورها  
وقول آخر :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى  
فأنت واعر في الفلاة سواء  
٣ - مثلك لا يفعل كذا .

يرى بعضهم أنه يستثنى من ، مثل ، أنها أداة تشبيه ، نحو قولك : مثلك لا يفعل كذا .

والحقيقة أنها تشبيه ، لأن المراد : من هو على مثل صفتك لا يفعله .  
فليست مثل هنا زائدة مقحمة - كما قيل - بل هي نفى للفعل عن المخاطب بطريق برهاني .<sup>(٢)</sup>

وقد جاءت في قول المتنبي يمدح بدر بن عمار :

مثلك يا بدر لا يكون ولا تصلح م إلا لمثلك الدول

٤ - مثل بفتح التاء .

وهي في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظر ؛ يقال مثل ومثل ومثل كشبه وشبه وشبيه ، وقد يكون المثل بمعنى الصفة ، من ذلك قوله تعالى : مثل

(١) عروض الأفراح - ٣ - ٣٩٣ . (٢) المصدر المتقدم ٣ - ٣٩٤ .

الجنة التي وعد المتقون : أى صفة الجنة، وقوله - تعالى : - ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزراع أخرج شطأه : أى صفتهم .  
قال الطيبي<sup>(١)</sup> : ولا تستعمل إلا في حال أو صفة لها شأن ، وفيها غرابة<sup>(٢)</sup> .  
كقوله - تعالى - : مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ربح فيها ربح ...  
فمثل كمثل الكلب ... ، ومثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ...  
مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الخمار ...  
هـ - ما .

وقد استعملها المتنبي في قوله :  
أعط عنك تشبيهاً بما وكأنه      فما أحد فوقى ولا أحد مثلى  
يريد : بما وكأنه : ما أشبهه بكذا ، وكأنه كذا .

وقد اعترض عليه بأنه يُشبه من الأسماء بمثل وشبه ونحوها ، ومن الأدوات بالكاف ، ثم تدخل على أن ، فيقال : كأنه الأسد .  
وقد تقرب العرب التشبيه بأن تجعل أحد الشينين هو الآخر ، فتقول :  
زيد الأسد عاديًا والسيف مسلولا ، فأما ، ما ، فلها مواقع معروفة ، وليس للتشبيه في أبوابها مدخل .  
وقد سئل أبو الطيب عنه ، فذكر : أن ، ما ، تأتي لتحقيق التشبيه ، تقول :  
عبد الله الأسد ، وما عبد الله إلا الأسد ، وإلا كالأسد ؛ تنفى أن يشبهه  
بغيره ؛ قال الشاعر :

وما هند إلا مهرة عربية      سليلة أفراس نجلتها بغل

وقال ليلى :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه      يحور رماداً بعد إذ هو ساطع



فكان قائلاً قال : ما هو إلا كذا ، وآخر قال : كأنه كذا ، فقال :  
أعط عنك تشبيهاً بما وكأنه

قال القاضي الجرجاني : وأقول : إن التشبيه بما محال ، وإنما يقع التشبيه  
في هذه المواضع التي ذكرها بحروفه ، فإذا قال : ما المرء إلا كالشهاب .  
فإنما المفيد للتشبيه الكاف ودخلت ما للنفي ، فنفيت أن يكون المرء إلا  
كالشهاب ، فهي لم تعد موضعاً من النفي لكنها نفيت الاشتباه سوى  
المستثنى منها .

وإذا قال : ما هند إلا ماهرة عربية .

فإن ما دخلت على المبتدأ والخبر ، وكان الأصل : هند ماهرة ، وهو في  
تحقيق المعنى عائد إلى تقريب الشبه وإن كان اللفظ مبيهاً ثم نفى أن يكون  
كذلك فأدخل حرف النفي والاستثناء ، فلبس بمنكر أن ينسب التشبيه إلى  
ما ، إذ كان له هذا الأثر ، وباب الشعر أوسع من أن يضيق عن مثله .<sup>(١)</sup>  
٦ - أفعال التفضيل .

جعل الطيبي من أدوات التشبيه أفعال التفضيل ، مثل زيد أفضل من  
عمرو<sup>(٢)</sup> .

ويقول ابن السبكي : وفيه بعد وإن كان يشهد له ما سيأتي من كلام ابن  
الشجري .

فمن ذلك قول المتنبي في الفخر :

وأبصر من زرقاء جَسَمَ لَأَنفِي مَتَى نَظَرْتُ عَيْنَايَ سَاوَاهُمَا عَلَيَّ<sup>(٣)</sup>

وقول السري الرفاء في الاستدعاء :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ كَيْفَ تَصْبِرُ طَائِعَا عَنْ فِتْيَةٍ مِثْلِ الْبَدُورِ صَبَاحَ

(١) الوساطة بين النفي والخصوص - ٢٣١ (٢) عروس الأفراح - ٣٠٢ - ٢٩٢

(٣) جو : التباين في نظر عمرو بن مَرْوَف ، والرفاء : هي حذام المصروب بها المثل في حدة النظر .

نهضوا لراحته وذكرك بينهم أذكى وأطيب من نسيم الراح

وقوله يمدح أبا الهيثم بن حمدان :

لا أقول الغمام مثل أياديك م ولا السيف مثل عزمك حدا

أنت أمضى من الحسام وأصفى من حيا المزن في المحول وأندى

وقول يامين البصري في وصف صمصامة الزبيدي :

نصل كأن المنايا جند طاعته في طوله قصر إلا عن القصر<sup>(١)</sup>

أمضى من الأجل الماصي وأنفذ من جارى القضاء وأضوا من سنا القمر

وقول بعض الرُّجَّاز يمدح المأمون :

مأمون يا ذا المن الشريفة والعلم والمنزلة المنيفة

هل لك في أرجوزة ظريفه أظرف من فقه أبي حنيفة

وقول ابن عمار الأندلسي يمدح المعتمد بن عباد :

ملك إذا ازدحم الملوك بمورد ونحاه لا يردون حتى يصدرا<sup>(٢)</sup>

أندى على الأكباد من قطر الندى وألذ في الأجفان من سنا الكرى

وقول ابن حجاج في آخر :

عادية السن بطش سورتها أجهل في الرأس من أبي جهل

وقول البستي في هجاء أبي علي بن سمجور :

ألم تر ما ارتآه أبو علي وكنت أراه ذا لب وكفيس

عصى السلطان فابتدرت إليه جيوش يُقلِّقون أبا قبيس

وصير طوس مَعْقِلَه فأضحت عليه طوس أشام من طويس<sup>(٣)</sup>

وقول الثعالي في هجاء صديق :

صديق لنا منذ ذقت طعام إخائه غصصت وقد أربى على المر شهده

(١) القصر بفتح القاف والصاد : أصول الأعنان جمع قصرة (٢) نحاه : قصده.

(٣) طويس بالتصغير : من مخني المدينة كان يضرب به المثل في الشؤم .

فأضعف من نسج العناكب عهده وأضيع من نار الجباحب وده<sup>(١)</sup>  
وقول آخر في معناه :

لنا صاحب مولع بالخلاف كثير المراء قليل الصواب  
أشدّ نجاشا من الخنفساء وأزهى إذا ما مشى من غراب  
وقول بعض العصريين في ثقل<sup>(٢)</sup> :

أند من الراح المشعشع بعده وأشهى إلى الأجفان من غفوة السحر  
وآثق من وصل الكواعب هجره وأندى على الأكباد من رنة الوتر  
وأبشع من ضحك القمروود حديثه وأقبح من فقسر ألمه على الكبر  
ومن مختارات الغزل قول شاعر :

جارية أطيب من طيبها والطيب فيها المسك والعنبر  
ووجهها أحسن من حلّيا والخلّى فيها الدر والجوهر  
وفيه يقول العسكرى : ولو قيل : إن هذا أحسن ما قاله محدث لم يكن  
بعيدا<sup>(٣)</sup> .

وقول عبد الغفار المصرى :

ورد الحدود أرق من ورد الرياض وأنعم  
هذا تنشقّه الأنوف ف وذا يقبله القم  
فإذا عدلت فأفضل الـ وردين ورد يلتّم  
فلم يكفه أن يفضل ورد الحدود على ورد الرياض حتى عقد بينهما  
موازنة خرج منها بالبرهان المحسوس المتعارف على أن ما يلتّم خير مما يشم .  
ومن البديع قول الشاب الظريف :

بلاغية للبدر وجهك أجمل وما أنا فيما قلته متجمل

(١) المراد بها : النار الضعيفة (٢) ألحان الأصل - ٣١٦ (٣) ديوان المعاني - ١ - ٢٦١



ذلك أن البدر لا يغتاب ، لأن الغيبة ذكر الناس بما يكرهون ، لكنه هنا نزل البدر منزلة مליح جميل إذا فضل عليه غيره كره ذلك وعده غيبة ، ثم ادعى أن ذلك المليح الذي هو البدر لا يألف ولا يغضب من تفضيل المحبوب عليه في الحسن ، لأن ذلك من الأشياء المسلم بها التي لا يكابر فيها ، فأنهى الكلام - كما يقول الشهاب الخفاجي - : إلى هذه المبالغة المليحة <sup>(١)</sup> .

ومن الطريف البليغ وصف النظام لعبد الوهاب الثقفي - وكان من أجمل فتيان العرب وأنبلهم - : هو أحلى من أمن بعد خوف ، وبرء بعد سقم ، وخصب بعد جديب ، وغنى بعد فقر ، وطاعة المحبوب ، وفرج المكروب ، ومن الوصل الدائم ، مع الشباب الناعم <sup>(٢)</sup> .  
٢٧ - أفعال تقي عن التشبيه .

يؤتى في التشبيه القريب بنحو : علمت زيدا أسدا ، الدال على التحقيق . وفي البعيد أدنى بعد بنحو : حسبت زيدا أسدا ، الدال على الظن وعدم التحقيق :

وهذا رأى الخطيب في التلخيص والإيضاح تبعا للمسكاكي ، وخالفه جماعة منهم الطيبي ، فقالوا : الأظهر : أن الفعل ينبىء عن حال التشبيه في القرب والبعد ، وأن الأداة بخدوفة مقدرة لعدم استقامة المعنى بدونها .  
وذلك كقول المتنبي :

رأت وجه من أهوى بليل عواذلى فقلن ترى شمساً وما طلع الفجر

\*\*\*

ومحاجة ترك الحديد سوادها زنجاً تبسم أو قذالاً شائبا

\*\*\*

ذكر الأنام لنا فكان قصيدة كنت البديع الفرد من أبياتها

\*\*\*

قوم إذا أمطرت موتا سيوفهم حسبها سحبا جادت على بلد

\*\*\*

متعود لبس الدروع يخالها في البرد خزا والهواجر لاذا<sup>(١)</sup>

\*\*\*

سقيته عبرات ظنهما مطرا سوائلا من جفون ظنهما سحبا

\*\*\*

ما زلت أعرفه فردا بلا ذنب خلوا من البأس مملوما من التزق<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

بياض وجه يريك الشمس حالكة ولفظ در يريك الدر تخشبا

وقول السرى الرفاء :

رأت أسدا يلقي المني حاسرا إذ اختال في قص الحديد أسودها

\*\*\*

وكل مسفرة الألفاظ تحسبها صفيحة بين إشراق وإسفار<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

تريك في الظل عقيانا فإن نظرت شمس النهار إليها خلتها لها

\*\*\*

وروضة آزريون قد ذر وسطها نوافج مسك هيئت قلب مهتاج

تراها عيوننا بالنهار رواقيا وعند غروب الشمس أزرار دياج

(١) اللاد : جمع لاذة ، نوب حرير أحمر صفي .

(٢) الصفيحة : السيف المريض . (٣) يصف ثمار النخل .

وقول بعضهم :

ولقد علمت في الكريمة ضيغاً أظفاره بيض السلاح وسمره  
ولابن وضاح وقد قطع عنه مدوحه إحسانه ، فقابله بقطع مدوحه مدلاً  
عليه ، فعاتبه فقال :

هل كنت إلا طائراً بثنائكم في دوح مجدم أقوم وأقعد  
إن تسلبوني ريشكم وتقلصوا عني ظلالكم فكيف أغرد  
٨ - هكذا .

يقصد من التشبيه بها : الاستمرار على معنى أنه عادته ودأبه ، لأن نوع  
الشيء يبقى ببقاء أمثاله .

والعادة تشعر بالاستمرار ، فيراد لازم المعنى ويقطع النظر عن التشبيه .  
كقولهم : هكذا أعاتب وأعاقب ، وكذا أنعم على من أنادم وأصاحب .  
وعدل عمر في قضية كذا ، وهكذا .  
أي استمر على عدله .

وقال الحماسي :

وهكذا يذهب الزمان ويفنى م العلم فيه ويدرس الأثر  
قال التبريزي : أي استمر على ذلك .  
وكذلك قوله :

وما من ذلة غلبوا ولكن كذاك الأسد تفرسها الأسود  
وأمثاله أكثر من أن تحصى .

وذكر الصولي : أن كذا تفيد التعظيم في قول أبي تمام :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر  
حيث قال : عاب قوم هذا ، وقالوا : لا يقال . فليكن كذا إلا للسرور ،  
نحو : كذا فليكن القرح .



وما علمت أن شيئاً يقال في تعظيم الفرح إلا قبل في تعظيم الحزن .  
وقد جرت البشارة بما يسوء ، نحو : فبشرهم بعذاب أليم ، .  
ومن غريب معاني كذا ، : أنها تكون اسم فعل بمعنى دع و اترك  
فتنصب مفعولاً .

قال المرادى : حكى النصب بها أهل اللغة وأنشد لجرير :  
يقلن وقد تلاحقت المطايا كذاك القول إن عليك عينا  
أى : دع القول .  
وهى مركبة من كاف التشبيه واسم الإشارة وكاف الخطاب ، وزال  
معناها التركيبى وضمنت معنى دع .  
وقال ابن الأثير في قول عمر - ض - : كذاك لا تدع : أى حسبك .  
وتقديره : دع فعلك وأمرك كذاك .  
واستعملت الكلمة استعمال الاسم الواحد في غير هذا المعنى ، يقال :  
رجل كذاك : أى خسيس .  
واشترى غلاماً ولا تشتري كذاك : أى دينياً .  
وقيل حقيقة كذاك : مثل ذاك .  
ومعناه : إلزم ما أنت عليه ولا تجاوزه .

### نحو الى أداة التشبيه :

قد يقتضى المقام تكرار أداة التشبيه أو تعددها توسعاً في الوصف  
وافتناءً في الكلام ؛ وذلك حينما يكون المشبه جوانب عدة تستدعى ما يناسبها  
من المشبه به ، فيؤتى بالمشبه ثم يكرر المشبه به مع أداة التشبيه .  
أو تكون الصورة التى يريد الواصف رسمها واسعة الرقعة كثيرة الألوان  
فيكرر أداة التشبيه وطرفيه : المشبه والمشبه به مع كل جزء من أجزائها

ولاء حتى يأتي عليها ، ليستوعب بذلك جميع مناحيها حين لم يتيسر له أن يصوغها جملة .

فن الأول قول البحترى يصف إيوان كسرى :

فكأنى أرى المراتب والقو م إذا ما بلغت آخر حسى  
وكان الوفود ضاحين حسرى من وقوف خلف الزحام وخفس  
وكان القيان وسط المقاصير م يرجعن بين حو ولعس<sup>(١)</sup>  
وكان اللقاء أول من أمس م ووشك الفراق أول أمر  
وكان الذى يريد اتباعا ظامع فى خوفهم صبح خمس  
وقول المتنبي يمدح على بن منصور الحاجب :

هذا الذى أبصرت منه حاضراً مثل الذى أبصرت منه غائباً  
كالبدر من حيث التفت رأيتهُ يهدى إلى عينيك نوراً ثاقباً  
كالبحر يقذف للقريب جواهرها جوداً ويبعث للبعيد سحائبها  
كالشمس فى كبد السماء وضوءها يغشى البلاد مشارقاً ومغاربها  
وقول السرى الرفاء يمدح سلامة بن فهد الأزدي :

وأغر ما طلعت أسرة وجهه إلا استسر البدر قبل سراره  
مثل الشهاب محرقاً أو كاسفاً ظلم الخطوب بنوره أو ناره  
أو كالحسام إذا مضى فى مشهد شهدت مضاربه بعق نجاره  
أو كالربيع الطلق واجه قطره وجه الثرى فاختضر من أقطاره  
وقول شوقي فى أهرام مصر :

كان أهرام مصر حائط نهضت به يد الدهر لا بنيان بانينا

(١) الحو : جمع حواء ، وهى ما كانت تفتتها حواء إلى السواد ، واللعس : جمع لعساء ما كان فى لونها أدنى سواد يضرب إلى الحمرة .

كانها وزملا حولها التطلعت      سفينة غرقت إلا أساطينا  
كانها تحب لآلاء الصبح ذهاباً      كنوز فرعون غطين الموازين  
وقول بعض العصريين في وصف القرآن الكريم :

كانه الروض لا تبفك جذته      يهي على العين منها الوشي والحبر  
كانه الشمس لا تفتي أشعتها      مدى القرون ولا تبلى لها صور  
كانه القمر المرموق منظره      لكل يوم جمال فيه مدخر  
ومن الثاني قول البديع الحمذاق :

لك الله من ليل أجوب جيوه      كأنى في عين الدجى أبدا كل  
كان الشرى ساق كأن الكرى طلا      كأناله شرب كأن المني نقل  
كأنا جياع والمطى لنا قم      كأن الفلا زاد كأن الشرى أكل  
كان يبايع الثرى ثدى مرضع      وفي حجرها منى ومن ناقى طفل  
كأنا على أرجوحة في مسيرنا      لغور بنا جهوى ونجد بنا يعلو  
وقول القاضي التنوخي :

وليلة مشتاق كأن نجومها      قد اغتصبت عين الكرى وهي نوم  
كان عيون الساهرين أطولها      إذا شخصت الأنجم الزهر أنجم  
كان سواد الليل والفجر ضاحك      يلوح ويخفى أسود يتسم  
وقول ابن هاني الأندلسي من قصيدة بارعة (١) :

كأن السماكين اللذين تراهما      على لبدنيه ضامنان له حتفا (٢)  
كأن سهيلا في مطالع أفقه      مفارق إلف لم يجد بعده إلفا  
كأن رقيب الصبح أجدل مرقب      يقلب تحب الليل في ريشه طرقا

(١) نفع الطيب — ٢ — ٣٦٥ — در الفصاحة — ٢٣٨ — ٢٣٩

(٢) الضمير في لبدنيه لأسد الدماء .



كأن بني نعش ونعشاً مَظَافِلَ      بوجرة قد أضللتني في مهمه خشفاً<sup>(١)</sup>  
 كأن سهاها عاشق بين عود      فأونة يبدو وأونة يخفى  
 كأن معلى قطبها فارس له      لوامان مركوزان قد كرها الزحفا  
 كأن قدامى النسر والنسر واقع      قصيصن قلم تسم الخوافي له ضعفا  
 كأن أخاه حين دؤم طائر      أقي دون نصف البدر فاخطف النصف  
 كأن الهزيع الأبنوسى وهنة      سرى بالنسيح الخسروانى ملتفا  
 كأن ظلام الليل إذ مال ميطة      صريع مدام بات يشربها صيرفا  
 كأن عمود الصبح خاقان معشر      من الترك نادى بالنجاشي فاستخفى  
 كأن لوام الشمس غرة جعفر      رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا  
 وقد أعجب بها المقرئ حتى قال عنه : إنه خرق فيها المعتاد .

وقول عفيف الدين التلساني في وصف الرياض<sup>(٢)</sup> :

رياض بكاه المزن فهي بواسم      وناحت لغير الحزن فيها الخائم  
 كأن الأقالق والشقيق تقابلا      خدود جلاهن الصبا ومباسم  
 كأن بها للرجس الغض أعيننا      تنبه منها البعض والبعض نائم  
 كأن ظلال القصب فوق غدیرها      إذا اضطربت تحت الرياح أراقم  
 كأن غناء الورق ألحان معبد      إذا رقصت تلك القدود والنواعم<sup>(٣)</sup>  
 كأن نثار الشمس تحت غصونها      دنائير في وقت ووقت دراهم  
 كأن ثماراً في غصون توسوست      لعارض خفاق النسيم تخائم  
 كأن القطوف الدانيات مواهب      فني كل غصن ماس في الدوح حاتم

(١) المظافل : ذوات الأظفار من الإنس والوحش ، والخشف : الظبي الصغير

(٢) وفات الوفيات للصالح السكيتي - ١ - ٣٦٢

(٣) معبد : مقفون مشهور في الدولة الأموية .

وقول العسكري :

لبس الماء والهواء صفاء      واكتسى الروض بهجة ورؤاء  
وكان النّاء صرن رياضاً      وكان الرياض عُدن نّاءاً (١)  
وكان الهواء صار رحيقاً      وكان الرحيق صار هواء  
وتخال السماء بالليل أرضاً      وترى الأرض بالنهار سماء  
وقول ابن برد يصف مكاناً - وقد أبدع أيما إبداع - :

كان ترثم الأطيّار فيه      أغاث فوق أوتار فصاح  
كان تشيّ الأشجار فيه      عذارى قد شرين سلاف راح  
كان الجدول المنساب فصل      صقيل المن هز إلى كفاف  
كان رياضه أبراد وشي      تعطف فوق أعطاف ملاح  
وقول المتنبي يصف طول الليل :

كان الفجر حب مُزار      براعى من دُجته رقيقاً  
كان نجومه حلّى عليه      وقد حُزبت قوائمه الجُيوباً (٢)  
كان الجو قاسى ما أقاسى      فصار سواده فيه شحوباً  
كان دجاء يجذبها سهادى      فليس تغيب إلا أن يغيباً  
وقول علي بن محمد الكوفي - وقد تخلص منه إلى المدح - :

نجوم أراعى طول ليلٍ برّجها      وهنّ لبعد السير ذات أغوب  
كان الّتي حول الحجر أوردت      لتكرع في ماء هناك صيب  
كان رسول الصبح يخلط في الدجى      شجاعة مقدام يجبن هيب  
كان اخضرار الفجر صرح مُرد      وفيه لالٍ لم تُشن بثقوب

(١) النّاء بالكسر : جم نهى بالكسر والفتح وتخفيف الياء وهو التدرير .

(٢) الجيوب بالفتح : الأرض .

كَأَن سَوَادَ اللَّيْلِ فِي ضَوْءِ صَبْحِهِ      سَوَادُ شَبَابٍ فِي بَيَاضِ مَشْيَبِهِ  
كَأَن نَذِيرَ الشَّمْسِ يَحْكِي بِنَشْرِهِ      عَلِيٌّ بْنُ دَاوُدَ أَخِي وَنَسْبِهِ  
وَقَوْلُ الْخَفَاجِيِّ - وَقَدْ عَارِضَ بِهَا قَصِيدَةَ ابْنِ هَانِيءِ الْمُتَقَدِّمَةِ - وَقَدْ تَخَلَّصَ  
فِيهَا إِلَى الْمَدْحِ أَيْضًا :

كَأَن الدَّجَى لَمَّا تَوَلَّتْ نَجْمُومَهُ      مُدَبِّرُ حَرْبٍ قَدْ هَزَمْنَا لَهُ صِفَا  
كَأَن عَلَيْهِ لِلْجَرَّةِ رَوْضَةٌ      مَفْتُوحَةُ الْأَنْوَارِ أَوْ نَثْرَةٌ زَعْفَا (١)  
كَأَنَا وَقَدْ أَلْقَى إِلَيْنَا هَلَالَهُ      سَلْبِنَاهُ جَامَا أَوْ قَصَمْنَا لَهُ وَقْفَا (٢)  
كَأَن السَّهْلَ إِنْسَانٌ عَيْنٌ غَرِيبَةٌ      مِنَ الدَّمْعِ يَبْدُو كُلَّمَا ذَرَفَتْ ذَرْفَا  
كَأَن سَبِيلًا فَارِسٌ عَيْنٌ الْوَعْيِ      قَفَرٌ وَلَمْ يَشْهَدْ طَرَادًا وَلَا زَحْفَا  
كَأَن سَنَا الْمَرِيخِ شُعْلَةٌ قَابِسٌ      تَخْطِفُهَا عَجَلَانُ يَقْدِفُهَا قَذَا  
كَأَن أَقْوَلَ النَّسْرِ طَرْفٌ تَعْلَقَتْ      بِهِ سِنَّةٌ مَا هَبَّ مِنْهَا وَلَا أَغْنَى  
كَأَن نَصِيرَ الْمَلِكِ سَلٌ حَسَامُهُ      عَلَى اللَّيْلِ فَانْصَاعَتْ كَوَاكِبُهُ كَسْفَا  
وَلِخَازِمِ صَاحِبِ الْمَقْصُورَةِ :

كَأَن الثَّرِيَا كَاعِبٌ أَزْمَعَتْ نَوَى      وَأَمَّتْ بِأَقْصَى الْغَرْبِ مَنَزَلُهُ شَحْطَا  
كَأَن نَجْمُومِ الْحَقِيقَةِ الزَّاهِرِ هُودَجٌ      لَهَا عَن ذُرَا الْحَرْفِ الْمُنَاخَةِ قَدْ حُطَّطَا (٣)  
كَأَن رِشَاءَ الدَّلْوِ رَشْوَةٌ خَاطِبٌ      لَهَا جَعَلَ الْأَشْرَاطُ فِي مَهْرٍ هَاشِرْطَا (٤)  
كَأَن السَّهْلَ قَدْ دَقَّ مِنْ فَرْطِ شَوْقِهِ      إِلَيْهَا كَمَا قَدْ دَقَّ السَّكَّابُ النَّقْطَا  
كَأَن سَبِيلًا إِذْ تَنَامَتْ وَأُنْجِدَتْ      غَدَا يَأْتِسَاءُ مِنْهَا فَاتَهُمْ وَانْحَطَّطَا  
كَأَن خَفُوقَ الْبَرْقِ قَلْبٌ مَتِيمٌ      تَعْدَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ فِي الْبَيْنِ وَاشْتَطَا

(١) النثرة : الدرع اللينة الواسعة . (٢) الوقف : السوار .

(٣) الحققة : ثلاثة كواكب فوق منكب الجوزاء كالأثافي ، والحرف : الناقة القوية .

(٤) الأشراط : ثلاثة كواكب اثنتان منهما قرنا طول .



كان الذي ضم القوادم منهما  
كان أخاه رام فوتاً أمامه  
وقول الحلبي الدمشقي الحلبي :

وكم ليلة سامرت فيها نجومها  
كان نجومها في المجرة خرد  
كان سنا الجوزاء إكليل جوهر  
كان سبيلا - والنجوم وراءه -  
كان الدجى هيجاء حرب نجومه  
كان النجوم الهاديات فوارس  
كان سنا المريح شعلة قابس  
كان السها صب سها نحو إلفه  
كان ثرياً أفقه في انبساطها  
كان في راع ضل عنه سوامها  
سواق رماها في غدِير زحامها  
أضاعت لياليه فراق انتظامها  
صفوف صلاة قام فيها إمامها  
أستبها والبرق فيها حسامها  
تساقط ما بين الأسنه هامها  
تلوح على بعد ورخى ضرامها  
يراعى الليالي جفنه لا ينامها  
يمين كريمة لا يخاف انضمامها

وقول شوقي في وصف الوقائع العثمانية اليونانية ، ولعلها أطول ما جاء  
من هذا النوع ؛ فقد تكررت فيها أداة التشبيه ست عشرة مرة :

كأنا أسود رايضات ، كأنهم  
كان خيام الجيش في السهل أيتق  
كان السرايا ساكنات مواثجا  
كان القنا دون الخيام نوازلا  
قطيع بأقصى السهل حيران مذنب (٢)  
نواشر فوضى في دجى الليل شرب (٣)  
قطائع تعطى الأمن طوراً وتسلم  
جداول يجرها الظلام ويسكب

(١) لونه : لم يرح مكانه .

(٢) مذنب : فرع من الذئب .

(٣) نواشر : مرتفعة ، ونزب متفرقة .

كأن الدجى بحر إلى النجم صاعد      كأن السرايا موجه المتضرب  
 كأن المنايا في ضمير ظلامه      هموم بها فاض الضمير المحجب  
 كأن صهيل الخيل ناع مبشر      تراهن فيه ضحكا وهي تحب  
 كأن وجوه الخيل غرا وسيمة      درارى ليل طلع فيه ثقب  
 كأن أنوف الخيل حرا من الوغى      مجامر في الظلمات تهدا وتلهب  
 كأن صدور الخيل غدر على الدجى      كأن بقايا النضج فيهن طحلب  
 كأن سنا الأبواق في الليل برقه      كأن صداها الرعد للبرق يصحب  
 كأن نداء الجيش من كل جانب      دوى رباح في الدجى تنذاب<sup>(١)</sup>  
 كأن عيون الجيش في كل مذهب      من السهل جن جول فيه جوب  
 كأن الوغى نار ، كأن جنودنا      مجوس إذا ما يئتموا النار قربوا<sup>(٢)</sup>  
 كأن الوغى نار ، كأن الردى قرى      كأن وراء النار حاتم يأدب<sup>(٣)</sup>  
 كأن الوغى نار ، كأن بنى الوغى      قراش له في ملس النار مأرب

ولا خلاف أن الشعراء المفلكين يستطيعون أن يكرروا التشبيهات دون  
 أن يفترخوا أو يسفخوا كما رأينا في بعض القطع المتقدمة ، ولكن من الخير  
 أن يهمل الشاعر الجزئيات القليلة القيمة ويصرف همه إلى النواحي البارزة  
 فيصوغها في صور تركيبية ، فإن توالى التشبيهات المفردة على هذا النمط  
 يجعل الشعر ناضبا شاحبا ، ويسوق إلى التكلف ، ويوقع القارىء في الضجر

(١) تنذاب : تبنى مرة كذا ومرة كذا .      (٢) قربوا : قدموا القربان .  
 (٣) يأدب : يقيم المآدب .

والسامة ، ومن خصائص الشعر الأصلية الجنوح إلى التجميع والتركيـ  
ز والتفوز من السرد والتقصى .

النسب باعتبار الأداة .

والتشبيه باعتبار الأداة يرد على وجهين :

١ — على جهة الإنشاء ، كقوله - تعالى - : « كأنهن الياقوت والمرجان » .  
والغرض من كونه إنشاء : أنه لا يحتمل صدقا ولا كذبا .

٢ — أن يرد على جهة الإخبار ؛ كقوله - تعالى - : « فثله كثل الكلب  
إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث »<sup>(١)</sup> .



## الفصل السادس عشر

### الغرض من التشبيه

الغرض من التشبيه عند البيانين : هو الأمر الحامل على إيجاده .

ولا بد في كل تشبيه من غرض يرمى إليه ، وإلا كان وقوعه ضرباً من العبث ، لأنه يكون - إذ ذاك - كلاماً ملق على عواهنه لا يجري إلى هدف ، ولا يسعى وراء غاية ، ومثل ذلك يعد خلفاً من القول وشُعبة من الهذر والهذيان ، وهو أشبه بكلام المجانين والمعتوهين والسكران ، لأن العقلاء يصوتون أقوالهم من السخف والفضول .

وهذا الغرض يعود إلى المشبه إلا في حال قلب التشبيه فإنه يعود إلى المشبه به .

وذلك بحكم الاستقراء ، بل بقضاء العقل ، إذ المشبه أصل في الكلام وغيره تبع له ، لأنه بمنزلة المحكوم عليه ، أو بمنزلة الموصوف ، أو بمنزلة المقيس بالنسبة إلى المقيس عليه ، وكل ذلك يقتضي عودة الغرض إليه .

وفي عودة الغرض إلى المشبه مقاصد بلاغية مختلفة منها :

١ - بيان حال المشبه .

وذلك حينما تكون صفة المشبه به معلومة ، ووصفه المشبه مجهولة أو في حكم المجهولة ، فيساق التشبيه تمكيناً للذهن من إدراك المشبه وتصوره ، كإقاف تشبيه وجه بوجه في البياض إذا علم لون المشبه به دون المشبه .

وكقولك : الورس : نبات كالسمسم .

وأبو براقش : طائر صغير يرى كالقنفذ .

والهراق : دابة نحو البغل تركبه الرسل عند الخروج إلى السماء<sup>(١)</sup> .  
أما إذا كان حال المشبه معلوماً قبل التشبيه ، فإن ذلك لا يكون بياناً لحال  
المشبه ، لأنها معروفة من قبل ، وتعريف المعروف عبث .  
وهذا النوع برء كثيراً في المسائل العلمية للإفهام والتوضيح ، فهو جزيل  
الفائدة عظيم النفع ، كما أنه يقع بكثرة في كلام الناس لصلته القوية بالفطرة .  
لأن الإنسان بطبيعته يستظهر بمعارفه المتخزنة على الإحاطة بما يحمله ، وحواسنا  
دائمة العمل في هذا المضمار ، ولا تفتأ تحمل إلينا ألواناً من المعارف الثمينة  
تزيد في وعيدنا الثقافي على مدى الزمن ، وهو ما يسمى بالعقل المكتسب .  
مثاله من النثر البليغ قول الرسول - صلوات الله عليه - :

• مثل المؤمن كالنحلة لا تأكل إلا طيباً ولا تطعم إلا طيباً .  
• أصحاب كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .  
• المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .  
• الحباء من الإيمان كالرأس من الجسد .  
• الناس كأسنان المشط في الاستواء .  
• أمي كالطر لا يدري أوله خير أم آخره .  
• مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأثرجة طعمها طيب وريحها  
طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ربح  
لها ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنظلة طعمها مر ولا ربح لها ،  
ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها .  
ومن الشعر قول طفيل الغنوي :

إن النساء كأشجار نبتن معا      منهن مرّ وبعض المر ما كول

وقول آخر :

إن النسيم رياحين خلقن لنا      وكلمتا يشتبهى شم الرياحين  
وقول بشار :

كأن الناس حين تغيب عنهم      نبات الأرض أخطأه القطار (١)  
وقول المتنبي :

وما الموت إلا سارق دق شخصه      يصول بلا كف ويسعى بلا رجل  
وقوله :

وما أنا إلا سميرى حمله      فزين معروضا وراع مسددا (٢)

٢ — بيان مقداره في القوة والضعف والزيادة والنقص وما إليها .  
ولا بد أن يكون المشبه معروف الصفة بوجه عام . ويأتى التشبيه بعد  
ذلك لتحديد ما ، فإن كانت مجهولة أصالة كانت لبيان الحال لا لبيان المقدار ،  
وهذا هو الفرق بينهما .

مثاله من النثر قوله — تعالى — : وما أمر الساعة إلا كلمح البصر  
أو هو أقرب . .

وقول ابن المقفع : الدنيا نوم فاتم ، وحلم حالم .  
وقول شوقي : هل دولة الحسن إلا كدولة الزهر ، وهل عمر الصبا  
إلا أصيل أو سحر .

ومن الموجز الرائع : أن أعرابيا سئل : كم تشرب من النبيذ ؟  
فقال : على قدر النديم .

وقول الأعشى :

كأن مشيتها من بيت جارتها      مر السحابة لا ريث ولا عجل

(٢) يخاطب سيف الدولة .

(١) القطار : جمع قطرة .



وتشبه المرأة بالسحابة لتهادها وسهولة مرها ، وهذا ما تلحقه العين منها ،  
فأما الخفة فهي كإسرع مار وإن خفي ذلك على البصر ، قال الله - عز وجل - :  
« وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » .

وقد انتقد الأصمعي على الأعشى هذا البيت وقال : جعلها خراجة ولأجة !  
هلا قال كما قال الآخر :

ويكرمها جاراتها فيزورها      وتعتزل عن إتيانها فتعذر

والنقد موجه إلى الخروج من البيت لا إلى التشبيه .

وقول عمر بن أبي ربيعة :

قال لي صاحبي ليعلم ما بي      أحب القسول أخت الرباب  
قلت وجدى بها كوجدك بالما      إذا ما فقدت برد الشراب  
وقول أبي تمام :

وفسكت بالمال الجزيل وبالعدا      فتك الصباية بالمحب المعرم  
وقول العظامي :

ألا إنما نيران قيس إذا شتوا      لطارق ليل مثل نار الحباحب<sup>(١)</sup>  
وقول المعتمر :

ألا إنما الدنيا كظل غمامة      إذا مارجاها المستظل اضمحلت  
وقول المتنبي :

والغنى في يد اللئيم قبيح      قدر قبح الكريم في الإملاق  
وقول شاعر :

يا ليلة لم تبين من القصر      كأنها قبلة على حذر

(١) نار الحباحب ونار أبي حباحب : تضرب مثلا لقوى يروق ولا طائل نفعه .

لم تلك إلا ، كلا ، ولا ، ومضت تدفع في صدرها يد السحر<sup>(١)</sup>  
والتشبيه هنا يفيد في الجملة ما يفيد ذكر الخاص بعد العام ، فإن مشية  
الحبيبة التي شبهها الأعشى بمر السحابة ، يمكن أن تشبه بأشياء كثيرة يصعب  
حصرها ويعز تكيفها ، وتوقع في البلبله والاضطراب ، لكثرة ما يتوارد  
على الذهن من المعاني المتماثلة .

ولكنه حين ذكر مر السحاب نص على مشية معينة يحيط بالذهن  
بصورتها ، فتماثلت لها في النفس هيئة خاصة تجعلها متميزة من بين المشيات  
جميعاً ، وبهذا بدت الصورة واضحة وزال ما يكتنفها من الغموض واللبس ،  
بعد أن كانت شيئاً يلح في جملة أشباه تنازعه الوجود .

### ٣ - تقرير حاله .

وهو نوع من بيان الحال ، ولكنه يبان على وجه التمكن بتوضيح  
حال المشبه في ذهن السامع ، وتقوية شأنها ، وتحقيقها في نفسه ، وتأكيدها  
في خاطره .

ويتم ذلك بإبرازها في صورة أقوى وأظهر وأبهر حين تشبه المعنويات  
المجردة الموهومة بالحسيات المشاهدة أو المتخيلة ، وهو الغالب الكثير ،  
كقول ابن المعتز :

ويخرج أحشائي بعين مريضة كما لأن من السيف والحد قاطع  
فخرج الأحشاء بالعين المريضة معنى دقيق بلطف على بعض الأذهان ،  
حتى ليتعجب من حقيقته ، أو يشك فيها ، لأن المرض ضعف ، والضعف  
لا يقوى معه على شيء .

(١) كلا ولا : يشبه به الزمن القصير .

ثم إن الصورة — على تبينها للشقف الخبير بأساليب الغزل — عليها  
ظلال من الخفاء ، لأنها تتخيل ولا تحس ، وتلج بالفكر لا البصر ، فإذا  
جاء التشبيه وصبها في قالب حسي وضحت معالمها فارتسمت في شبكة العين ،  
ونقشت في صحيفة الذهن ، وأصبح مقبولا معقولا مسلما أن نخرج العين  
بجفنها القاتر وطرفها الناعس ، لأن السيف لا يمنع عين منه أن يقد الأجسام  
ويحز الرقاب ينصله المرفف الحاد .  
ومثل ذلك تجده في قول الصنوبري :

يحن الفتى يخبرن عن أخلاقه كالنار مخبرة بفضل العنبر —  
وقول المظفر الأمدى :

قل للذين جفوني إذ لهجت بهم دون الأنام وخير القول أصدقه  
أحجم وهلاكى في محبتكم كعباد النار بهواها ونحرفه  
وقول ابن رشيق :

أحب أخى وإن أعرضت عنه وقل على مسامعه كلامى  
ولى في وجهه تقطيب راض كما قطبت في وجه المدام  
وقوله :

فى الناس من لا يُرتجى نفعه إلا إذا مُسُّ بأضرار  
كالعود لا يُطمع فى طيبه إلا إذا أحرق بالنار  
وقول ابن العميد :

ذو سمة يا أهلك أثبت عهدَه كالخط يرسم فى بسيط الماء (١)  
وقول أبى الصلت الأندلسى فى صديق ثقیل — وقد أجاد — :

(١) سمة : اسم مرة من اللال .



لى جليس عجبت كيف استطاعت هذه الأرض والجبال ثقلة  
أنا أرفعها مكرها وبقلي منه ما يخلق الجبال أقله  
فهو مثل المشيب أكره مرآه ولكن أصونه وأجله  
ومن روائع أبي نواس :

سكنت من شدة البرودة حتى صرت عندى كأنك النار  
لا يعجب السامعون من صفى كذلك الثلج بارد حار

فهذا كلام فلسفى ، وفيه المذهب الكلامى (١) :  
وهو يدل على نظره فى علم الطبائع ، لأن الهند تزعم أن الشيء إذا  
أفرط فى البرد عاد حاراً مؤذياً .

ووجدت فى بعض كتبهم لا ينبغي للعاقل أن يغتر باحتمال السلطان  
وإمساكه ، فإنه إما شرس الطبع بمنزلة الحية إن وطئت فلم تلتسع لم يغتر بها  
فيعود لو طئها ، أو سحيح الطبع بمنزلة الصندل الأبيض البارد إن أفرط فى حكة  
عاد حاراً مؤذياً (٢) .

ومن النثر الآية الكريمة : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه  
الظمان ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله  
سريع الحساب » .

« وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب » .  
والحديث الشريف : « مثل الذى يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج  
الذى يضىء للناس ويحرق نفسه » .  
ويروى : « مثل الفتيلة تضىء للناس وتحرق نفسها » (٣) .

(١) المعنى - ٢ - ٦٥ . (٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة - ٥٠٧ .

(٣) أسرار البلاغة - ٩٤ .

وقولهم : « التعليم في الصفر ، كالنقش في الحجر ، والتعليم في الكبر ، كالنقش في الماء .

وكما يأتي في تشبيه المعقول بالمحسوس - كما مر - يأتي في تشبيه المحسوس بالمحسوس إن كان أحدهما أقوى في ظهور الحجّة ، ولكن هذا النوع أقل من سابقه .

مثاله قول شوقي :

وكم صيد بدا لك من ذليل      كما مالت من المصلوب عُنق  
وقول الشاعر القروي :

أبكي وأضحك للعذاب كمرضع      شد الوليد بشعرها المسترسل  
وقول بعض العصريين :

بسمات تحت الدموع كما افترت م      عن البرق مُرّة وطفاء  
وقد ذكر البلغاء العلة في استرواح النفس إلى هذا النوع من التشبيه ، وأشادوا بقيمته اليبانية في إسهاب عليه طابع علم النفس ، فقالوا : إن المعاني العقلية وإن كانت ثابتة مقطوعاً بها متيقنة ، خلا أن التمسك بالمحسوسات والتعويل عليها في المشابهة أولى وأحق ، لكونها تزيد قوة ومزيد إيضاح ، لما يحصل لها من الوثاقة واطمئنان النفس إليها ، وانشراح الصدر بها . وقد أشار الأصمعي إلى ذلك حين استقرضه صديق له من أخلص أصدقائه ، فقال : نعم وكرامة ! ولكن سكن قلبي برهن يساوي ضعف ما نلتهمسه .

فقال له : يا أبا سعيد ، أأنت واثق بي ؟

قال : بلى ! ولكن هذا خليل الله كان واثقاً بربه حين قال : « رب أرفني كيف تحيي الموتى ، قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي <sup>(١)</sup> » .

وبخاصة أن الأمور العقلية متأخرة في الحصول لدى النفس عن الإدراكات الحسية في الزمن ؛ لأن النفس في مبدأ الفطرة غالية من العلوم فلا جرم أن إلف النفس بالحسيات أتم من إلفها بالعقليات<sup>(١)</sup> ، فإذا ذكرت المعنى العقلي الجلي ثم عقبته بالتمثيل الحسي ، فكأنك نقلت النفس من المعنى الغريب إلى المعنى القريب .

ولو كان الرجل مثلاً على طرف نهر في وقت مخاطبة صاحبه وإخباره له : بأنه لا يحصل من سعيه على شيء ، فأدخل يده في الماء وقال : انظر هل حصل في كفي من الماء شيء ، فكذلك أنت في أمرك ، كان لذلك ضرب من التأثير زائد على القول ، والنطق بذلك دون الفعل .

ولو أن رجلاً أراد أن يضرب لك مثلاً في تنافي الشيتين ؛ فقال : هذا وذاك لا يجتمعان ، وأشار إلى ماء و نار حاضرين ، وجدت لتمثيله من التأثير ما لا تجده إذا أخبرك بالقول ، فقال : هل يجتمع الماء والنار ؟ أو تمثل بقول الشاعر :

ومكلف الأيام ضد طباعها      متطلب في الماء جذوة نار

وإنك قد تعبر عن المعنى بالعبارة التي تؤديه ، وتبالغ وتجتهد حتى لاتدع في النفوس منزعاً ، كقول حنيدج بن حنيدج المري :

في ليل صول تناهى العرض والطول      كأنما ليس له بالليل موصول

فلا تجد له من الأنس ما تجده لقول بشرمة بن الطفيل :

وبوم كظل الريح قصر طوله      دم الزرق عنا واصطفاق المزاهر<sup>(٢)</sup>

على أن عبارتك الأولى أشد وأقوى في المبالغة من هذا ، فظل الريح

(١) قال الجاحظ : ليس يريدون به الطول فقط ، ولكنهم يريدون مع الطول : أنه

ضيق غير واسع . الميراث - ٥ - ٥٥ .



على كل حال متناه تدرك العين نهايته ، وأنت قد أخبرت عن اليوم : كأنه لا آخر له .

وكذلك تقول : يوم كأقصر ما يتصور ، وكأنه ساعة ، وكلح البصر ، وكلا ولا ، فتجد هذا مع كونه تمثيلا لا يؤنسك إيناس قولهم : أيام كأباهم القطا<sup>(١)</sup> .

وقول جرير :

ويوم كأباهم القطاة عجب إلى هواه غالب لي باطله  
وقول ابن المعتز :

بُدت من يوم كظل حصاة ليلا كظل الرمح غير موات  
وقول آخر :

كانهم كئي غم الاضاحي إذا قاموا حسبهم قعودا  
وقول آخر :

ظللنا عند باب أبي نعيم يوم مثل سالفه الذباب  
وكذلك تقول : فلان إذا هم لم يزل عن ذكره وقلبه ، وقصر خواطره على إمضاء عزمه ولم يشغله شيء عنه ، فتحنط للمعنى بأبلغ ما يمكن ، ثم لا ترى في نفسك له هزة ولا تصادف لما تسمعه أريحية ، وإنما تسمع حديثا ساذجا وخبرا غفلا ، حتى إذا قلت :

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا  
امتلات نفسك سرورا وأدركتك طرية ، لا تملك دفعها عنك ، ولا تقل

---

(١) والشعراء يشبهون الشيء الصغير الصغير بإيهام القطا ، والحباري وأنظف العصفور .  
ثم أراد الفتاح بن العميد أن يتبدع عليهم في اللفظ والمعنى ، فكتب إلى أبي الحسين بن فارس رقعة  
مدرها : وصات رقعة الشيخ فكانت أسفر من أمل النمل .

ذاك لمكان الإيجاز فإنه وإن كان يوجب شيئا منه ، فليس الأصل له ، بل لأنه أراك العزم واقفا بين العيين ، وفتح إلى مكان المعقول من قلبك بابا من العين (١) .

ثم يجب ألا يغيب عنا أن اللغة آلة لنقل الفكر ، وهي من هذا القبيل عائق يعوق نقله مع أنها من ضرورياته .

ويظهر ذلك جليا من تصور الفرق بين نقل المعاني البسيطة بواسطة اللغة وبواسطة الأصوات والإشارات الطبيعية ، فإن المعنى المنقول إلى أذهانتنا بواسطة هذه الأخيرة أفعل جدآ بنا منه إذا ترجم إلى الالفاظ .

مثلا ضع إصبعك على أنفك وزم شفيتك قليلا إلى الأمام ، أو قل : لا تتكلم .

ثم تصور شدة الفرق في التأثير بين هذين التعبيرين .

ومثل هذا ، قولاك : لا أدري ، وإشارتك بهز كتفك مع رفع الشفة السفلى قليلا إلى الأعلى ، بحيث يظهر تضعض أطرافها ، بل ما من إشارة كلامية تساوى إشارة فتح العينين ، ورفع الحاجبين دلالة على التعجب (٢) .  
ولامر ما قالوا : رب إشارة أبلغ من عبارة ، ولسان الحال أفصح من لسان المقال .

وجعلوا للعيون لغة تعرب عن مكنونات النفس .

ومن ذلك قول بعض العصريين :

دعى عيونك تلقانا بلا حجب فـلـلـعـيـون مناجاة وأسرار

(١) أسرار البلاغة - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ .

(٢) نهاية الإيجاز - ٧٥ - مواهب المفتاح - ٣ - ٣٩٧ - الضرائر - ١ - ٣٥١ -

فلسفة البلاغة لجبر جومط - ١٤ .

وقوله :

هـ — هذه النظرة تنبئ منك عن سر دفين

هو — في ظني — حب حقق الله ظن — وفي

وكثيراً ما رأينا المعارك الدامية تتور بين الدهماء والأغفال ، لإشارة  
ياصبع ، أو غمزة بعين ، أو كسر حاجب ، أو إخراج لسان ، لأن ذلك  
يفعل في نفوسهم من تهييج الحفيظة ، وإلهاب الغيظ والحنق ما لا تفعله  
الشتائم الصريحة .

ومن هنا عظمت الحاجة إلى وسائل الإيضاح في المحاضرات العامة  
والندروس العلمية ؛ كالسينما والقانوس السحري والرسوم والصور والنماذج  
المجسمة وعمل التجارب ؛ لإدخال السرور على النفوس ، واسترعاء الانتباه ،  
وشرح الغامض ، وتجلية الخفي .

وما من شك في أن لهذه الأشياء أثر كبير في إدراك الحقائق ، وتحصيل  
المعارف ، وتثبيت المعلومات في النفس ، وصدق جورج ديهامل ، في قوله :  
ومن الممكن أن تكون للصورة في بعض الأحوال قدرة على العبارة تفوق  
أدق حيل التدليل العقلي ، وهي لا غنى عنها في بعض فروع العلم .<sup>(١)</sup>

ولهذا يرى ابن الأثير : أن هذا الضرب من أغراض التشبيه أبلغ من  
سابقه . بيان الحال وبيان المقدار ، لتمثيله المعاني الموهومة بالصور  
المشاهدة .<sup>(٢)</sup>

وينبغي أن يفتن إلى دقة الفرق بين ما جاء لتقرير حال المشبه ، وبين  
مقداره .

(١) دفاع عن الأدب — ٣٦ • ترجمة الدكتور مندور •

(٢) الثقل الثائر — ١٥٢ .



فما فيه بيان المقدار إن قصد من حيث التقرير ؛ لما فيه من قوة الظهور  
والتمام ، كان من التقرير .

وإن قصد من حيث مجرد فهم الكيفية ، كان من بيان المقدار .<sup>(١)</sup>  
مثلا قول الحسن بن وهب :

مداد مثل خافية الغراب وأقلام كرهفة الخراب

يصح أن ينظر فيه إلى مبلغ السواد ، والرهافة فقط ؛ فيكون لبيان  
مقدار الحال .

ويصح أن ينظر فيه إلى ما خلعه المشبه به على المشبه ؛ من تأكيد  
ووضوح فيكون للتقرير .

## الفصل السابع عشر

### ٤ - بيان إمكان المشبه

هذا الضرب داخل في بيان الحال ، والمقصود : بيان أن المشبه أمر جائز الوقوع على صفة مخصوصة .

وذلك في كل أمر غريب لا يظهر وجه إمكانه ، فيسهل أن يُمارى في صدقه ، وتدعى استحالة ؛ فيؤتى بالتشبيه دليلاً على إثباته ، بأن تلحق الحال الممتنعة بحال مسألة الإمكان لوقوعها ، كقول المتنبي :

وما أنا منهمو بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

فقد ادعى أنه أمة وحده ، وجنس آخر متميز من الناس ، لا يعد منهم في قليل ولا كثير ، وإن لا يسهم في عيشهم ، وشاركهم في حياتهم .

ولما كان من السهل أن يسه رأيه ويفند قوله ، ويرد عليه مدعاه ، لأن الناس يرونه رأى العين بشرأ سوياً كسائر الخلق ، ولأن من الأعاجيب أن يسمو بعض أفراد الجنس في مدارج السكال الخاصة به ، حتى يصير شيئاً لا تكاد تربطه رابطة بأصله الذي تفرع عنه ، احتاج أن يقيم على ذلك دليلاً لا يتأتى لإبطاله حتى يبرأ من مذمة الكذب ، ويخرج من نقبصة الإحالة والتهجم على الدعاوى القرينية من غير سلطان مبين .

وكان دليله أن الذهب النفيس يسكن جوف التراب ، ولكن العقول تسلم تسليماً مطلقاً بأنه يخالفه بخالفة تامة ، ولا يمت إليه بنسب ولا سبب . فالأمر — كما ترى — لا يعدو أن يكون قضية وردت في صدر البيت ،

يظهر بطلانها بادية النظر ، فيأتى التشبيه فى العجز برهاناً على صدقها ، وجواز وقوعها .

والفرق بين هذا الغرض وغيره من أغراض التشبيه : أن المشبه فيه يقابل بالإنكار ابتداء ، ويعد وجوده مستحيلاً .

أما فى غيره فلا يرد عليه الإنكار ، بل يقابل بالتسليم المحض .  
ومن أمثلته البارعة قول أبى تمام :

يا أيها الملك الثانى بغرته      وجوده لمرجى وجوده كذب  
ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا      إن السماء ترجى حين تحتجب  
وقول أبى فراس الحمدانى :

ولو سدغيرى ماسددت اكتفوا به      وما كان يغلو التبر لو نفق الصفر<sup>(١)</sup>  
وقول ابن الرومى — وقد مثل به السكاكى — :

قالوا أبو الصقر من شيان قلت لهم      كلا لعمري ولكن منه شيان  
كم من أب قد علا بآبى ذرا شرف      كما علت برسول الله عدنان  
وقول أبى الفتح البستي :

فالحر جر عز بـ النفس حيث ثوى      والشمس فى كل برج ذات أنوار  
وقول الحصرى :

أبا بكر إن أصبحت بعض ملوكهم      فإن اللبائى بعضها ليلة القدر  
وقول ابن مسعويه الخالدى :

لا يعجبك حسن القصر تنزله      فضيلة الشمس ليست فى منازلها  
وقول عبد الصمد بن بآبك :

تعاوس عنك الفاخرون فأحجموا      وخيل المالحى غير خيل المواكب

(١) قق : راج ، والصفر : النحاس الأصفر .



فإن زعم الأملك أنك منهم      نقرأ فإن الشمس بعض السكاك  
وقول ميار - بعد إسلامه يخاطب قومه - :

لئن كنت منكم فإن الهجين      يخرج في الفلوات النجيا (١)  
وقوله :

يُطربه البيت وهو يحزُّنه      ومن أنين الحمامة الطرب  
وقول صردُر :

إطراقه يُخشي ويُرهب صمته      والسيف محذور وإن لم يُشهر  
وقوله :

من الورى هولكن فاتهم كرما      كذلك الدر والحصياء أحجار  
وقول أبي الفتح البستي :

أبوك حوى العليا وأنت مبرز      عليه إذا نازعته قصب المجد  
وفي آخر معنى ليس للكرم مثله      وفي النار نور ليس يوجد في الزند  
وخير من القول المقدم - فاعترف -  
نتيجته والنحل يكرم للشهد  
وقوله :

أبوك ككرم غير أنك سابق      مداه بلا ضيم عليه ولا ذيم (٢)  
فلا يعجب الناس بما أقوله      وأقضى به فالغيث أندى من الغيم  
وقول البارودي :

فلا عجب إن لم يصرف منزل      فليس لعقبان الهواء وصور  
وقد كثر هذا النوع في شعر المتنبي ؛ لولوعه بالحكمة وضرب المثل ،  
وجريه وراء المعاني الدقيقة .

(١) الهجين : غير الأصل ، وأصله : من كان أبوه من العرب وأمه من العجم .

(٢) القديم : العيب . (٢) يصوره : يصفه .

ومن ذلك قوله :

ماكل ما يمتنى المرء يُدركه	تأنى الرياح بما لا تشتهي السفن
من ين يسهل الهوان عليه	ما لجرح بمت إيلام
ومن الخير بظم سيئك عني	أسرع السحب في المسير الجَهَام
لا تحسبوا من قتلتم كان ذارمق	فليس تأكل إلا الميتة الضَّبْع
لا يُعجبن مضميا حسن بزته	وهل تروق دفيناً جودة الكفن
إن السلاح جميع الناس تحمله	وليس كل ذوات المخلب السَّبع

وله البيت المشهور في مدح سيف الدولة من قصيدة يرنى بها والدته

— وهو من قلائده — :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

يريد أن يقول : إن الممدوح قد فاق الناس جميعاً بحيث لم يبق بينه وبينهم  
مشابهة بوجه ، بل صار أصلاً برأسه ، وجنساً بمفرده ، وهذا في الظاهر  
كالمستع ، لاستبعاد أن تتناهى بعض آحاد النوع في الفضائل الخاصة به إلى أن  
يصير كأنه ليس منها ، فاحتج لهذه الدعوى وبين إمكانها : بأن شبه حاله  
بحال المسك الذي هو من الدماء ، ثم لا يعد منها لما فيه من الأوصاف التي  
لا توجد في الدم <sup>(١)</sup> .

وهذا معنى قد اخترعه المتنبي <sup>(٢)</sup> ، وكرره في تفضيل البعض على الكل  
فأحسن غاية الإحسان حيث قال :

فإن يك سيَّارُ بن مُكرَّم انقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد

(١) نهاية الإيجاز — ٧٤

(٢) يتيمة الدهر للتمالي — ١ — ١٠٨

وقال :

وإن تكني تغلب العلباء عنصرها فإن في اختر معنى ليس في العنب<sup>(١)</sup>  
غير أن ابن وكيع يقول : لا أعرفه منظوما<sup>(٢)</sup> لكن وجدته في مشور ؛  
وهو أنه قيل : الناس يتفاضلون تفاضل الدماء ؛ فمنها مسك يباع ، وعلق  
بضاع<sup>(٣)</sup> .

وعلى ذلك لا يكون المعنى من اختراع المتنبي .

وقبل بيت المتنبي السابق :

فإن تفق الأنام وأنت منهم . . . . .

قوله يخاطب به سيف الدولة :

وأبتك في الذين أرى ملوكا كأنك مستقيم في محال  
وروى أن بعض من حضر مجلس سيف الدولة اعترض على المتنبي  
في قوله : « مستقيم في محال » : بأن المستقيم لا يضاد المحال ، وإنما يضاد  
المعوج .

فقال له سيف الدولة : هب أن القصيدة جيمية فما كنت تصنع

بالبيت الثاني ؟

فقال المعترض :

فإن البيض بعض دم الدجاج

فقال سيف الدولة ارتجالا : حسن ! إلا أنه يصلح أن يباع في سوق

الطير ، لا أن يمدح به الملوك<sup>(٤)</sup> .

(١) تغلب : قبيلة سيف الدولة والضمير في عنصرها لأخته التي يرثيها المتنبي .

(٢) يريد معنى قول المتنبي :

فإن تفق الأنام . . . . .

(٣) العلق : يفتح العين أو اللام : الدم طامة أو الشديد الحرارة أو الغليظ أو الجامد .

(٤) عروس الأفراح - ٣ - ٢٩٦



وقد أعجب الشعراء ببيت المتنبي كل الإعجاب فأخذوه على جهة التضمين .

فمن ذلك قول السراج الوراق :

وأصيدُ ظلٌّ بذرك يوم صيد      طرائدهُ بجُرد كالسـُـعالى  
فإن عقيقت لنا يمناه مسكا      فإن المسك بعض دم الغزال  
وقول الشهاب بن بنت الأعز :

وقالوا بالعدار تسلّ عنه      وما أنا عن غزال الحسن سالى  
وإن أبدى لنا خداه مسكا      فإن المسك بعض دم الغزال  
وأخذ أبو بكر الخوارزمي معنى البيت :

فإن تفق الأناام وأنت منهم . . . .

ومعنى البيت الآخر :

وما أنا منهم بالعيش فيهم . . . .

فقال :

فديتك ما بدا لي قصد حُرٍّ      سواك من الورى إلا بدالى<sup>(١)</sup>  
وإنك منهم وكذلك أيضا      من الماء الفرائد والآلى  
وتسكن دارهم وكذلك سُكنى م الحجاره والزمرد فى الجبال  
والفرق بين صياغة الشعرين كالفرق بين شاعرية المتنبي والخوارزمي .  
وأشار شوقي إلى البيت الأول إشارة بارعة فى قوله من قصيدة يمجدها  
استقلال سوريا :

رسول الصابرين ألم<sup>٢</sup> وهنا      وبلغنى التحية والسؤال

(١) بدالى الثانية معناها : ندم . هكذا يستعمل كثيراً بدون فاعل ، وكذا يقال فيمن تغير رأيه وفاعله ضمير المصدر الذى فى ضمته ، لأنهم قد صرحوا به ، قال فى المجلد : يقال : بداله فى هذا الأمر بداء : أى تغير رأيه عما كان عليه .

دنا منى فناوانى كتابا أحست راحتى له جللا  
وجدت دم الأسود عليه مسكا وكان الأصل فى المسك الغزالا  
والتشبيه الموق لبيان الإمكان : تشبيه ضمنى مكنى عنه كما جاء فى  
المطول ؛ لأنه لم يذكر صراحة بل كناية بذكر لازم التشبيه وهو وجه  
الشبه - أى فوقانه الأصل - وإرادة الملزوم وهو التشبيه .  
فكأنه شبه هذه الحال - وهى فوقانه جميع الأنام - بحال المسك  
وفوقانه سائر الدماء ، والجامع فوقان فى كل منهما .  
ولا يخفى ما فى ذلك من التكلف .

وقد ذكر بعض البلغاء تعليقا على قول المطول : ، ويسمى هذا التشبيه  
ضمنيا ومكنيا عنه ، : أى إنه إنما سمى ضمنيا لأنه يفهم من الكلام ضمنا ،  
وسمى مكنيا عنه لأنه خفى ومستتر .  
وهذا التعليل أحسن من سابقه (١) .

ومهما يكن فهو تشبيه لا يرد على صور التشبيهات المعروفة غالبا (٢) ، بل  
يلحظ فى تضاعيف الكلام ، وفيه يقع المشبه به دائما دليلا على إمكان المشبه .  
وإنما قلنا غالبا لأنه قد يأتى على صورة التصريح كما أشار إليه النعالي  
فى قول المتنبي المتقدم :

فإن يك سيار بن مكرم انقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد  
وكذا فى قول خلف بن عبد العزيز النحوى :  
ما أنت بعض الناس إلا مثلى بعض الحصى الباقوة الحمراء  
وهو الشبه فى الأغراض الأربعة :

يرى الخطيب : أن هذه الأغراض الأربعة المتقدمة ، تقتضى أن يكون  
وجه الشبه فى المشبه به أتم : أى أوفى وأقوى وأكمل وأحكم .

وأن يكون المشبه به بوجه الشبه أشهر: أى أعرف وأسير، وذلك عند المخاطب بالنشبيه وإن لم يكن أشهر في الواقع، لأن الأمر - كما قال الفخرى - بحسب الرسوم والعادات، فقلنا يوجد وصف لأمر يعم اشتغاره عند كل الناس<sup>(١)</sup>.

وسر اقتضاء أشهرية المشبه به بوجه الشبه جلي واضح.  
ذلك أن المشبه به كالمبين المعروف للشبه، فيجب أن يكون أوضح لأن التعريف يكون بالأوضح؛ حتى يتحقق الغرض منه وهو الكشف والبيان. ولو لم يكن كذلك للزم أن يكون في التشبيه تعريف مجهول بمجهول، وهو يناقض حقيقة البلاغة.  
ولهذا ضعف قول البحرى:

على باب قنسرين والليل لا طخ جوانبه من ظلمة بمداد  
فإنه رب مداد فاقد اللون، والليل بالسواد وشده أحمق وأحرى.  
ولهذا قال ابن الرومى:

حبر أبى حفص لعاب الليل بسيل للإخوان أى سبيل  
فبالغ في وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل<sup>(٢)</sup>.  
ويقول العسكرى: إن البحرى أخذ بيته المتقدم من قول ذى الرمة،  
- وقصر في الأخذ -:

ودوية مثل السماء عسفتها وقد صبغ الليل الحصى بسواد<sup>(٣)</sup>  
وليس البيت عنده على السكة المختارة.

ويقول في قوله: «لا طخ جوانبه من ظلمة بمداد»: من بعيد الاستعارة<sup>(٤)</sup>.

(١) حاشية الدسوقي - ٣ - ٢٩٣ (٢) الإيضاح - ١٢٠

(٣) ديوان المعاني - ١ - ٣٤٤ (٤) دوية: الفلاة الواسعة.

(٥) الحق أن البيت تشبيه لا استعارة لذكر الطرفين فيه، والتقدير: لا طخ جوانبه بمداد من ظلمة.



ويقول الحصري<sup>(١)</sup> : إن الأصل في هذا قول أعرابي :

والليل قد صبغ الحصى بمداد

وقد أخذه أبو نواس أيضاً فقال :

قد اغتدى والليل كالمداد والنصح ينفيه عن البلاد

طرد المشيب حالك السواد

ويظهر من توافر عدة شعراء على تشبيه الليل بالمداد ، أنه تشبيه صائب وأنه لا معنى لنقده ، فربما كان الخبر في عهدهم شديد الحلوكة أكثر من الليل ، بحيث يمكن أن يعتبر أصلاً له .

وقد رأينا الميكالي يتابعهم على ذلك في وصفه للشمعة فيقول :

وليل كالون الهجر أو ظلة الحجر نصبت لراعيه عموداً من الثبر

يشق جلاليب الدجى فكأنما بدا بين أيدينا عمود من الفجر

ومن الصعب أن نعتقد أن هؤلاء الشعراء جميعهم قد وقعوا في الخطأ تقليداً للسابق .

وكذلك عابوا - للسبب المتقدم - قول ابن قلاقس :

أما ترى الصبح يخفى في دجنته كأنما هو سقط بين أحشاء

فإن بهجة الصبح في أواخر الليل أبهج من السقط بين الأحشاء ، والمشبه أعلى وأعلى من المشبه به<sup>(٢)</sup> .

ورأني أيضاً : أن هذا التشبيه غير معيب إذ المراد منه مطلق الاستتار وحده ، لا إرادة شيء آخر كالبهجة والإشراق ، فهو يعني أن الصبح جنين لما تتمخض عنه الظلماء كالسقط في غيابة الرحم .

وفي معناه يقول السري الرفاء :

قد اغتدى نشوان من نحر الكرى أحب بردى على برد الثرى

والصبح حمل بين أحشاء الدجى

(٢) خزائن الأدب لاجموى - ٢٢٥

(١) زهر الآداب - ٣ - ١٨ - ١٩

وبديهى أن اعتراضنا على الشعور الذى مثلوا به ، لا على القاعدة المتعلقة  
« بالآتمية » ، والأعرفية ، فى وجه الشبه بالنسبة للشبه به .

ويرى بعضهم : أن تقرير المشبه فقط هو الذى يقتضى ذلك ، لأن  
المراد تمكين ذلك الوجه فى النفس وتقريره عندها حتى نطمئن إليه ، وثبتت  
عليه ، وتدفع ما يساورها من الأوهام والوساوس والشكوك بشأن الفائدة  
الحاصلة منه .

فالآتم والأشهر أمكن عند النفس من غيره لإلغاله وميلها إليه ، وعدم  
إمكان دفعه بالوهم والنساهل والغفلة ، فالتشبيه بالوجه الذى يكون كذلك  
أجدر وأحق بالزيادة التى هى تقرير المقصود .

وأما ما عده فلا يقتضى الآتمية وبخاصة بيان المقدار ، لأن المخاطب  
قد عرف الحال فى المشبه ، وهو طالب أو كالمطالب لمقدار تلك الحال ، فلا  
بد أن يكون الوجه الذى هو الحال المطلوب مقدارها فى المشبه به على قدره  
فى المشبه من غير زيادة ولا نقصان ، وإلا لزم الكذب والخلل فى الكلام<sup>(١)</sup> .  
والتحقيق عند التفاتنا : أن بيان الإمكان والحال لا يقتضيان إلا  
« الأشهرية » فقط ليصح القياس والاحتجاج فى الأول ، ويعلم الحال فى  
الثانى .

ومعنى ذلك : أن بيان المقدار والتقرير يقتضيان « الآتمية » فوق  
« الأشهرية » .

وهذا مشكل بالنسبة إلى بيان المقدار ، فقد تقرر — كما تقدم — أن  
تحقق الآتمية فيه يورثه الخلل<sup>(٢)</sup> .

(١) مواهب الفتاح — ٣ — ٤٠١

(٢) انظر شروح التلخيص — ٣ — ٤٠٠

## الفصل الثامن عشر

### ٥ - تحسين المشبه أو تقييده

وذلك للترغيب فيه أو للتفجير منه .  
والطريق إلى هذا : ربطه بمشبه به حسن أو قبيح ، ففسرى إليه صفات  
الحسن أو القبح ؛ فتميل إليه النفوس أو تميل عنه عملاً بالقاعدة المقررة في  
الجبالات ، وهي أن ما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر ، تحت تأثير  
البيان وخلافة مصداق لقول ابن الرومي :

في زُخرف القول ترويح لباطله      والحق قد يعتريه سوء تعبير  
تقول هذا نجاج النحل تمدحه      وإن دُمّت فقل في الزناير  
مدحا وذا وما جاوزت وصفهما      حسن البيان يرى الظلماء كالنور  
ولله ابن سكرة الهاشمي حيث يقول :

والشعر نار بلا دخان      وللقوافي رُقَى لطيفة  
لو هُجِيَ المسك وهو أهل      لكل مدح لصار جيفة  
كم من معلى المقام سام      هوت به أحرف خفيفة

التحسين :

ويمكن تقسيم التحسين إلى ثلاثة أقسام :

١ - تحسين شيء حسن قصد المبالغة في وصفه ، كقول البارودي  
يصف مكاناً خصيباً :

فترابه نفس العبير ونبتة      سرق الحرير وماؤه فلق الضحا



وقول ابن المنير في الرفسة :

عَلِقَ الْفَوَادُ بِرَفْسَةٍ شَبَّهَهَا      بِحُزْنٍ مَا بَيْنَ بَحْرِ يَزْخَرُ  
الزبد بحر والفطير حبابه      والشهد موج والجبال السكر<sup>(١)</sup>  
٢ — تحسین شیء مختلف فيه أهواء النفوس كسواد النساء وطولهن ،  
فإن بعض الناس يتعشقه ، أو لا ينفر منه على الأقل ، وكالشقرة والبدانة إلى  
غير ذلك مما يعسر أن تجتمع عليه الطباع والأمزجة والأذواق .  
فمن ذلك قول بن رشيق في سوداء :

دعابك الحسن فاستجبي      يا مسك في صبغة وطيب  
تهي على البيض واستطلي      تيه شباب على مشيب  
ولا يرعك اسوداد لون      كمقلة الشادن الريب  
فإنما النور عن سواد      في أعين الناس والقلوب  
وقد أخذه ابن قلاقس فقال :  
رب سوداء وهي بيضاء معني      نafs المسك في اسمها الكافور  
مثل حب العيون يحسبه النا      س سوداء وإنما هو نور  
كما أخذه السيد توفيق البكري في وصف باريس ، فقال : يقبل المرم  
على باريس فإذا حدائق وقصور ، وليل كسواد العين كله نور .  
وكقول الزركشي في دنائير البرمكية .

أشبهك المسك وأشبهته      قائمة في لونه قاعده  
لا شك إذ لونكما واحد      أنكما من طينة واحده  
وقد أخذه ابن الرومي وأضاف إليه أشياء أخرى توسعاً واقتداراً ،

(١) الرفيس : طعام نفيس ويسمى رفسة ، وهو من لباب الير والزبد الطرى والسكر  
والفسق والزعفران وماء الورد والمسك . شفاء القليل — ٩٥

فقال :

يُذكر المسك والغوالي والسك م ذوات النسيم والعبق<sup>(١)</sup>  
فزاد على جميع من تعاطى مدح السواد ، لأن الأبيض الشديد البياض  
معيب<sup>(٢)</sup> وقد دل عليه بقوله :

وبعض ما فضل السواد به      والحق ذو سلم وذو نفق  
ألا يعيب السواد حلكته      وقد يعاب البياض بالبهق<sup>(٣)</sup>  
ثم يقول :

ليست من العُسس الأكف ولا م الفلح الشفاه الخبائث العرق  
فوصفها بالكمال في الصفة ، لأن من عيب السودان : أن أكفهم غابسة  
متشققة ، وأطرافهم ليست بناعمة لينة ، وكذلك لا يزال الفلح في شفاههم  
وهو الشقوق المذمومة الموجودة في أوساط الشفاه :  
وأيضاً فإن الأسود يهجي بخبث العرق ، فنفي هذه الصفات المذمومة  
في أكثر السود عنها ، ثم عاج بخاطره على وصف هذه السوداء بأضداد تلك  
الصفات المذمومة فقال :

في لين سمورة تخيرها الفراء م أولين جيد الدلق<sup>(٤)</sup>  
ثم قال :

أكسبها الحب أنها صُبغت صبغة حب القلوب والحدق  
فانصرفت نحوها الضمائر والأبصار م يُعشق أيماء عنق<sup>(٥)</sup>  
فأبدع في مدح السواد ، وأخير أن القلوب إنما أحبتها بالمجانسة التي  
بينها وبين حب القلوب وبين الأحداق من السواد .

(١) السك : نوع من الطيب متعب في صنعه . انظر القاموس .

(٢) في زهر الآداب — ١ — ٢٧٦ : أنها لأن يفسد الشطر نحى .

(٣) والحق ذو سلم إلح : يريد أن الحق يصرف في جهات ، وضرب الصمود والتزول مثلاً لذلك .

(٤) الدلق : دوية كالسور . (٥) العنق : نوع من سحر الإبل .

( م ١٥ — فن النشيبه )

ثم يقول بعد هذه المقدمة البليغة :

يفتر ذاك السواد عن يَفْق من ثمرها كاللآلئ الفلق  
كانها والمزاح يُضحكها ليل تفرى دجاء عن فلق<sup>(١)</sup>  
وقول انصابي :

لك وجه كأن ينسأ خطته م بلفظ تَمَلَّه آمالي  
فيه معنى من الدور ولكن نفضت صبغها عليه الميالي  
وقول ابن برد الأصغر :

إن أزهرت ليلاً نجوم السما بيضاً على أسود ممرخي الإزار  
وأوجد العكس مثالا لها فالسود في الأرض نجوم النهار  
وقول المتنبي في كافور :

لجاءت بنا إنسان عين زمانه وخلت بياضاً خلفها وماقيا  
وقد أخذه من قول الجاحظ :  
وإن سواد العين في العين نورها وما لبياض العين نور فيعينا  
ويقول البهاء زهير في سمراء طويلة :

وسمراء تحكى الريح لونا وقامة لها مهجى مبدولة وقيادي  
لقد عابها الواشي يقال طويلة مقال حسود مظهر لعناد  
فقلت له بشرت بالخير إنها حياي وإن طالت فذاك مرادى  
وما عابها القد الطويل وإنه لأول حسن لليلحة بادي  
رأيت الحصون الشم تحرس أهلها فأعدتها حصناً لحفظ ودادي  
ويقول سلم الخاسر في صفراء :

تبدت فقلت الشمس عند طلوعها بوجه غنى اللون عن أثر الورس<sup>(٢)</sup>

(٢) الورس : ثبات كالسمرة يثبت بالعين فقط .

(١) تفرى : انشق .



فقلت لأصحابي وفي مثل ما بهم على مرية ما ههنا مطلع الشمس  
وقال مسعود الأصفهاني من شعراء الخريدة :

وقينه قال لها ناقص كملت لولا صُفرة الحسن

قلت اتد قالشمس مصفرة وهي صلاح الأرض في الكون

وفي الصُفرة يقول ابن حزم<sup>(١)</sup> : إني أحبت في صباي جارية لي شقراء

الشعر فما استحسنت من ذلك الوقت سواد الشعر ولو أنه على الشمس ،

أو على صورة الحسن نفسه .

وفي ذلك يقول :

يعيونها عندي بشقرة لونها فقلت لهم هذا الذي زانها عندي

يعيون لون النور والنهر ضلة رأى جهول في الغواية بمد

وهل غاب لون النرجس الغض عائب ولون النجوم الزاهرات على البعد

وأبعد خلق الله من كل حكمة مفضل جرم فاحم اللون مسود

بها وحضت ألوان أهل جهنم ولبسة بالك مُشكل الأهل تحت

ومذ لاحت الرايات سوداً تيقنت نفوس الوري الأسيل إلى الرشـد<sup>(٢)</sup>

ومن طرائف هذا النوع<sup>(٣)</sup> : أنه تحاكم إلى أبي أيوب سليمان البطليوسي

المعروف بالملتس فتان جميلتان ؛ أيهما أحسن ؟

وكانت لإحدهما لمة شقراء ، والأخرى لمة سوداء فقال :

وشادنين ألما في على بمقة تنازعا الحسن في غايات مستبق

كأن لمة ذا من نرجس خلقت على بهار وذا مسك على ورق

وحكما الصب في التفضيل بينهما ولم يخافا عليه رشوة الحدق

(١) فوق الحامة - ٢٧

(٢) الرايات السود : شعار بني العباس ، وكان ابن حزم أندلسيا فهو مع الأندلسيين .

(٣) فتح القليب - ٢ - ١٩٠

فقام يدي إليه الريم حجة  
فقال وجهي بدر يستضاء به  
فقلت صاحبة اللثة الشقراء أحضت : ولكن استمع لمقالى :

أنا على أفق شمس النهار ولم  
وفضل ما عيب في عيني من ذرق  
قضيت لثة الشقراء حيث حكمت  
فقام ذو اللثة السوداء يرشقني  
وقال جرت فقلت الجور منك على  
وقلت عفوك إذ أصبحت منهما  
تغرب وحرمة شعري حرمة الشفق  
أن الأسنة قد تُعزى إلى الزرق  
لوني كذا حبها يقضى على رمي  
سهام أجفانه من شدة الحنق  
قلبي ولي شاهد من دمعي الغدق  
فقال دونك هذا الحبل فاختنق

٣ — تحسين مالا ربية في قبجه أو كراهة النفوس له ، كقول دعبل  
في الشيب :

أهلا وسهلا بالشيب فإنه  
وكان شبي نظم در زاهر  
وقول علي بن الجهم حين حبسه المتوكل :

قالوا حبست فقلت ليس بضائري  
أو ما رأيت الميث بألف غيلة  
والنار في أحجارها مخبوءة  
بيت يحدد للكرام كرامة  
والشمس لولا أنها محبوبة  
وقول أبي الأسود الدؤلي في عجوز :

يلوموني في أم عمرو وحبها  
عجوزاً ومن يعشق عجوزاً يفند

كبرد التيماني قد تقادم عهده      ورُقعته ما شئت في العين واليد  
 وقول أبي تمام في صفرة المرض :  
 معدن الحسن والملاحة قد أصبح م      للمقيم معدنا وقرارا  
 لم تشن وجهه الجميل ولكن      جعلت ورد وجنتيه بهارا<sup>(١)</sup>  
 وقول البحتري :  
 بدت صفرة في وجهه إن حدهم      من الدرما اصفرت نواحيه في العقد  
 وقول أحمد بن إسحاق الطالقاني :  
 لقد حلت الخي بساحة حده      فأبدلت التفاح بالسوسن الغض<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

وقول ابن الأنباري في ابن بركة الوزير ، وقد صلبه عضد الدولة بن بويه :<sup>(٣)</sup>  
 علو في الحياة وفي الممات      لحق أنت إحدى المعجزات  
 كأن الناس حولك حين قاموا      وفود نذاك أيام الصلات  
 كأنك قائم فيهم خطيباً      وكلهم قيام للصلاة  
 مددت يديك نحوهم احتفاء      كدهما إليهم بالهبات  
 ولما ضاق بطن الأرض عن      يضم علاك من بعد الممات  
 أصاروا الجو قورك واستعاضوا      عن الأكفان ثوب السافيات<sup>(٤)</sup>  
 لعظمك في النفوس تبيت نرعى      بحراس وحفاظ ثقات  
 وتُشعل عندك النيران ليلا      كذلك كنت أيام الحياة

\*\*\*

(١) البهار : زهر أحمر من أزهار البادية .

(٢) السوسن : بالفتح والضم زهر أبيض .

(٣) قيل : إن عضد الدولة تمني أن يكون المصلوب وأنه قبلت فيه هذه القصيدة .

(٤) السافيات : الرياح .



وقول زين الدين بن الوردى فى أعور :

بأبى أعور عين فائن      مثل بدر أثم والبدر بعين (١)  
طرفه الواحد غضب ذكر      فله فى الحسن حظ الاثنين  
وقول البهاء زهير فى عمياء :

قالوا نعشقتها عيا فقلت لهم      ما شأنها ذاك فى عيني ولا قدحا  
إن يجرح السيف مسلولا فلا عجب      وإنما عجبى من مُغمد جرحا  
وقول ابن سناء الملك فى مثلها :

شمس بغير الشمس لم تحتجب      وفى سوى العينين لم تكسف  
مغمدة المرهف لـكـها      تجرح بالجفن بلا مرهف  
رأيت منها الجيد فى جودر      ومقلات يعقوب فى يوسف (٢)

وقد أساء ابن سناء الملك فى بيته الأخير ، فإن يعقوب - عليه السلام -  
لم يكف بصره وإنما ابيضت عيناه من الحزن فلما رأى يوسف ارتد بصيراً !  
وقول شاعر فى رمد بعض الأمراء :

قضب الهند والقنا أخذانك      والمقادير فى الورى أعوانك  
أبها ذا الأمير ما رمدت عينك      حاشا لها ولا أجفانك  
بل حكمت فعلك الكريم ليضحي      شأنها فى العلا سواء وشانك  
فهي تحمر مثل سيفك فى الروى      ع وتصفو كما صفا إحسانك  
وقول البهاء زهير فى أرمد :

حيبى عنه قالوا تشكت      وذلك - لو دروا - عين المحال  
أشكو عنه ألما وفيها      يقال أصح من عين الغزال  
ولكن أشبهت لون الحيا      كما قد أشبهتها فى الفعـال (٣)

(١) يزعم العامة : أن البدر بعين واحدة كما يظنون . (٢) الحيا : الجمرة .

وقول سيف الدين المشد :

وشادن همت فيه وجدا لما غدت مقلناه رُمدًا  
لم ينقص حسنه ولكن رُجس عفيه صار وردًا

ooo

وقول الأسعد بن بليطة على اسان مجدر :

من رأى الورد تحت قطر نداه لم يعب فوق وجنتي جُدرًا  
أنا شمس أردت في الأرض مشيا فنثرت النجوم حليا عليًا  
وقول ابن عبدوس القرطبي :

أكثر الحاسدون فيك فقالوا جُدرى بدا على وجنتيه  
ويحهم ما درونا بأنك ورد نثر الجوهر النفيس عليه  
وقول أبي زيد القاضي :

عابه الحاسد الذي لام فيه أن رأى فوق خده جُدرًا  
إنما شبهه هلال تمام جعلوا برفعا عليه الثريا  
وقول أبي الهيثم في أجرب :

قالوا به جرب فقلت لهم قفوا تلك الندوب موافع الأبصار  
هو روضة والقدر غصن ناعم أرأيتم غصنا بلا نوار  
ويقول البزاز الأندلسي في قصر الشعر :

وقالوا قصير شعر من قد هويته فقلت دعوني لا أرى منه مخلصا  
يحياه شمس قد علت غصن قدّه فلا عجب للظل أن يتقلّصا  
ويقول البحري في ابن المدبر - وقد ضربه الزنج بالآهواضربة في وجهه - :

ووجه ضبان البشر فيه موقّف على النجح والحاجات ترى عجائها  
به من صفيح الهند وشم تبينه صحيفة وضاح بروق جمائها  
متى ربدتها عزة أو حفيظة أعيد إليها بالسؤال صيغها

متى ترها يوما عليها دليلها      تعجبت من شمس عليها هلالها

### النقيح أو النسوة .

١ — فمن تقيح القبيح مبالغة في الذم قول كشاجم في كبر الأنف :  
لقد مر عبد الله في السوق راكبا      له حاجب من أنفه وهو مطرق  
رعبت له من جانب السوق مخطة      توهمت أن السوق منها سيفرق  
فأقذر به أنفا وأقذر بربه      على وجهه منه كنيف معلق  
وقول الخالدي في رجل أبخر خلق سباله <sup>(١)</sup> بعد أن أطاله :

حلفت سبالك جهلا بما      يوارى من السكرات القباح  
فعدبت صبحك حتى المساء      وعدبت عرسك حتى الصباح <sup>(٢)</sup>  
وقول الناجم في قينة قبيحة الصوت والخلقة :

وقينة شتمها قنوت      أحسن أصواتها السكوت  
مفقودة الكل غير بطن      مثقل فهي عنكبوت  
٢ — تقيح ما يختلف فيه الأهواء والأمزجة ، كزغب السيقان :  
فقد قال فيه ابن شرف القيرواني :

و د بلقيسية ، زينت بشعر      يسير مثلها يهب الشحيح <sup>(٣)</sup>  
رفيق في خدجلة رداح      خفيف مثل جسم فيه روح <sup>(٤)</sup>  
حكى زغب الخدود وكل خد      به زغب فم عشوق ملبح  
فإن بك صرح بلقيس زجاجا      فمن حدق العيون لها صروح

(١) السبال : مقدم شعر اللعبة جمع سيلة يفتح الباء .

(٢) العرس بالسكير : الزوجة .

(٣) نسبة إلى بلقيس زوج سليمان — عليه السلام .

(٤) الخدجلة : المتكئة الضخمة ؛ والرداح : العظيمة الأوراك .



وقال فيه ابن رشيق :

يعيون بلقيسية أن رأوا لها كما قدر أي من تلك من نصب الصرحا  
وقد زادها الزغيب ملحا كثلها يزيد حدود الغيد نزغيبها ملحا<sup>(١)</sup>  
والسبب في إنشاء هذه الأبيات المتقدمة : أن المعز بن باديس الصنهاجي خلا  
بابن شرف وبابن رشيق يوما فقال لهما : أريد أن تصنعا شعرا تمدحان به الشعر  
الرفيق الخفيف الذي يكون على سوق بعض الناس فإني أستحسنه ، وقد  
عاب بعض الضرائر به بعضاً وكلهن قارئات كاتبات ، فأحب أن أريهن هذا  
وأدعي أنه قديم لأحتج به على من عابه ، وأوسى من عيب عليه .

وقد نقد المعز على ابن رشيق قوله : « يعيونها » وقال : أوجدت  
لخصمها حجة بأن بعض الناس قد عابه<sup>(٢)</sup> .

وقد جاء مدحه في وصف عصام الكندية للمحارث بن عمرو ملك كندة ؛  
أم إياس بنت عوف بن محم الشيباني : تحتها ساقان خدلجتان كالبردي وشيتا  
بشعر أسود كأنه حلق الزرد ...

٣ — تقييح ما تواطأ الناس على استحسنائه ، كقول ابن سناء الملك  
في الشمس :

لا كانت الشمس فكم أصدأت	صفحة خد كالخسام الصقيل
وكم وكم صدت بوادي الكرى	طيف خيال جاءني عن خليل
وأعدمتني من نجوم الدجى	ومنه روضاً بين ظل ظليل
تكذب في الوعد وبرهانه	أن سراب القفر منها سليل
وهي إذا أبصرها مبصر	حديد طرف راح عنها كليل
يا علة المهموم يا جلدة المحموم م	يا زفرة صب نحيـل
يا قرحة المشرق عند الضحا	وسلحة المغرب عند الأصيل

(١) اللامع : الملاحه . (٢) رسائل البلغاء : جمع الأستاذ كرد علي - ٢٢٤

أنت عجوز لم تهرجت لي      وقد بدا منك لعاب يسيل ؟  
 وقول ابن الرومي في ذم القمر :  
 رب عرض منزله عن قبيح      دنسته معرضات الهجاء  
 لو أراد الأديب أن يهجو البدر      ر رماه بالخطاة الشعاء  
 قال يا بدر أنت تغدر بالساء      رى وتزرى بزورة الحسناء  
 كلف في شحوب وجهك يحكى      نُسكتا فوق وجنة برصاء  
 بعثيك المحاق ثم يخلبك م      شبيه القلامة الحجاء (١)  
 ويليك النقصان في آخر الشهر م      فيمحوك من أديم السماء  
 فإذا البدر نيل بالهجو هل يأ      من ذو الفضل ألسن الشعراء  
 لا لأجل المديح بل خيفة الهجو م      أخذنا جوائز الخلفاء  
 وقال فيه ابن المعتز :

يا سارق الأنوار من شمس الضحى      يا مثلى طيب الكرى ومنقضى  
 أما ضياء الشمس فبك فناقص      وأرى حرارة نارها لم تنقص  
 لم يظفر التشبيه منك بطائل      متسلخ بهقا كاون الأبرص  
 وقول ابن الرومي في ذم الورد :  
 يا مادح الورد لا تنفك عن غلط      ألسنت تنظره في كف منتقطة  
 كأنه سرم بغل حين يخرج      عند البراز وباقي الروث في وسطه  
 ويقول في ذلك الحموى : الظاهر أنه كان جُعليا ، وإلا فثله لا يخالف  
 الإجماع ويبالغ في مثل هذه المغامرة ، ولعمري إنه في بابه من التشايب البليغة  
 مع نفور الطباع من صنعته (٢) :

يريد بقوله : « جعل » أن يجعل يتأذى برائحة الورد .

وفي ذلك يقول المتنبي :

بذى الغباوة من إنشادها ضرر      كما تُضر رباح الورد بالجعل

وقد رد عليه ابن المعمر بقوله :

يا هاجي الورد لاحت من رجل      غلظت والمر قد يؤتى على غلظه  
هل تنبت الأرض شيئاً من أزهارها      إذا تحلت بمحاكي الوشي في نمطه  
أحلى وأشهر من ورد له أرج      كأنما المسك مذور على وسطه  
كأنه نحد حي حين ملكني      وصاله بعد طول الهجر من سخطه<sup>(١)</sup>

وقول أبي العلاء السروري في ذم الزجاجس ، وتشبيه أعلاه بأسفله :

كراتية ركب عليها      صفرة بيض على رقاقة

ويظهر أنه اقتدى بأبي الرومي وبثت القدوة !

وقول أبي حيان في ذم البيض ومدح السود :

لنا غرام شديد في هوى السود      نختارهن على بيض الطلى الخيد<sup>(٢)</sup>  
لون به أشرقت أنوارنا وحكي      في اللون والعرف نفح المسك والعود  
لا تهو بيضاء لون الجص واسم إلى      سوداء حسناء لون الأعين السود

ثم عاد ففند رأيه بقوله :

إذا مال للفتى للسود يوما      فلا رأى لديه ولا رشاد

(١) أحدثنا في البيت بعض التغيير تفاديا من كنية شائبة . انظر الأمل في نهاية الأرب -

١٩٢-١١ (٢) الراتة : ما يخرج من بطن الدابة .

(٣) الطلى : الأعنان حم طليه بالضم .



أتهوى خنفساء كأن زفتا      كسا جلدأ لها وهو السواد  
وما السوداء إلا قدر قرن      وكانون وخصم أو مداد  
وما البيضاء إلا الشمس لاحت      تنير العين منها والفؤاد  
وجوه المؤمنين لها ايضاض      ووجه الكافرين به اسوداد  
وقول ابن شرف القيرواني في التين :  
لا مرجأ بالتين لما أتى      يسحب كالليل عليه وشاح  
مزعج الجلباب يحسكي لنا      هامة زنجى عليها جراح  
والأمثال على ذلك كثيرة :

## الفصل التاسع عشر

### التلطف

تحسين القبيح وتقييح الحسن : نوع معروف في البديع سماه العسكري :  
التلطف .

وهو أن تلطف بالمعنى الحسن حتى تهجته والمعنى الهجين حتى تحسنه .  
وهو القياس الشعري المذكور في المنطق ، وقد ورد كثيراً في كلام  
العرب .

فمن الأول قول الفرار السلي في تحسين الفرار :

وكتيبة لبسها بكتيبة حتى إذا التبتت نفضت لها يدي

فتركهم تقص الرماح ظهورهم من بين منجدل وآخر مسند<sup>(١)</sup>

هل ينفعني أن تقول نساؤهم وقُلت دون رجالهم لا تبعد<sup>(٢)</sup>

وقول الحارث بن هشام المخزومي في معناه :

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا مهرى بأشقر مزبد

فصرفت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

وفيه يقول أبو عبيدة : ما اعتذر أحد من الفرارين بأحسن مما اعتذر

به الحارث .

وهذا الذي سمعه صاحب رتييل<sup>(٣)</sup> ، فقال : يا معشر العرب : حسنتم

كل شيء لحسن حتى الفرار .

(١) الوقس : الكسر .

(٢) لا تبعد بضم العين من البعد ضد القرب ، أو يفتحها من البعد بفتح العين وهو الفلاك .

(٣) رتييل : من بلاد التركستان ، والكلمة دعاء تقوله العرب لغوي .

ولما فر أُمّية بن عبد الله بن خاتمه يوم ، مرداء هجر<sup>(١)</sup> ، من أبي فديك  
الخارجي ، وفد عليه أهل البصرة ولم يدروا كيف يكلمونه ولا ما يلقونه  
به من القول : أهشونه أم يعزونه ؟ حتى دخل عبد الله بن الأهم فاستشرف  
الناس له وقالوا : ما عسى أن يقال للنهزم ، فسلم عبد الله ثم قال : مرحبا  
بالصابر الخذلون الذي خذله قومه ! الحمد لله الذي نظر لنا عليك ولم ينظر  
لك علينا ، فقد تعرضت للشهادة جهداً ، ولكن علم الله حاجته أهل الإسلام  
إليك ، فأبقاك لهم بخذلان من معك لك .

فقال أُمّية : ما وجدت أحداً أخبرني من نفسي غيرك .<sup>(٢)</sup>

وقول منصور الفقيه في مدح الموت :

قد قالت أن مدحوا الحياة فأسرفوا في الموت ألف فضيلة لا تعرف  
منها أمان لقائه ببقائه وفراق كل معاشر لا ينصف  
وقول شاعر في مدح إفشاء الأسرار :

وما أكنتم الأسرار لكن أنما	ولا أدع الأسرار تغلي على قلي
فإن قليل العقل من بات ليلة	تقلبه الأسرار جنباً على جنب
وقول أبي العتاهية في مدح البخل :	
جُرِيَّ البخل على صاحبه	عني خفته على ظهري
أعلى وأكرم عن نداء يدي	فعلت ونزوه قدره قدرى
ورزقت من جدواه عافية	ألا يضيق لشكره صدرى
وظفرت منه بخير مكرمة	من بخله من حيث لا يدري
ما فاتني خير امرئ وضعت	عني بداه مثونة الشكر

(١) مرداء هجر : موضع بهجر ، وهجر قاعدة البحرين .

(٢) العقد الفريد - ١ - ٧٤



ومن اللطيف في معناه قول الآخر :

أعتقني سوء ما صنعت من الرق م فيا مردها على كبدى  
فصرت عبداً للسوء فيك وما أحسن سوء قبيلى إلى أحد  
وقول نهشل بن جرى في مدح الجبن — وهو أحسن ما قيل فيه — :  
فلو كان لى نفسان كنت مقاتلاً بإحداهما حتى تموت وأسنها  
وقول ابن الرومى في الحلف الكاذب :

وإلى لئو حلف كاذب إذا ما اضطررت وفى الأمر ضيق  
وما فى اليمين على امرئ يدافع بالله ما لا يطيق  
وقوله فى مدح الإعراض :

ما ساءنى إعراضه عني ولكن سرفى  
سألتناه عوض من كل شيء حسن

وقوله فى مدح الحقد :

وما الحقد إلا نومم الشكر فى الفنى وبعض السجايا يشقبن إلى بعض  
فحيث ترى حقدا على ذى عداوة فثم ترى شكراً على حسن القرض  
إذا الأرض أدت ربيع ما أنت زارع من البذر فيها فهى ناهيك من أرض  
وقد أخذته من قول عبد الملك بن صالح الهاشمى — وقد قال له يحيى  
البرمكى : أنت حقود — ا

فاجابه : إن كان الحقد عندك بقاء الخير والشر فإنهما عندى لباقيان .  
فقال يحيى : ما رأيت أحداً احتج للحقد حتى حسنه غيرك .

وقد عاد ابن الرومى فذمه بقوله :

يا مادح الحقد محتالاً له شها لقد سلكت إليه مسلكا وِعْثاً<sup>(١)</sup>  
كم زخرف القول ذو زور ولبسه على القلوب ولكن قل ما لبثا

(١) الوعث : السكان السهل .

الحق قد دام دوى لا دواء له يرى الصدور إذا ما جره حُرثاً<sup>(١)</sup>  
 فاستشف منه بصفح أو معاتبة فإنما يرى المصدور ما نفا  
 ويلاحظ أن ابن الرومي يذم ما يمدح ويمدح ما يذم كثيراً توسعاً  
 واقتداراً .

وقد يكون ذلك لاعتلال مزاجه .

وفي مدح الشر ذكروا : أن المتوكل قال لأبي العيناء — حين دخل  
 إليه — : بلغني أن فيك شراً ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إن يكن الشر ذكر  
 المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ، فقد زكى الله — عز وجل — وذم ، فقال  
 في الزكية : نعم العبدُ إنه أواب . .

وقال في الذم : همارم شاء بنعيم مناع للخير معتد أئيم عتل بعد ذلك زعيم .  
 وقد قال الشاعر :

إذا أنا بالمعروف لم أئن دائماً ولم أشتم الجبس التليم المذمماً<sup>(٢)</sup>  
 ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والنفها  
 ومن الثاني : أن الحسن رأى على رجل طيلسان صوف ، فقال له :  
 أيعجبك طيلسانك هذا ؟

قال : نعم !

قال : إنه كان على شاه قبلك .

فهبجته من وجه قريب .

وقال شاعر في حاجب اسمه سعد :

يا حاجب الوزراء إنك عندهم سعد ولكن أنت سعد الدايح<sup>(٣)</sup>

(١) يرى الصدور : يحرقها . (٢) الجبس بالسكسر : الجبان .

(٣) سعد الدايح : اسم كوكب .

ويقول العسكرى : سمعت والدى - رحمه الله - يقول : لعن الله الصبر  
فإن مضرت عاجلة ومنفعته آجلة ، وذلك أنك معجل بالصبر ألم القلب لتزال  
المنفعة في العاقبة ، ولعلها تفوتك لعارض يعرض ، وكنت قد تعجلت الضرر  
من غير أن تفصل إلى نفع .

وما سمعت هذا المعنى من غيره فنظمته بعد ذلك وهو :

الصبر عما تُجِبُّهُ صَبْرٌ	ونفع من لام في الهوى ضرر <sup>(١)</sup>
من كان دون المرام مصطبراً	فلست دون المرام أصطبر
منفعة الصبر غير عاجلة	وربما حال دونها الغير
فقم بنا نلتبس مآربنا	أقام أو لم يقم بنا القدر
وابغ من العيش ما تُسر به	إن عذل الناس فيه أو عذروا
وقد يظن أن الشعراء يركبون التناقض البغيض ، ويفزعون إلى الكذب	
الصراح حين يستحسنون ما يستقبح ، ويستقبحون ما يستحسن ، ويمدحون	
ما يذم ، ويذمون ما يمدح .	

والحقيقة أنهم لا يتناقضون ولا يكذبون . وإنما هم يتناولون بعض  
الجوانب دون بعض في ذلك ، كما فعل عمرو بن الأهتم حين مدح الزبرقان  
بن بدر بين يدي الرسول - صلوات الله عليه - بأكرم صفات المدح ، ثم  
ذمه بأدثها ، فلما رأى الكراهة في وجه الرسول حين اختلف قوله ، قال :  
يا رسول الله : رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت  
وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الثانية .

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن من البيان لسحرا .. »  
وقد أشار إلى ذلك شوقي بقوله :

فامدح على الحق الرجال وذمهم      أو خل عنك نصيحة الناصح

(١) الصبر : عساة شجر مر .



وقد احتج لهم المرتضى في ذلك بقوله (١) : من شأن الشعراء أن يتصرفوا في المعاني بحسب أغراضهم وقصودهم ؛ إذا رأى أحدهم مدح شيء قصد إلى أحسن أوصافه فذكرها وأشار إليها حتى كأنه لا وصف له إلا ذلك الوصف الحسن ، فإذا أراد ذمه قصد إلى أقبح أحواله فذكرها حتى كأنه لا شيء فيه غير ذلك ، وكل مصيب بحسب قصده ؛ ولهذا نرى أحدهم يقصد إلى مدح الشيب فيذكر ما فيه من وقار وخشوع ، وأن العمر منه أطول وما أشبه ذلك ، ويقصد إلى ذمه فيصف ما فيه من الإدناء إلى الأجل ، وأنه أدخل الألوان وأبغضها إلى النساء وما أشبه ذلك .

وهذه سبيلهم في كل شيء وصفوه ، ولمدحهم موضعه ولذمهم موضعه فمن ذم الوداع لما فيه من الإنذار بالفراق وبعد الدار ، قد ذهب مذهباً صحيحاً كما أن من مدحه لما فيه من القرب للحبوب والمروور بالنظر إليه وإن كان يسيراً ، قد ذهب أيضاً مذهباً صحيحاً .

يقول البحرى في كراهة الوداع يعتذر لأبي جعفر بن سهل المروزى :

الله جارك في انطلاؤك . تلقاء شامك أو عراقك

لا تعذلى في مسيرك م يوم سرت ولم ألافك

إني خشيت موافقاً للين تسفح غرب ما لك

وعلمت أن بكاءنا سبب اشتياقي واشتياقك

وذكرت ما يجد المودع عند ضمك واعتناقك

فتركت ذاك تعمداً وخرجت أهرب من فراقك

ويقول في مدحه :

إن للين نعمة لا تؤدى ويدأ في نماضر بيضاء

حجبوها حتى بدت لفراق كان دام لعاشق ودواء

أضحك الين يوم ذاك وأبكى كل ذى صبوة وسر وساء

فجعلنا فيه الوداع سلاماً وجعلنا الفراق فيه نقاء  
وقال آخر :

جزى الله يوم الدين خيراً فإنه أرانا على علاته أم ثابت  
ومهما يكن فهذا مذهب له أنصار من قديم الزمن .  
وقد قيل للأصمعي : من أشعر الناس ؟ قال الذي يجعل المعنى الخسيس  
بلفظه كبيراً ، أو يأتي إلى المعنى الكبير فيجعله بلفظة خسيساً<sup>(١)</sup> .  
وقد قالوا : حسن البلاغة : أن يصور الحق في صورة الباطل والباطل  
في صورة الحق<sup>(٢)</sup> .

المرتب بالتشبيه .

وباب التحسين والتقييح مدخل واسع مهد لتذيب الطباع وصقل العواطف ،  
وتصفية الآذواق ، وتربية النفوس على الفضيلة وقدعها عن الرذيلة ، وتحييها  
في الخير وتكريها في الشر ، وحشها على كل عمل صالح نافع ، وملئها بالخماسة  
والإقدام ، وحب التضحية والفداء ، والوقوف في وجه الظلم ، ومجاهدة الموت  
بلا خوف ولا وجل .

انظر وقع هذا البيت على ضمير المرائي الذي يأمر بالخير ولا يعمل به :  
وغير تقى يأمر الناس بالتقى طيب يداوى الناس وهو مريض  
أو قول أحمد بن يوسف :  
وعامل بالفجور يأمر بالبر م كهاد يقود بالظلم  
أو كطبيب قد شفه سقم وهو يداوى من ذلك السقم  
يا واعظ الناس غير متعظ ثوبك طهر أولاً فلا تم  
وقدر أثر هذا الشعر في نفس لاه غافل لا يجرى ذكر هاذم اللذات على  
لسانه ولا يخطر له على بال .

الموت باب وكل الناس داخله      يا ليت شعري بعد الباب ما الدار  
الدار جنة عدن إن عملت بما      يرضى الإله وإن خالفت فالنار  
وهل تكسر من شرة الجشع الحريص إلى جمع المال من الحلال والحرام  
وتحسم مادة تكالبه على زهرة الدنيا بأحسن من هذا القول :  
انظر إلى لاعب الشطرنج يجمعها      مغالياً ثم بعد الجمع يرميها  
كالمرء يكدرح الدنيا ويجمعها      حتى إذا مات خلأها وما فيها  
وهل تكف شهوة النهم الرغيب ، الحقوق الانتقام ، الفيلبى الانتقام  
بأفضل من هذا الشعر :

يا آكلا ما اشتباه      وشاتم الطب والطبيب  
ثم ما قد غرست تحنى      فانتظر السقم عن قريب  
يجمع انداء كل يوم      أغذية السوء كالذنوب  
وهل كان الشاب المصرى يؤثر اللصوق بأرضه حتى يسكره التوظف  
فى غير مسقط رأسه ، ويعد غيرها من بلاد مصر ديار غربة ، فضلاً عن  
الهجرة إلى أكناف الأرض الواسعة كالإنجليز واليونان أو أشقائه اللبنانيين  
لو أنه غذى من صغره بمثل قول ابن منير الطرابلسى :

وإذا الكريم رأى الخمول نزله      فى منزل فالحزم أن يترحلاً  
كالبدر لما أن تضامل جد فى      طلب السكال فخازه متنقلاً  
فارق ترق كالسيف سل فبان فى      متنيه ما أخفى القرباب وأخلاً  
وهكذا يمكننا بتحسين المشبه أو تقييده أن نحمل النفوس على ما نريد  
بتبيح مشاعرهما ، وإلهاب عواطفهما ، وبعث وجداناتهما فتنتلق إلى الشأو  
المرسوم كالسهم المرسل لا يلوى على شئ .



## الفصل العشرون

### استطراف المشبه

في اللغة : استطرف الشيء عَدَّه طريقاً ، أو استحدثه :  
والمراد هنا : المعنى الثاني : أى إنشاء مشبه بعد طريقة ، لجذته وخرابته  
بغية التلذذ به ، لأن لكل جديد لذة في الأعم الأغلب .

وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

لكل جديد لذة غير أننى وجدت جديد الموت غير لذيد<sup>(١)</sup>

ويصح أن يكون بالظاء من الظرف بفتح فسكون ، والعامية تضيفه  
وهو خطأ .

ولا مانع من إرادة ذلك المعنى ، لأن من معاني الظرف حسن الوجه  
والهيئة<sup>(٢)</sup> ، فيكون استطراف المشبه : جعله حسناً جميلاً يتمتع السمع  
ويوتق النفس .

وبعضهم يجعله من صفات اللسان فهو يتعلق بالمنطق خاصة<sup>(٣)</sup> .

ومنه قول الحسن - ض - : إذا كان اللص ظريفاً لا يقطع : أى  
إذا وقع دفع عن نفسه بطلاقة لسانه ومنطقه<sup>(٤)</sup> .  
فكلاً معني الظرف صالح لما نحن بسبيله .

(١) تمثل به الخطيئة عند احتضاره . الشعر والشعراء - ١٨١

(٢) القاموس المحيط . (٣) المثل السائر - ٧٠ (٤) تزيين الأسواق - ٣٥

وسائل الاستطراف :

ومرد الاستطراف في التشبيه إلى شيئين :

١ — إبرازه في صورة الممتنع في العادة وإن لم يكن ممتنعاً عقلاً ،  
كتشبيهم الجمر الموقد في الفحم يحرر من المسك موجه الذهب ، نقلاً له عن  
صححة الوقوع إلى امتناعه (١) .

فالناس في واقع حياتهم الطويلة الممتدة لم يروا ولن يروا مثل هذا البحر  
العجيب الغريب الذي لا يتحقق إلا في سباحات الخيال وأضغاث الأحلام !  
وكذلك قول السري الرفاء يصف الشمعة :

كأنها نخلة بلا سعف      تحمل أترجة من النار

فمثل هذه النخلة بهذا الوصف الطريف لا تبرزه العادة يوماً ما .

وهذا الاستطراف — لما كان فيه وجه الشبه هيئة اعتبرت في الممتنع  
عادة — لم يقتض أن يكون الوجه أظهر وأعرف .

ولكن لما كان المشبه به أخفى — ومعلوم أنه يلزم من خفائه خفاء  
وصفه — كان التشبيه أشد استطرافاً على ما تقرر في جميع الأشياء الغريبة .  
فليس وجه الشبه هنا هو منشأ المنع عادة كما كان منشأ الاستطراف في  
بيان الإمكان ، بل منشأ المنع ذات المشبه به .

٢ — أن يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن .

إما مطلقاً لبعد تصوره سواء أخطرت المشبه بهالك أم لا .  
وذلك كالمثاليين المتقدمين ، فإنه من المستصعب أن تتمثل في خيالك  
صورة بحر من المسك موجه الذهب حين تنظر خفاً فيه جمر موقد .

فإذا أحضرت هذه الصورة استطرفت استطراف النواذر عند مشاهدتها  
واستلذت استلذاذ الفلوات لجدتها .

وإما أن تكون نُدرة الحضور ليست في كل الأحوال ، بل عند حضور المشبه في إبان الحديث عنه ، بأن يكون المشبه به مشاهداً معتاداً ، لكن موطنه غير موطن المشبه لأن كلا منهما من واد غير وادي الآخر ، فيبعد حضور أحدهما في الذهن عند حضور الآخر لبعده نسبه إليه ، كقول ابن الرومي المشهور<sup>(١)</sup> :

ولازوردية تزهو بزرقتها بين الرياض على حر اليواقيت  
كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت  
شبه نوار البنفسج بأوائل النار عند أخذها بأطراف الكبريت في الهيئة  
الحاصلة — من تعلق أجرام صغيرة لطيفة على شكل مخصوص ولون الزرقاء —  
بحرم صغير .

وصورة أوائل النار بأطراف الكبريت لا تندرج في الذهن ، إنما يندر حضورها عند حضور صورة البنفسج ، فإذا حضرت مع صحة التشبيه حدث الاستطراف .

ومثله قول النابري :

بنفسج بذكي المسك مخصوص ما في زمانك إن وافاك تنخيص  
كأنما شعل الكبريت منظره أو خدأ غيد بالتخميش مقروص  
ولا يخفى أن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت ، لا يندر حضورها في الذهن ندرة بحر من المسك موجه الذهب ، لكن يندر حضورها عند حضور صورة البنفسج ، فإذا أحضر المشبه به استطراف لمشاهدة عناق بين صورتين متباعدتين كل التباعد .

(١) هكذا في معاهد التنصيص ، وفي المثلون نسب إلى أبي العتاهية ، وفي نهاية الأرب نسب إلى أبي الفاسم بن هذيل الأندلسي وابن المعتز .



وهذا يذكرنا بما حدث لجرير مع ابن الرقاع العاملي ، فقد استمع إليه وهو ينشد الوليد بن عبد الملك قصيدته التي أولها :

عرف الديار توها فاعتادها

قال جرير فحسده على أبيات منها ، حتى أنشد في صفة الظبية :

نُزجى أغنَّ كان إبرقة رَوْقه

فقلت في نفسي : وقع والله ! ما يقدر أن يقول أو يشبه به .  
فلما قال :

قلم أصاب من الدواة مدادها .

لم أقدر حسداً أن أقيم حتى انصرفت (١) :

وفي هذا الدليل الواضح على منزلة هذا التشبيه من الطرافة وندرة خطوره بكل بال .

وحسبنا أن جريراً — على علو كعبه في الشعر وقوة طبعه — لم يستطع أن يلح الجامع بين طرفيه ، لدقة المسلك وبعد المأق ، فلما وقف عليه استحالت رحمته للشاعر حسداً له لشعوره بالعجز عنه .

وذهب عبد القاهر مذهباً طريفاً في بيان سر الاستطراف في بيتي  
« البنفسج والكبريت » ، فبناه على القاعدة النفسية « ظهور الشيء من معدنه  
لا يستغرب » .

وقد ظهر الشيء هنا من غير معدنه فعد غريباً .

يقول : ولذلك نجد تشبيه البنفسج في قوله

ولازوردية ..

أغرب وأعجب وأحق بالولوع وأجدر من تشبيه النرجس بمداهن در

---

(١) الكامل للمبرد ( شرح المصنف ) — ٧ — ٥٠

حشوهن عقيق<sup>(١)</sup> لأنه إذ ذاك مشبه نبات غصن يرف ، وأوراق  
رطبة ترى الماء فيها يشف ، بلهب نار مستول عليه اليبس ، وياد فيه الكلف .  
ومبنى الطباع وموضوع الجبلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يبعد  
ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له ، كانت صباغة النفس به أكثر  
وكان بالشغف أجدر .

ولو أنه شبه البنفسج ببعض النبات ، أو صادف له شها في شيء من  
المتلونات ، لم نجد له هذه الغرابة ولم ينل من الحسن هذا الحظ<sup>(٢)</sup> .

ويرى العسكري : أن هذا الشعر في الحرم لا في البنفسج ؛ لأن قوله :  
فوق قامات ضعفن بها ، يدل على أنه أراد الحرم ؛ لأن ساق البنفسجة  
لا يضعف عن حمل وردتها ، وهذا الوصف بالحرم أشبه منه بالبنفسج ،  
لكبر نوره ودقة ساقه فاعرف ذلك<sup>(٣)</sup> .

وما يزيد في قيمة الاستطراف : أن يكون المشبه شيئاً حقيراً نافهاً أبرز  
في صورة شيء نفيس ثمين .

كقول السري الرفاء يصف النار :

ر لبيب كالراية الصفراء	خفقت راية الصباح وللمنا
ذهبا تحت فضة بيضاء	واستقرت تحت الرماد غفيلت
	وقول ابن المعتز فيها :

وقد راق منظرها كل عين	كأن الشرار على نارنا
فأما هوى ففتات اللجين <sup>(٤)</sup>	محالة تير إذا ما علا

(١) يشير إلى قول ابن المعتز :

وعجنا إلى الروض الذي طاله الندي

كأن عيون الترجس الغض جواننا

(٢) أسرار البلاغة - ١٠٣ . (٣) ديوان الماعز - ٢ - ٢٤

(٤) السحالة بالضم : ما يسقط من الذهب والفضة عند بردهما .

وقد أخذه العسكري فقال :

أوقدت بعد الهدوء نارا لها على الطارقين عين  
شرارها إن علا نضار لكنه إن هوى لجين  
وقول ابن المعتز أيضا يصف الأترجة :

يا حبذا أترجة تحدث في النفس الطرب  
كأنها كافورة لها غشاء من ذهب

وقول السلامي في دجلة :

وقد صار ياقوتاً حصاها وعنبراً تراها وأمسى الماء وهو رقيق  
ويتبين لنا مما تقدم من أقوالهم أن الطرافة في التشبيهات تستوجب الحسن  
دائماً وأبداً ، كأن كل معنى مستحدث لا بد أن يكون جيداً .  
وهذا يخالف مذهب قدامة الذي لا يمارى في صحته وانفاقه مع الواقع ،  
حينما نطبقه على ما بين أيدينا من الآثار الأدبية .

فقدامة يقرر أن الغرابية والطرافة أن يكون المعنى مما لم يسبق إليه ، أو  
يكون فرداً قليلاً ، فإذا كثر لم يسم بذلك .  
ثم يعود فيقرر : أن الغريب والطريف غير الحسن والجيد ، لأنه قد  
يجوز أن يكون الشيء حسناً جيداً وهو غير غريب ولا طريف ، مثل  
تشبيههم الدروع بحباب الماء الذي تسوقه الرياح ، فقد تعاوره الشعراء قديماً  
وحديثاً ، فهو جيد وليس بجديد .

وذلك كقول عمرو بن كلثوم التغلبي<sup>(١)</sup> :

علينا كل سابعة دلاص ترى فوق النطاق لها غصونا<sup>(٢)</sup>  
كأن غصونهن متون غدر تصفها الرياح إذا جرينا

(١) التثيل بالشعر للمؤلف .

(٢) الدلاص : الملباء اللينة .



وقول البحرى يصف بركة المتوكل :

إذا علتها الصبا أبدت لها حُبكا      مثل الجواشن مصقولا حواشيها  
وقول ابن حمديس :

نثر الريح على الماء زرد      أى درع لقتال لو جمد  
وقول ابن العطار :

مررتا بشاطئ النهر بين حدائق      بها حدائق الأزهار تستوقف الحدائق  
وقد نسجت كف النسيم مفاضة      عليه وما غير الحجاب لها حلق<sup>(١)</sup>  
وقول الطغرائى :

وقد كسبه الريح من نسجها درعا به      يلقي ثبال المطر  
وقد يكون طريفا وغريبا لم يسبق إليه وهو قبيح بارد ، فله الدنيا  
أشعار قوم من المحدثين سبقوا إلى البرد فيها<sup>(٢)</sup>  
والإصابة واضحة في هذا الكلام ، إذ لو صح ما قالوه لكان قول بعضهم  
في عيون نساء المنصورة ، من عيون الشعر :

عيون كلها فتن وأصداء من الفتن  
أرحن لسمرة فيها كسمرة مائها الفنى

فإن سمرة العين وسمرة مائها وفنته مما لم يسبق به القائل<sup>(٣)</sup> على حد تعبير  
زميلنا الأستاذ عبد الوهاب حمودة .

ولكان ابن سكرة الهاشمى وأبو الرقعمق من شعراء الصفح ، أعلى  
كعبا من أبى تمام والبحترى والمتنبى ، فليس لهؤلاء ما لهما من المعانى الأبرار  
فى ألوان الهذر والمجون !

بل لوجب أن يكون ابن حجاج أشعر الشعراء جميعاً غير مدافع ولا

(١) المفاضة : الدرع الواسعة . (٢) قد الشعر - ٨٨

(٣) التجديد فى الأدب المصرى الحديث - ٥٦

منازع ، فقد كان - كما يقول الثعالبي - : فرد زمانه في فنه الذي شهر به ، وأنه لم يسبق إلى طريقته ولم يلحق شأوه في نمطه ، ولم ير كافتداره على ما يريد من المعاني التي تقع في طرزه ، وإن كانت مفصحة عن السخافة .

ويكفي أن يقول ابن نباتة منوهاً بابتكاره في خطبة كتابه المسمى «تلطيف المزاج في شعر ابن حجاج» : إني رأيت نتائج أفكار الشعراء ذرية بعضها من بعض ، وأما أشعارهم تبعث جميعاً في صعيد واحد من الأرض ، إلا أشعار الأريب الفريد أبي عبد الله بن الحسين بن حجاج ، فإنها أمة غريبة تبعث وحدها ، وذرية عجيبة تبلغ ياتقان اللهو واللعب رشدتها ، لم يحط خاطر أحد بمثلها خبراً ، ولا استطاع على معارضة شهدتها صبراً (١) .

#### أمثال من التشبيهات الطريفة الغريبة .

ونختم هذا الفصل بفنون من التشبيهات الغريبة الطريفة استزادة للفائدة فمن ذلك قول المتنبي :

سقانا وحيثنا بك الله إنما على العيس تور والحدور كأنهم  
فقد جاء بأملح شيء وأوفاه من الطرافة والغرابية (٢) .  
وقول السري الرفاء :

وحلل من أزراره التبت فاغتدى كلفظ جليب هم أن بتفصحا  
وقوله في انبثاق الصباح :

كراهب جن للهوى طرباً فشق جلبابه من الطرب  
وقول الخالدي في وصف النجوم :

كأنما أنجم السماء لمن يرمقها والظلام منطبق  
مال بخيل يظل يجمعه من كل وجه فليس يفترق

وقول ابن مكنسة في الإبريق والقدح :

إبريقنا عاكف على قدح كأنه الأم ترضع الولدا

أو عابد من بني المجوس إذا توهم السكاس شعلة سجدا

وقول ابن شرف في النمام :

وناصب نحو أفواه الوري أذنا كالقعب يلقط فيها كل ما سقطا

يظل يلتقط الأخبار مجتهداً حتى إذا ما وعاهما زق ما لقطا

وقول ابن لسلك يهجو أبا الهندام كلاب بن حمزة الشاعر — وقد شبهه

بدار البطيخ — :

أنت ابن كل البرابا لكن اقتصروا على ابن حمزة وصفا غير تسميخ

كدار بطيخ ، نحووى كل فاكهة وما اسمها الدهر إلا دار بطيخ

والمعنى جيد ولكن القافية ثقيلة ، لأنها بنيت على الحاء وهي ليست من

الحروف الشعرية .

ودار البطيخ تباع فيها جميع الفواكه والرياحين وتنسب إلى البطيخ وحده

وقد سمي عبد الله بن طاهر قصيدة ابن الرومي التي أولها :

أجنت لك الوجد أغصان وكثبان فيهن نوعان تفاح ورمان

دار البطيخ ، وهي كذلك لما فيها من ذكر الفواكه والرياحين<sup>(١)</sup>.

وقول أسعد بن بليلة في الأقاليم :

أحب بنور الأقاليم نوراً عسجده في الجنيه حارا

أى عيون صُورن من ذهب رُكب فيها اللجين أشفارا

إذا رأى الناظرون بهجتها قالوا نجوم تحف أقالما

كان ما اصفر من موسطه عليل قوم أنوه زوارا



كَأَن مِيقَةَ صَقَالِبَهُ صَارُوا بِحُوسٍ فَاسْتَقْبَلُوا النَّارَ  
كَأَنَّهُ نَفَرٌ مِنْ هَوَيْتٍ وَقَدْ وَقُولُ شَاعِرٍ فِي لَوْزَةٍ بِقَلْبَيْنِ :

وَمَهْدٌ إِلَيْنَا لَوْزَةٌ قَدْ تَضَمَّنَتْ  
كَأَنَّهُمَا حَبَابٌ فَازَا بِخَلْوَةٍ  
وَقُولُ أَبِي هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي الْخَوْخِ :

وَنُخْوَةٌ مَلَأَ يَدَ الْجَانِيَةِ  
مُصْفَرَّةُ الْوَجْنَةِ بِحَمْرَةٍ  
وَقُولُ كُشَاجِمٍ فِي الْعَنْبِ الْأَسْوَدِ :

رَحْنَا إِلَى حَدِيقَةٍ  
كَأَنَّمَا عَنُقُودُهَا  
فَأَصْبَحَتْ رَمَوسُهُمْ  
بِكُلِّ حَسَنِ مُحَدَّقَةٍ  
زَنَجٌ جَنُودًا فِي سِرْقَةٍ  
عَلَى الذُّرَا مُعَلَّقَةٍ

وَقُولُ ابْنِ مَنقَذٍ فِي التِّينِ :

أَمَا تَرَى التِّينَ فِي الْفُصُونِ بَدَا  
كَأَنَّهُ رَبُّ نَعْمَةٍ سُلِبَتْ  
أَوْ كَأَنَّهُ شِرَّةٌ أُعْظِظَ وَقَدْ مَرَّقَ الْجِلْدَ مَا نَلَّ الْعُنُقِ  
أَصْبَحَ بَعْدَ الْجَدِيدِ فِي خَلْقِ  
مَرَّقَ جَلَابِهِ مِنْ الْخُنُقِ

وَقُولُ ابْنِ سَعِيدٍ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي طَائِفَةِ آسٍ (١) :

وَمُشْمُومَةٌ مَخْضَرَةُ اللَّوْنِ غَضَّةٌ  
إِذَا شَمَّهَا الْمَعْشُوقُ خَلَّتْ أَخْضَارُهَا  
وَقُولُ ابْنِ وَكِيعٍ فِيهِ أَيْضًا :

خَلِيلِي مَا لِلْآسِ يَحْبَقُ نَشْرَهُ  
إِذَا هَبَّ أَنْفَاسُ الرِّيحِ الْمَوَاطِرِ

(١) الآس : هو ما تسميه العامة ريحان القبور .

حكى لونه أصداع ريم معذرة  
وصورته آذان خيل نوافر<sup>(١)</sup>  
وقول العباس الحيايط في معنى اسمه نصر :

رأيت نصراً شادياً يضرب  
فقممت من مجلسنا أهرُب  
لأنه ينجح في عوده  
عليك من أوتاره أكُلب  
كأنما نسمع في حلقة  
دجاجة يتخفقها ثعلب  
وقول المصيصي في هجاء عواد :

وإذا تربّع - لا تربع بعدها -  
وإذا يترك عوده متقاعسا  
فكأن جرذان المدينة كلها  
في عوده يقرضن خبزاً يابسا  
وقول بعضهم في وصف الماء الصافي :

وتحدث الماء الزلال مع الخصى  
فكأن فوق الماء وشيا ظاهراً  
فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى  
وكأن تحت الماء درأ مضمرأ  
وقد قال فيه الحموي : إن تشبيه هذا الدر المضمر هنا أعلى قيمة من الدر الظاهر  
في عقود الأحياد<sup>(٢)</sup>.

وقول آخر في مدح زامر :

وزامر يبعث في زمره  
إلى قلوب الناس أفراحا  
كأن إسرافيل في نايه  
ينفخ في الأموات أرواحا

وقول آخر في وصف الرقيب :

ورقيب عدمته من رقيب  
أسود الوجه والقفا والصفات  
هو كالليل في الظلام وعندى  
هو كالصبح قاطع اللذات

وقول ابن الدهان في الصبا الفائت :

وعهدى بالصبا زمنا وقدى  
حكى ألف ابن مقلة في الكتاب

(١) المعذر بتشديد الذال المكسورة : من ثبت شعر عذارة .

(٢) خزائن الأدب - ٢١٨

فصرت الآن منحنيا كأنى أفتش في التراب على شبابي  
وقول ابن منير الدمشقي في الحبيب المعرض :

ويلي من المعرض الغضبان إذ تقل م الواشي إليه حديثا كله زور  
سلمت فازور يثنى قوس حاجبه كأننى كأس نحر وهو مخور  
وقد سمعهما السلطان عماد الدين زنكى فاستحسنهما واتخذ ابن منير ندِيمًا له .<sup>(١)</sup>  
وقول صاحب فيمن لا يشبه أباه في أخلاقه :

أبوك أبو على ذو المعالى إذا عد الكرام وأنت نجله  
وإن أباك إذا تعزى إليه لكالطاوس تقبح منه رجله  
وقول آخر في معناه :

أبوك أبى والجد لا شك واحد ولكننا عودان آس وخروج  
وقول أبى الصلت الأندلسي في أهرام مصر :

بعيشك هل أبصرت أحسن منظرا على طول ما عاينت من هرمى مصر  
أنافا بأكناف السماء وأشرفا على الجوا لإشراف السماء على النسر<sup>(٢)</sup>  
وقد واقيا نشزا من الأرض عاليا كأنهما نهدان قاما على صدر<sup>(٣)</sup>  
وقول القاشاني في الدموع :

عيني مذ شطت الديار بكم تحكي سماء والدمع أنجمها  
كان في وجنتى أبالسة تسترق الدمع وهى ترجمها  
وقول ابن صارة الأندلسي في الشهاب :

وكوكب أبصر العفريت مسترقا للسمع فانقض يدنى خلفه لهبه  
كفارس حل إعصار عمامته فجرها كلها من خلفه عذبه

(١) ديوان الصباية — ١٣٣

(٢) النسر . أحد كوكبين في السماء بهذا الاسم .

(٣) النسر : المسكان المرتفع .



وقول ابن خفاجة في أسود يسبح في لجة :

وأسود يسبح في لجة      لا تكتم الحصباء غُدرانها  
كأنها في شاكلها مقلة      وذلك الأسود إنسانها

وقول ظافر الحداد في كرمي النسخ :

انظر بعينك في بديع صنائعي      وعجيب تركبي وحكمة صانعي  
فكأنني كفا حب شبكت      يوم الفراق أصابعا بأصابع

وقول الشنقري في الوراق :

أما الوراق فهي أنكد حرفة      أوراقها وثمارها الحُرمان  
شبهت صاحبها بصاحب إبرة      تكسو العراة وجسمها عريان

وقوله في ذم صديق :

وصاحب لي كداء البطن صحبه      يودني كوداد الذئب للراعي  
يُثنى على - جزاه الله صالحه -      ثناء هند على رَوح بن زنباع  
يريد بهند : هند بنت النعمان بن بشير الأنصاري ، وروح بن زنباع  
زوجها ، وكانت تكرهه وفيه تقول :

وهل هند إلا مهرة عربية      سليمة أفراس تجلها بغل  
فإن سُجعت مهرًا كريمًا فبالحرى      وإن يك إقراقًا فما أنجب الفحل

ويروى : فمن قبل الفحل ، وهو إقواء<sup>(١)</sup> .

وفي بعض الروايات : « تجلها نغل ، بالنون ، والنغل : الخسيس من  
الناس والدواب ، وأصله نغل ككتف وسكن للضرورة .  
وهذه الرواية خير من الأولى لأن البغل لا ينسل .

(١) وفيات الأعيان - ١ - ٤٧٣

وقول الصاحب في هواء جرجان :

نحن والله من هوائك يا جرجان      ن في حيرة وأمر شديد  
حرها ينضج الجلود فإن هبت م شمال      تصكدرت بركود  
كحبيب موصل كلما هم م بوصل      أحاله لصدود  
وقول ابن طباطبا في التشبيه بالماء — وهو من محاسن التشبيه — :

يا قسراً ثوبه ورامقه      منه حذار البلى على حذر  
يا من حكى الماء فرط رفته      وقلبه في قساوة الحجر  
يا ليت حظي كحظ ثوبك من      جسمك يا واحد من البشر  
لا تعجبوا من بلى غلالته      قد زر كتنانه على القمر  
ويروى أزراره<sup>(١)</sup> بدل كتنانه .

وقد ذكروا في زر أزراره ، أنه استعارة لالتشبيه وإن كان ذكر الطرفين  
بطريق الحمل أو غيره يتأقفا على التحقيق ، لكن شرطه أن يكون على وجه  
ينفي عن التشبيه وهناليس كذلك .

ومنه أخذه ناصر الدولة أبو المطاع فقال :

تري الثياب من الكتان يلمحها      نور من البدر أحيانا فيليبها  
فكيف تنكر أن تبلى معاجرها      والبدر في كل يوم طالع فيها<sup>(٢)</sup>  
وكذلك أخذه الشريف الرضي فقال :

كيف لا تبلى غلالته      وهو بدر وهي كتان  
ومن أغرب ما عرف في التشبيه وصف لون الهواء لأبي القاسم أسعد  
بن علي الكاتب المترسل في قوله :  
كان شكل الهلال قرط      أو عطفة النون أو قلامه

(١) طراز المجالس — ٩ (٢) المعاجز : ثياب تغطي بها المرأة رأسها .

كأن لون الهواء ماء أو سندس رق أو غمامه

وقد ذكر الغزولي : أنه لم ير أحداً وصف الريح غيره <sup>(١)</sup>.

ومن طرائف هذا النوع ما حكاه ابن شهيد <sup>(٢)</sup> ، قال : تناول بعض أصحابنا نرجسة فركبها في وردة ثم دفعها إلى وإلى صاعد اللغوى ، وقال : قولاً قولاً .

فأهمت دوتنا أبواب القول .

ثم دخل الزبير — وكان أمياً لا يذكر من الكلام إلا ما غلق بنفسه في المجالس — فأشعر بأمرنا فجعل يقول دون روية :

ما للأديبين قد أعينتهما مليحة من ملح الجنة

نرجسة في وردة ركبت كقطة تطرف في وجهه <sup>(٣)</sup>

ويجب أن يلاحظ : أنه إذا كان الغرض من التشبيه نفس المحاكاة بين الشئين ، فلا يكفي فيه مجرد الادعاء ، بل يجب لحصول هذا الغرض أن يتحقق وجه الشبه في الطرفين بحسب الواقع ؛ كقول مجير الدين بن تميم :

كأنما النار في تلبها والفحم من فوقها يغطيها

زنجية شجكت أناملها من فوق نارنجة لتخفيها

(١) مطالع البدور في منازل السرور — ١ — ٤٤ \*

(٢) قمع العليب — ٢ — ٢٦٨ (٣) تطرف : تنظر .



## الفصل الحادي والعشرون

### التشبيه المقلوب

ذكرنا فيما سبق أن الغرض من التشبيه يعود إلى المشبه إلا في حال قلب التشبيه فإنه يعود إلى المشبه به .

كما قدمنا أن التشبيه الجارى على السنن المألوف لا يخلو من المبالغة .

ونحب أن نقول هنا : إن المتفتنين في طرق الأداء من أرباب الصناعة البيانية لم يقفوا عند التشبيه العادى ؛ لأنهم يرون أن هذه المبالغة المعتدلة أقل من أن تشبع رغبتهم فيها يتوخونه من أغراض الكلام في الغزل والمدح والثناء وما إليها ، فكان أن سلكوا لذلك طريق القلب في التشبيه توصلا لهذه الغاية المنشودة .

على أنه من الحق أن نصرح أن التشبيه من حيث هو لم يمرض نزعة بعض الشعراء المحبين للإغراق .

١ - فبعضهم ازدرى التشبيه أصالة ؛ كقول المتنبي يفخر بنفسه :

أعط عنك تشبيها بما وكأنه      فما أحد فوقى ولا أحد مثلى

وقوله يمدح عمر بن سليمان الشرائى :

يجل عن التشبيه لا الكف لجة      ولا هو ضرغام ولا الرأى مخدّم<sup>(١)</sup>

أنقصه من حظه وهو زائد      ونبخسه ولبخس شيء محرم

وقول المهلهل بن يموت بن المنزرع :

جلت محاسنه عن كل تشبيه      وجل عن واصف في الناس بطريه

(١) المخدّم : السيف القاطع .

الترجس الغض والورد الجنى له والأقحوان الندى النضر في فيه  
انظر إلى حسنه واستغن عن صفتي سبحان خالقه سبحان باريه  
دعا بالمحاطة قلبي إلى عطفي فجاءه مسرعاً طوعاً بليسه  
مثل الفراشة إذ تأتي ترى لهاً إلى السراج فتلقى نفسها فيه  
والشاهد في البيت الأول .

وقول بعض الجوارى العاشقات (١) :

يا من شكا ألماً للحب شبهه بالنار في القلب من حزن وتذكر  
إني لأعظم ما بي أن أشبهه شيئاً يقاس إلى مثل ومقدار  
لو أن قلبي في نار لأحرقها لأن أحزانه أذكى من النار  
٢ - أو طلب التشبيه فعز وصوله إليه ؛ كقول البحري :

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤدد والمجد والمسكارم مثلاً  
وقول المتنبي يصف قرية كفر ديس :

خضراء حمراء التراب كأنها في خد أعيد  
أحييت تشبيهاً لها فوجدته ما ليس يوجد

وقوله :

فكن كما شئت يا من لا شبه له وكيف شئت فما خلق يدانيك  
وقول الأمير تميم بن المعز الفاطمي :

وساق يملأ العين حسناً رخيم دله يصبو ويصبى  
شقائق خده للحظ تسبي ولحظ جفونه بالسر يسبي  
تبارك من براه بلا شبه وسأطه على قتل الحب

٣ - أو وجد السيل إلى التشبيه ولكن عَفَّ عنه ارتفاعاً بقدر المشبه

عما يشبه به في العادة ؛ كقول قبس لبني :

إذا عبتَ شَبَّها البدر طالعاً وحسبك من عيب لها شَبَّه البدر  
لقد فضلت لبي على الناس مثلياً على ألف شهر فضلت ليلة القدر  
وقول المتنبي بمدح الأمير الحسن بن طنج وآله :

ولولا احتقار الأسد شبهتهم بها ولسكنها معدودة في البهائم  
وبروى : شبهتها بهم فيكون مقلوباً .  
والرواية الأولى أظهر<sup>(١)</sup> .

وقوله في مدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي :  
أكبر العيب عنده البخل والظعن م عليـــــــــــــــــه التشبيه بالرثال  
وقوله في مدح الأمير فاتك المصري الملقب بالجنون :

لا يدرك المجد إلا سيد فطن لما يشق على السادات فعال  
كفاتك ودخول الكاف منقصة كالشمس قلت وهل للشمس أمثال  
وقوله في الغزل :

هام القواد بأعرابية سكنت بيتاً من القلب لم تمدد له طُبا  
مظلومة القد في تشبيهه غصناً مظلومة الريق في تشبيهه ضرباً<sup>(٢)</sup>  
وقول أبي عبد الرحمن العطوى :

قدرأينا الغزال والغصن والنجمين م شمس الضحا وبدر التمام  
فوحق البيان يعضده البرهان م في ما قُط ألد الخصام<sup>(٣)</sup>  
ما رأينا سوى المليحة شيئاً جمع الحسن كله في نظام  
وقول ابن الصلت الأندلسي :

غزالة أخلت سميتها فلم تشبه بها وحاشاها

(١) وفيات الأعيان في ترجمة الإخشيد - ٢ - ٥٦

(٢) الغرب بالفتح : الشهد . (٣) المأقط : الأزق .



هبها لها حسنها وبهجتها      فهل لها جيدها وعيناها  
وقول البهاء زهير :

يا بدر إن رمت به      تشبها رمت شطط  
ودعه يا غصن النقا      ما أنت من ذاك الثمط  
وقول أبي الفرج المحمدي يمدح ابن قلاقس — وكان المادح قد انكسرت  
به سفينة في البحر الأحمر فكاد يغرق — :

والثم بنان يمينه      وقل السلام عليك بحرا  
وغلظت في تشبيهه      بالبحر فاللهم غفرا  
أو ليس نلت بذا غنى      جمًّا ونلت بذاك فقرا  
وعهدت هذا لم يزل      مدًّا وذاك يعود جزرا  
وقول شاعر :

وغزال كل من شبهه      بغزال أو بيدر ظله  
قال إذ قبلت وهما فه      قد تعديت وأسرفت فه (١)  
وقول آخر :

ما أنت مادحها يا من تشبها      بالشمس والبدر لا بل أنت هاجبها  
من أين للشمس خال فوق وجنتها      أو أين للشمس طعم الشهيد في فيها  
وقول شاعر عسري في الأميرة ، سميحة حسين ، — وقد تبرعت بجملة  
من حلبيها النفيس ، لجمعية الهلال الأحمر ، — :

لقد شهبوك بنيل البلاد      وأين السحاب من الأبحر  
تباريتما فسخا بالمياه      وبالدر — جدت — وبالجوهر  
ومن النثر البليغ قول ابن العميد يصف رسالة لأبي محمد خلاد الرامهرمزي  
القاضي :

(١) مه : اسم فعل بمعنى انكف .

وتأملت النظم فلسكنى العجب به ، وبهرنى التعجب منه ، وقد رمت أن  
أجرى على العادة فى تشبيهه بمستحسن من زهر جنى وحلل وحلى ، وشذور  
الفرائد فى محور القلائد :

والعذارى غدون فى الحلل البيض م وقد رحن فى الخطوط السود  
فلم أره لشيء عدلا ، ولا أرضى ما عدده له مثلا ، والله يزيدك من  
فضله ، ولا يخلبك من إحسانه .

وقد يجرى الشاعر الأنفة من التشبيه على لسان المحبوب إدلالا بحاله  
وازدهام بحسنه ، كقول العباس بن الأحنف :

قالت ظلوم وما جارت وما ظلمت      إن الذى قاسنى بالبدر قد ظلما  
البدر ليس له عين محكمة      ولا محاسن لحظ يبعث السقما  
وقول على بن المنجم :

شبهتها بالبدر فاستضحكت      وقابلت قولى بالنكر  
وسفحت رأى وقالت متى      سمجت حتى صرت كالبدر  
البدر لا يرنو بعين كما      أرنو ولا يبسم عن نعر  
ولا يبط المرط عن تاهد      ولا يشد العقد فى نحر  
من قاس بالبدر صفاتى فلا      زال أسيرا فى يدى هجرى

وقول ابن الزيات فى جارية يهاها اسمها عذر ،

يا عذر زين باسمك العذر      وأما ولم يحسن بك الدهر  
وهى التى قالت وقد جعلت      ينسل من وجناتها الجر  
أشد بدائك هل رأيت كذا      بدرا يلوح بخده البدر

وقول بعض الأندلسيين .

رأتى وقد شبهت بالورد خدها      فتاهت وقالت قاس خدى بالورد

كما قال إن الأحقران كبسيمي      وأن قضيب البان يشبه قدى  
إذا كان هذا في البساتين عنده      فقولوا له لم جاء يطلبه عندي  
ولابن مطروح :

من لي بغصن بالمحافظ بمنطق      حلو الشائل واللى والمنطق  
مثرى الروادف ثلق من خصره      أسمع في الدنيا بمثر بملق  
وأقول يا أخت الغزال ملاحه      فنقول لا عاش الغزال ولا بقى  
ومن الطريف أنه جرت في البيت الأخير منازعة بين ابن مطروح  
وابن شمس الخلافة ، فقد ادعاه كل منهما لنفسه وعمل محضراً شهد له فيه  
جماعة بأن البيت له وأنه في ديوانه :

قال ابن خلكان : وقد حلف لي ابن مطروح أن البيت له ، وكان محترزاً  
في أقواله ولم تعرف منه الدعوى بما ليس له ، والله المطلع على السرائر<sup>(١)</sup> .  
وقول أبي القاسم بن هشام الأندلسي مرتجلاً في حسناء عصت وردة ثم  
رمت بها إليه<sup>(٢)</sup> .

ومعجز الأوصاف والوصاف في      بردى جمال طرزاً بالتيه  
سوسان أنمله تناول وردة      فعدا يمزقها أفاحي فيه  
فكأننى شبت وجنته بها      فرمى بها غضبا على التشيه  
وقد ينطق الشاعر بذلك الأعضاء المشبهة من المحبوب ، أو الأشياء التي  
جرت العادة أن تجعل مشبها لها زيادة في تقرير الوصف الذي يريد ، كقول  
ابن نباتة :

سألت النقا والبان أن يحكي لنا      روادف أو أعطاف من زاد صدها  
فقال كتيب الرمل ما أنا حملها      وقال قضيب البان ما أنا قدها



وقول شرف الدين الأصيلي المصري :

تقول أعطافها لما تشبها بالريح من قال إن الريح حاكفى  
عطفائى حلوان بما أينعا ثمرأ فكيف تحكيهما أعطاف مَران  
وقول بعضهم :

وزائرة يحسها الشوق طارقه أتنا من الفردوس لاشك آبقه  
إذا ماتت قال للريح قدها كذا حركى الأغصان إن كنت صادقه  
ومن هذا اللون قول ابن سناء الملك :

ولو أبصر النظام جوهر نغرها لما شك فيه أنه الجوهر الفرد  
ومن قال إن الخيزرانة قدها فقولوا له إياك أن يسمع القد  
من هذه الأمثلة الكثيرة التى أوردناها قصد الإيضاح والإفادة يتبين لنا  
كيف لم يرض الشعراء عن التشبيه مع افتنانهم فى تلوينه بمختلف الأصباغ .  
بل إن التشبيه المقلوب نفسه — مع ما يحويه من مبالغة واضحة — لم  
يجدوا فيه مقنعا .

فيجنون ليلى يقول :

أخذت محاسن كل ما ضئت محاسنه بحسنه  
كاد الغزال يـكونها لولا الشوى ونشوز قرنه<sup>(١)</sup>  
فالغزال يقرب منها شبا لو لم تكن فيه هذه العيوب الطبيعية .  
ويقول ابن المعتز :

لى مولى لا أسميه كل شىء حسن فيه  
تصف الأغصان قامت بهن ككتفيه  
ويكاد البدر يشبهه وتكاد الشمس تحكيه  
كيف لا يخضر شاربه ومياه الحسن تسقيه<sup>(٢)</sup>

(١) الشوى : الأطراف .

(٢) هذا البيت أحسن ما قيل فى ماء الحسن • طراز المجالس — ٧

فهو يصرح بأن البدر لا يشبهه بل يكاد فقط !

وأبلغ منه قول البديع الهمداني :

وكاد يحكيك صوب الغيث منسجماً لو كان طلق الغيا يطر الذهباً

والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت والليث لو لم يصد والبحر لو عذباً

فهو يشترط لقرب هذه المحاكاة هذه الشروط المستحيلة التحقق !

وابن سناء الملك يقطع بعدم المحاكاة في قوله :

لا الغصن يحكيه ولا الجؤذر حسنك - بما كثروا - أكثر

يا باسم أبدى لنا ثغره عقداً ولكن كله جواهر

وآخر يقول بالمحاكاة ، ولكنه يهكم بأنها محاكاة ناقصة فقدت

أهم عناصرها :

إن تاه ثغر الأفاحي في تشبهه بغير حيك واستعلى به الطرب

فقل له عندما يحكيه مبتسماً لقد حكيت ولكن فأتك الشنب<sup>(١)</sup>

فهذه التشبيهات المقلوبة المجردة كما نرى - لم تحقق بغية الشعراء في المبالغة

فضموا إليها أشياء تريدها مبالغة على مبالغتها وتخرج بها أحياناً إلى حد

الغلو والإغراق .

ولعل لهم عذراً في أن هذه المبالغة لا يعتد بها عند التأمل والرجوع

إلى الحقيقة ، فليس الأسد في الواقع أشجع من الرجل الشجاع وإن كان نصيبه

أوفر من القوة البهيمية العمياء .

وقد قيل : إن امرأة عمران بن حطان قالت له : أما زعمت أنك لم تكذب

في شعر قط ؟

قال : أوفعلت ؟

(١) الشنب محرّكة : ماء ورقة ويرد وعذوبة في الأسنان أو حدة في الأنياب .

قالت : أنت القاتل :

فهنالك بجزاة بن نو ر كان أشجع من أسامة

أفسيكون الرجل أشجع من الأسد ؟

قال : أنا رأيت بجزاة فتح مدينة ، والأسد لا يفتح مدينة<sup>(١)</sup>.

والغزال موصوف بحسن الجيد ، والمهاة معروفة بحلاوة العين ، فمضى الشعراء على أن يشبهوا بهما النساء الحسان في الجيد والكحل حتى قال عمر بن أبي ربيعة :

منعمة أهدى لها الجيد شادن وأهدت لها العين القتل بغوم  
وقال يزيد بن أم الحكم :

كأن أحور من غزلان ذي بقر أهدى لعائشة العينين والجيدا  
والحق أنها سنة مرن عليها الشعراء تقليداً من الخالف للمالسف ، وإلا  
فأين يقع جيد الغزال من جيد الحسناء الأتلع الناصع ! وأين تقع عين البقرة  
الوحشية من عين الجميلة الدعجاء النجلاء المكحولة بالسحر !

ولهذا يقول المبرد<sup>(٢)</sup> : وقد وقع على ألسن الناس من التشبيه المستحسن  
عندهم - وعن أصل أخذه - : أن شبهوا عين المرأة والرجل بعين الظبي  
أو البقرة الوحشية ... فهذا كلام جار على الألسنة .

ويقول : وعين الإنسان مشبهة بعين الظبي والبقرة في كلامهم المنشور  
وشعرهم المنظوم من جاري ما تكلمت به العرب وكثر في أشعارها .  
قال بجنون ليلي :

فعينك عيناها وجيدك جيدها ولكن عظم الساق منك دقيق

(٢) المصدر نفسه - ٣٨

(١) الكامل للمبرد - شرح الرصافي - ٧ - ٣٣



وقال آخر :

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ولونك لولا حشة في القوائم<sup>(١)</sup>

وقال هدية بن الحشرم :

فلم تر عيني مثل سرب رأيتـه خرجن علينا من زقاق بن واقف  
طلعن بأعناق الظباء وأعين م الجأذر وارتجت لهن الروادف<sup>(٢)</sup>

وقد فطن بعض الأعراب إلى هذه الهجعة في مثل هذا التشبيه فقال :

لقد وهبني للنيايا غريرة قريبة عهد بالصبا والتمايم  
أأجعلها كالرثم حاشا لمثلها وللرخص من أطرافها والمعاصم  
خلوت بها ليلًا وثالثنا التقى ولست على هذا العفاف بنادم  
وقال الواسطي في هذا المعنى :

أين غزلان عالج والمصلّى من ظباء سكن نهر المعسلي  
ألتك الكشبان أغصان بان وبدور من أفقها تتجلى  
أم لتلك الغزلان حسن وجوه لو ترامت للحزن أصبح سهلا  
ويذكرون : أن ذا الرمة أردف أخاه فعرضت له ظبية ، فقال :

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا آ أنت أم أم سالم<sup>(٣)</sup>

فقال أخوه :

فلو تحسن التشبيه والوصف لم تقل لشاة النقا آ أنت أم أم سالم  
جعلت لها قرنين فوق جبينها وظلفين مشقوقين تحت القوائم

(١) الحشة : دقة الساقين . (٢) في البيت إقواء .

(٣) جلاجل بضم الجيم : اسم بيته ، ويروي جلاجل بالحاء . وأراد المبالغة في شدة التشبه بين الظبية والمرأة حتى التيسر عليه فسأله سؤال شاك . شرح ابن يعين على الفصل

للمختصر ج ٩ ص ١١٩

فقال ذو الرمة :

هي الشبه إلا مديها وأذنها سواء وإلا تمسقة بالقوائم<sup>(١)</sup>  
وما يتصل بما نحن فيه : ما ذكره ابن خلكان ، من أنه حضر يوماً حلقة  
ابن الصائغ النحوي ، وبعض الفقهاء يقرأ عليه ، اللع ، لابن جني ، فقرأ  
بيت ذي الرمة المتقدم في باب النداء .

فقال ابن الصائغ : إن هذا الشاعر لشدة ولعه في المحبة ، وعظم وجدده  
بهذه المحبوبة ، أم سالم ، وكثرة مشابقتها للغزال كما جرت عادة الشعراء في  
تشبيههم النساء الصباح الوجوه بالغزالان والمها ، اشتبه عليه الحال فلم يدر  
هل هي امرأة أم ظبية ؟ فقال : آ أنت أم أم سالم ؟

وأطال ابن الصائغ القول في ذلك وبسطه بأحسن عبارة ، بحيث يفهمه  
البلبد البعيد الذهن ، وذلك الفقيه منصت مقبل على كلامه بكلية حتى يتوهم  
من يراه على تلك الصورة أنه قد تعقل جميع ما قاله الشيخ من شرحه .  
فلما فرغ ابن الصائغ من قوله ، قال له الفقيه : يامولانا وأيش<sup>(٢)</sup> في هذه  
المرأة الحسناء يشبه الظبية ؟

فقال ابن الصائغ قول منبسط : تشبها في ذنبا وقرونها ! فضحك  
الحاضرون وخجل الفقيه ، وانقطع عن مجلسه .<sup>(٣)</sup>  
ومثل هذا يقال في البدر ، فهو في جملة صفاته ليس بأجل من الغادة  
الحسناء ولا أكثر منها فتنة وخلابة ، وإن أرى عليها في الإشراق والضياء .  
وقد ذكروا : أن الرشيد قال لزبيدة - في ليلة مقمرة - : إن لم تكوني  
أحسن من هذا القمر فأنت طالق .

فأقنى علماء زمانه بالحنث إلا يحيى بن أكرم ، فإنه قال : لا يقع عليه الطلاق !  
فقبل له : خالفت شيوخك ، فقال : الفتوى بالعلم ، ولقد أقنى به من هو أعلم

(١) المديان : القرآن ، والشفقة : التفريق بين الرجلين .

(٢) أيش : أي شيء . (٣) وفيان الأعيان - ٢ - ٤٥ - ٤٦

منا وهو الله — سبحانه وتعالى — حيث قال : « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » .

أى فى أحسن تعديل لقامته وصورته وحسن شأته ، منتصباً يتناول ما كوله بيديه ، مزيناً بالعقل لا كالبهايم<sup>(١)</sup> .

وإن صحت هذه الفتيا فلعلها دفعت بالشعراء فى هذا العصر إلى المغالاة فى التشبيهات ، وبخاصة فى هذا اللون المسمى « بالمقلوب » .

سبب تسميته بالمقلوب :

وقد سمي البيانيون هذا النوع من التشبيه : التشبيه المقلوب ، أو المعكوس أو تشبيه القلب والعكس .

وسماه ابن الأثير فى « المثل السائر » : الطرد والعكس ، وعده من مواضع علم البيان الحسنة الموضع ، اللطيفة المأخذ<sup>(٢)</sup> .

وسماه ابن جنى فى « الخصائص » ، وابن الأثير فى « كنز البلاغة » ، غلبة الفروع على الأصول<sup>(٣)</sup> .

وقال عنه عبد القاهر فى « أسرار البلاغة » : جعل الفرع أصلاً والأصل فرعاً<sup>(٤)</sup> .

وهو فى اصطلاح البيان : أن يقصد الشاعر على عادة التخيل أن يورم فى الشيء القاصر عن نظيره أنه زائد عليه<sup>(٥)</sup> .

وحينئذ يجعل الفرع أصلاً ، ويشبه الزائد بالناقص .

ويكون الغرض فى الحقيقة إعلام شأن ذلك الناقص : أى هو بالغ إلى

حيث صار أصلاً للشيء الكامل فى ذلك الباب .

(١) ديوان الصباية لابن حجة المغربي — ٣٨

(٢) المثل السائر — ١٦٤

(٣) الخصائص — ١ — ٣٠٨ — عروس الأفراح — ٣ — ٤٠٧

(٤) أسرار البلاغة — ١٨٢ (٥) نهاية الأرب — ٧ — ٤٧



فعنى كونه مقلوباً : أن يجعل ما الوجه فيه أتم : مشبهاً ، ليتوهم السامع أن المشبه به المقصود بالمبالغة أتم في وجه الشبه من المشبه ، الذى أصله مشبه به ، . اعتماداً على القاعدة المقررة : من أن الوجه في المشبه به أتم .

وقد مثلوا له بهذا البيت السائر ، وهو لمحمد بن وهيب يمدح المأمون :<sup>(١)</sup>  
وبدا الصبح كأن غرته وجه الخليفة حين يمدح  
وقبله :

ما زال يلثمى مرأشه ويعلى الإبريق والقدح  
حتى استرد الليل خلعتة وبدا خلال سواده وضوح  
وقد قال فيه على بن هارون المنجم عن أبيه : لم يتوصل أحد إلى مدح  
بمثل قول محمد بن وهيب<sup>(٢)</sup> .

قصد إيهام أن وجه الخليفة أعرق وأشهر وأتم وأكمل في الوضوح  
والضياء من الصبح فاستقام له ذلك بحسب النية .  
وهذا أبلغ وأحسن وأمدح من تشبيه الوجه بالصبح ، لأن تشبيه الوجه  
بالصبح أصل متفق عليه لا ينكر ولا يستنكر ، وإنما الذى يستنكر تشبيه  
الصبح بالوجه<sup>(٣)</sup> .

### تمثيل دقيق للقلب :

وقد حلل الإمامان ، عبد القاهر الجرجاني والرازي ، هذا البيت تحليلاً  
رائعاً يعبق بنفحات ذكية من علم النفس ، وهذا ما جعلنا نذكر هذا البيت هنا  
مع شهرته المستفيضنة التى أدنته من الابتذال .

(١) معاهد التنصيص — ١ — ١٥٣

(٢) زهر الآداب — ٣ — ١٨ (٣) حسن التوصل — ١٩

وفيهما يأتي إجمال لما فصلاه (١):

١ — إن هذا التشبيه دعوى ، وهي إن أشبهت قوهم : لا يدري أوجه  
أنور أم الصبح ؟ وغرته أضواء أم البدر ؟ وقولهم — إذا أفرطوا — :  
نور الصبح يخفى في ضوء جبينه ، أو نور الشمس مسروق من نور جبينه  
إلى غير ذلك من وجوه ، فإن في الطريقة الأولى خلافة ووشيا من السحر ،  
وهي كأنه يستكثر للصباح أن يشبهه بوجه الخليفة ، ويوهم أنه قد احتشد  
له واجتهد في طلب تشبيه يفتح به أمره .

٢ — يوقع في نفسك المبالغة من حيث لا تشمر ، ويفيدكها من غير أن  
يظهر ادغامها . لأنه وضع كلامه موضع من يقيس على أصل متفق عليه  
وأمر مسلم به ، لا يقع فيه اختلاف ولا إنكار ، والمعاني إذا وردت على  
النفس هذا المورد كان لها سرور خاص وفرح عجيب ، فكانت كالنعمه  
لم تسكرها المنه .

ولأنك لتجد مصداق هذا القول حين توازن بين قول ذي الرمة (٢):  
ورمل كأوراك العذارى قطعته      وقد جلته المظلمات الخنادس  
وقول بعضهم :

تمشى فتقلها روادفها      فكانها تمشى إلى خلف  
وقول المؤمل — وقد أفرط — :

من رأى مثل رحبتي      تشبه البدر إذ بدا  
تدخل اليوم ثم تد      نخل أردافها غدا

فإن هذا الكلام الذي يهجم عليك بهذه الصفات المستغربة لا تشعر له  
بالأريحية ولا الندادة لخلوه من الخلابة وحسن التأني الذي يفيدها التشبيه  
المقلوب في البيت الأول .

(١) أسرار البلاغة — ١٨١ — ١٨٢ — نهاية الإيجاز — ٧٦ — ٧٧

(٢) التنبيل للمؤلف .

فإن من تمشى إلى خلف حين تحاول السير إلى الأمام ! ومن تبلغ بها الضخامة أن تخلف أردافها ورامها حين تلج بابا بمقدار يوم ، لا تعد شيئا مثيرا للضحك والسخرية فحسب ، بل تعد شيئا بخيفا مرعبا أكثر من الجان والغيلان !

ولكن انظر كيف جاء آخر بالسحر الحلال في قوله :

آخرها متعب لأولها فبعضها جائر على بعض

٣ — في هذا الموضع نكتة ؛ وهي أنك تنال الربح في صورة رأس المال ، وترى الفائدة قد ملأت يدك من حيث حسبتها قد جازتك وأصلتك وتجد الموجود من حيث تتوهم العدم ، وتحصل على الربح بعد أن تغالط فيه حتى ترى أنه رأس المال .

٤ — إن المدح يوقف بين أمرين يصعب الجمع بينهما وتوفية حقها : معرفة حق المادح بالإصغاء والارتياح له ، جزاء ما قصد من تزيينه وتقدير شأنه ، ثم امتلاك نفسه حتى لا يذهيها السرور ويستخفها الطرب ، فيخرج بها إلى العجب المذموم ، وإلى أن يقول : « أنا ، فيقع في صفة الكبر من حيث لا يشعر ، ويظهر عليه من أمارته ما يذم لأجله ويحقر ؛ لأن المدح وقعا عميقا في النفوس ولهذا يقول الشاعر :

بذا فاندبني وامدحني فإنني فتي تعثره هزة حين يمدح

فإذا كان المدح على صورة وجه الخليفة خف عنه الشطر من تكاليف

هذه الخصلة .

وقد وصف ابن جني التشبيه المقلوب : بأنه فصل من فصول العربية طريف ، تجده في معاني العرب كما تجده في معاني الأعراب ، ومثل له في كلام العرب بقول ذي الرمة المتقدم<sup>(١)</sup> :



ورمل كأوراق العذارى قطعت      وقد ألبسته المظلمات الخنادس<sup>(١)</sup>  
فدو الرمة جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً ، وذلك أن العادة والعرف  
في هذا أن تشبه أعجاز النساء بكشبان الانقاء ، وهو مطرد في باب كقول  
ذي الرمة نفسه :

ترى خلفها نصفاً قتاة قوية      ونصفاً نقاً يرتج أو يتمرمر<sup>(٢)</sup>  
وقول الطائي الأكبر :

كم أحرزت قضب الهندي مصلته      تهز من قضب تهز في كشب  
وقول البحتري :

أين العزال المستعير من النقا      كفلاً ومن نور الأفاحي مبسلاً<sup>(٣)</sup>  
وقول آخر :

أيا من نصفه غصن      يميل ، ونصفه كفل  
صفائك في ثيابها      فنفصل ومتصل  
فنصفك موج عاصفة      ونصفك شارب ثمل

وقول ابن حجاج :

ومدلل أما القضيب فقده      شكلاً وأما ردفه فكشيب  
يمشي وقد فعل الصبا بقوامه      فعل الصبا بالغصن وهو رطيب

فعكس ذو الرمة القصة في ذلك ، فشبه كشب الانقاء بأعجاز النساء ؛  
وإنما فعل ذلك مبالغة : أي قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لأعجاز النساء ،  
فصار كأنه الأصل حتى شُبِّهت به كشبان الانقاء .

(١) رواية البرد : وقد جعلته المظلمات الخنادس ، وألبسته بالبناء للفاعل : غنائه . الكامل

وشرح المرسني ج ٧ - ٢

(٢) تمرمر : اهتز وترجرج . (٣) الكفل بالفتح : العجز .

وعلى نحو من هذا جاء قول البحري :  
 في طلعة البدر شيء من نحاسها وللقصيب نصيب من ثنيها<sup>(١)</sup>  
 وعلى نحو هذا قالوا للناقة : مجالية لأنهم شبهوها بالجل في شدته وعلو  
 خلقه .

قال الراعي :

على مجالية كالفعل هملاج  
 وهو كثير فلما شاع واطرد صار كأنه أصل في بابه حتى عادوا فشبهوا  
 الجل بالناقة في ذلك فقال :  
 وقربوا كل مجالي<sup>(٢)</sup> عضه<sup>(٣)</sup>  
 فهذا من حملهم الأصل على الفرع فيما كان الفرع أفاده من الأصل ، ونظائره  
 في هذه اللغة كثيرة .

وقد لاحظ ابن جني : أن هذا المعنى عينه قد استعمله النحويون  
 في صناعتهم كما استعمله اللغويون توسعاً ، فشبهوا الأصل بالفرع في المعنى  
 الذي أفاده ذلك الفرع من ذلك الأصل ، ألا ترى أن سيويه أجاز في قولك  
 هذا الحسن الوجه ، أن يكون الجر من موضعين : أحدهما : الإضافة ،  
 والآخر تشبيهه بالضارب الرجل ، الذي إنما جاز فيه الجر تشبيهاً له بالحسن  
 الوجه على ما تقدم في هذا الباب ، فعاد الأصل فاستفاد من النوع نفس الحكم  
 الذي كان الأصل بدماء أعطاه إياه ، حتى دل ذلك على تمكن الفروع وعلوها  
 في التقدير<sup>(٤)</sup> .

وقد عد ابن جني هذا النوع من تدريج اللغة ، وعلل تمكن هذه الفروع  
 والتوسع فيها تعليلاً دقيقاً : بأنها في حال استعمالها على فرعيها تأتي مآتي الأصل

(١) الخصائص ٣٠٨ - النمل البائر - ١٦١

(٢) العضه : البعير يشنكي من أكل العضاء أو يرعاهما ، والعضاء : أعظم الشجر أو الخط

أو كل ذوات شوك أو ما عظم منها وطل . (٣) الخصائص ج - ١ - ٣١٠

الحقيقى لا الفرعى التشبيهى ، وذلك كقولهم : أنت الأسد ، وكفك البحر ،  
فهذا لفظه لفظ الحقيقة ومعناه المجاز والاتساع ، ألا ترى أنه إنما يريد أنت  
كالأسد ، وكفك مثل البحر ، وهو واسع كثيراً ، فلما كثر استعمالهم إياه  
— وهو مجاز — استعمال الحقيقة واستمر واقلاب<sup>(١)</sup> تجاوزوا به ذاك إلى  
أن أصاروه كأنه هو الأصل والحقيقة ، فاستعادوا معناه لأصله<sup>(٢)</sup> .

هذه نظرة ابن جنى للتشبيه المقلوب ، وهى نظرة دقيقة عميقة ، وإن شأها  
مزاج اللغوى النحوى لا اللغوى البيانى .

ولكننا لا نستطيع إلا أن نتابع ابن الأثير فيما أخذه عليه من أنه  
أرسل هذا النوع مهملاً<sup>(٣)</sup> دون أن يقيد به بما لا غنى عنه من الشروط .  
فليس من الحق أن هذا الباب يحسن فيه القلب دائماً ، فهو يرد على الندرة  
لظرافته ، والشرط فى استعماله ألا يرد إلا فيها كأن متعارفاً ، حتى تظهر فيه  
صورة الانعكاس ، لأنه لو ورد فى غير المتعارف لكان قبيحاً ، لأن مطرد  
العادة فى البلاغة على تشبيه الأدنى بالأعلى كما يقول العلوى<sup>(٤)</sup> .

وقد بسط عبد القاهر ما أجمله صاحب الطراز معللاً ذلك تعليلاً دقيقاً  
سائفاً ، فنذكر أنه يمنع من القلب أن يكون بين الشئين تفاوت شديد  
فى الوصف الذى لأجله يشبه ، ثم قصدت أن تلحق الناقص منهما بالزائد  
مبالغة ، ودلالة على أنه يفضل أمثاله فيه .

بيان هذا أن ههنا أشياء هى أصول فى شدة السواد كخافية الغراب  
والقار ونحو ذلك ، فإذا شبهت شيئاً بها ، كان طلب العكس فى ذاك عكساً  
لما يوجب العقل ونقصاً للعادة ، لأن الواجب أن يثبت المشكوك فيه بالقياس  
على المعروف ، لا أن يتكلف فى المعروف تعريف بقياسه على المجهول ،

(١) انقلاب : استقام وانصب . (٢) المصانص ١ - ٥٦٨

(٣) المثال السائر - ١٦٤ (٤) الطراز العلوى ١ - ٣٠٩



وماليس بموجود على الحقيقة ، فأنت إذا قلت في شيء : هو كخافية الغراب ، فقد أردت أن تثبت له سواداً زائداً على ما يعهد في جنسه ، وأن تصحح جهوله ، وإذا لم يكن هنأ ما يزيد على خافية الغراب ، فليت شعري ما الذي تريد من قياسه على غيره فيه <sup>(١)</sup> .

ومن ثم نرى القلب يحسن فيما تعالاه الناس ، كتشبيه الشجاع بالأسد ، والجيل بالبدر والشمس ، والجواد بالبحر ، والرزين بالجيل ، والوديع بالحل ، والماضي بالسهم والسيف ، والحقود بالجل ، واللاحق بالنعامة ، والبخل بالحجر ، والأكول بالفيل ، والرواغ بالشلب ، والمزهو بالطاووس ، واللجوج بالخنفساء .

ومثل هذا يقال في الأعضاء ، فقد تفنن الشعراء في الغزل ، فتغزلوا في المحبوب باسمه ، وكنوا عنه ، واستعاروا له ، ووصفوا أعضائه وشبهوها بأشياء مشهورة ، فشبهوا العين بالترجس ، وأفعالها بالخر والسهم ، وشبهوا الحواجب بالقبسى ، والجبين بالصباح ، والشعور بالليالى ، والسوائف بالغوالى والصوائج والعقارب ، وشبهوا الوجه بالشمس والقمر ، وشبهوا الحدود بالورد والتفاح ، وشبهوا الثغور بالآقحوان ، واللمى بالخر ، والريق بالشهد ، والشفاه بالعقيق ، والأسنان باللؤلؤ ، وشبهوا النهود بالرمان ، والقوام بالنصون ، والأرداف بالكشبان <sup>(٢)</sup> .

إلى غير ذلك مما ألفته الأذواق ، وأزنت به الاسماع ، أو عما تبتكره القرائح على مدى الأيام مما تسلم به الطباع وتستسيغه العقول ، ومن هنا كان كثير من تشبيهات العصرين الجائحة المغرقة في الرمزية ، لا يتأقن فيها القلب ، لأنها غير مفهومة على أصلها ، فكيف بها بعد أن تقلب واعتبر في ذلك

بهذه التشبيهات التي أسوقها إليك ، وهي غيض من فيض مما نقرأه في هذه الأيام للشعراء والكتاب المحدثين :

المرأة : أغنية غرام : فنظراتها كوتر الجيتار الناعم الحنون ، وقوامها كشعاع القمر عندما يتسلل من خلال أغصان الأشجار ، وشفاتها كزورق وحيد تائه على صفحة الماء بين أوراق الأشجار الجافة المتساقطة .<sup>(١)</sup>

وقد نبه الحصري : إلى أن من المعاني ما لا ينقلب ، ألا ترى أنك تقول : نام القوم حتى كأنهم موتى ، ولا يحسن أن نقول : ماتوا حتى كأنهم نيام .<sup>(٢)</sup> وقد أخذ على أبي نواس قوله بصف داراً وقف فيها :

كأنها إذ خربت جارم بين ذوى تقنيده مطرق

فقالوا : إنما يجب أن يشبه الجارم إذا عدلوه فسكت وانقطعت حجته : بأنذار الخالية التي لا تجيب ، ويشبه صممه بصمم الحجر ، ولا يقول أحد : سكت هذا الحجر كأنه إنسان صامت .<sup>(٣)</sup>

وأخذوا عليه قوله :

كان نيراننا في جنب حصنهم معصفرات على أرسان قصار

وقد تبعه أبو تمام الطائي ، فقال في الأفشين<sup>(٤)</sup> :

ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سر الزناد الواري

نار يساور جسمه من حرها لهب كما عصفت شق إزار<sup>(٥)</sup>

والشاهد في البيت الثاني .

قالوا : وإنما تشبه الشياب المعصفرة بالنار .

(١) أخبار اليوم ١١ - ٢ - ٥٠

(٢) زهر الآداب ٢ - ٩٦ - الميوان ٤ - ١٤٦

(٣) الأفشين : بوزن فلسطين : قائد تركي من فواد المصم ، أبلى في الحروب بلاء حسناً ،

ثم سقط عليه لاثامهم بالزندقة ، فصلبه وأُحرق به بتحرير أحمد بن أبي دواد .

فهذا وما أشبهه لا يتوازن انعكاسه ، وتتضاد قضاياه ، وإنما يصح القلب فيها يتحقق تضاده أو يتقارب .

وقد يقال : ولكنهم يميزون القلب في تشبيه الشمس بالمرآة المجاورة . وبالدينار الخارج من السكة كما قال ابن المعتز :

وكان الشمس المنيرة دينار ر جلته حدائد الضراب  
مع عظم التفاوت بين الشمس والمرآة في النور ، وبينها وبين الدينار في النور والجرم .

والجواب : أن التشبيه هنا يقصد به الجمع بين شيئين في مطلق الصورة والشكل واللون ، فهو لم يوضع على مجرد النور والانتلاق ، وإنما قصد إلى مستدير يتلأل ويلعب ، ثم خصوص في جنس اللون يوجد في المرآة المجاورة والدينار المتخلص من حمى السكة كما يوجد في الشمس .

فأما مقدار النور وأنه زائد أو ناقص ، ومتناه أو متقاصر . والجرم أعظم هو أم صغير فلم يتعرض له .

ويستقيم لك العكس في هذا كله : نحو أن تشبه المرآة بالشمس . وكذلك لو قلت في الدينار : كأنه شمس ، أو قلت : كأن الدينار شمس صغار لم تنعده (١) . بخلاف ما مر من قول أبي نواس ، فإنه لم يقصد به مجرد الجمع بين شيئين في مطلق الصورة ، بل قصد به المبالغة في إثبات الصفة .

وجملة القول : أنه متى لم يقصد ضرب من المبالغة في إثبات الصفة للشيء ولا القصد إلى إيهام في الناقص أنه كالزائد ، واقتصر على الجمع بين الشيئين في مطلق الصورة والشكل واللون ، أو جمع وصفين على وجه يوجد في الفرع على حدة أو قريب منه في الأصل فإن العكس يستقيم في التشبيه ، كنشيه



الصبح بغرة الفرس الأدهم ومتى أريد شيء من ذلك لم يستقم<sup>(١)</sup>.  
ومما قصد منه الجمع بين الشبهين في مطلق الصورة ، هذا التشبيه البديع  
لابن المعتز :

وجاءني في قميص الليل مستراً يستعجل الخطو من خوف ومن حذر  
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامة قد قدت من الظفر  
قال الخوى: وهذا التشبيه ذكروا: أنه من مخترعات ابن المعتز ، ولكن زاده  
القاضي الفاضل بهجة ، ونقله من الأعلى إلى الأدنى ، فإن رتبة الهلال وعلوها  
في التشبيه على قلامة الظفر ما رحت مقررة في الخواطر ، إلى أن نقلها القاضي  
الفاضل بطريقة بدعية اقتضتها الحال ، وهي قوله مبالغاً في قلعة نجم ، بالعلو:  
وأما قلعة نجم ، فهي نجم في سحاب ، وعُقاب في عقاب ، وهامة لها الغمامة عمامة  
وأتملة إذا خضبها الأصيل كان الهلال لها قلامة .  
وهذه غاية فاضلية لا تدرك<sup>(٢)</sup>.

وأعجب بقول القاضي الفاضل أيضاً ، علاء الدين الغرولي ، وسمى القلعة  
« حصن كوكب »<sup>(٣)</sup>.

وذكر ابن خلكان : أن القاضي الفاضل أخذ قوله هذا من قول ابن  
المعتز السابق :

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا البيت ،  
وأن ابن المعتز أخذه من قول عمرو بن قيسمة<sup>(٤)</sup> :  
« كأن ابن مزنيتها جانحاً فسيط لدى الأفق من خنصر »<sup>(٥)</sup>

(١) نهاية الأرب - ٧ - ٤٨ (٢) خزائن الأدب - ٢١٨

(٣) مطالع البدور - ٢ - ٢٦٤ (٤) وفيات الأعيان - ١ - ٥١٠

(٥) الفسيط يفتح الفاء : قلامة الظفر ، وابن مزنيتها : كناية عن الهلال .

ولم يرق ابن الأثير ماراتق ، الخوى ، و ، الغرولى ، فى تشبيه القاضى  
القاضل ، فقال — ينقده — : إن من شرط بلاغة التشبيه : أن يشبه الشيء  
بما هو أكبر وأعظم منه ، ومن هنا غلط بعض الكتاب من أهل مصر  
فى ذكر حصن من حصون الجبال مشبها له ، فقال هامة لها العمامة عمامة إلخ .  
ثم مضى بقول : وهذا الكاتب حفظ شيئا وغابت عنه أشياء ، فإنه  
أخطأ فى قوله : أنملة ، وأى مقدار للأنملة بالنسبة إلى تشبيه حصن على رأس  
جبل وأصاب فى المناسبة بين ذكر الأنملة والقلامه وتشبيهها بالهلال .

ثم قال : إنه قد يقال : إن هذا الكاتب تأسى بقول الله — تعالى — :  
« الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، فتل نوره  
بطاقة فيها ذبالة .

وقوله — تعالى — : « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون  
القديم ،

فتل الهلال بأصل يذوق النخلة<sup>(١)</sup> .

وأجاب عن ذلك : بأن هذا مثال ضربه الله — تعالى — للمنى — صلى الله  
عليه وسلم — فالشجرة : ذات الرسول ، وقلبه : الزجاجة .  
والمراد من إضاءة زيت هذه الزجاجة من غير نار : أن فطرته فطرة  
صافية من الأكدار<sup>(٢)</sup> .

وأما الآية الأخرى ، فإنه شبه الهلال فيها بالعرجون القديم ، وذلك فى  
هيئة نحوله واستدارته لا فى مقداره ، فإن مقدار الهلال عظيم ، ولا نسبة  
لعرجون إليه ، لكنه فى رأى النظر كالعرجون هيئة لا مقداراً .  
وأما هذا الكاتب ، فإن تشبيهه ليس على هذا النسق ، لأنه شبه صورة

(١) العنق بالكسر : قنو النخلة وبالفتح : النخلة بأجمعها .

(٢) فى هذه الآية مذاهب كثيرة فى تفسيرها .

الحصن بأنملة في المقدار لا في الهيئة والشكل ، وهذا غير حسن ولا مناسب وإنما ألقاه فيه أنه قصد الهلال والقلامة مع ذكر الأنملة ، فأخطأ من جهة وأصاب من جهة لكن خطؤه غطى على صوابه <sup>(١)</sup> .

والحق أن ابن الأثير قد تحامل في نقده على القاضي الفاضل وبلغ الغاية في تفنيده ظالماً له !

فقله : إن من شروط بلاغة التشبيه : أن يشبه الشيء بما هو أكبر وأعظم منه ليس مطرداً وإنما يكون هذا في التشبيه العادى ، وأما في التشبيه المقلوب ، فيجعل الفرع أصلاً والأصل فرعاً ، ويشبه الزائد بالناقص على جهة التخييل والإيهام .

ثم كيف عرف أن الفاضل يريد تشبيه الحصن بالأنملة في المقدار ! ولم لا يكون مراده التشبيه في الهيئة والشكل كما في الآية الكريمة ، وبخاصة إذا علمنا أنه يصف قلعة مفرطة في العلو ذاهبة في السماء لأنها مبنية فوق جبل ألا يدل ذلك على أنه يصفها في مرأى العين لا من حيث الواقع ، ولهذا نراه ينعته بأنها ، نجم ، وأنها ، عقاب ، والعقاب من دأبها التحليق .

ولعله مما يؤيد هذا التعصب على الفاضل أن ابن الأثير أغفل اسمه وكفى عنه ، ببعض الكتاب من أهل مصر . .

وقد كنت رأيت هذا الرأي اعتماداً على تنافس المعاصرين ، ولا سيما إذا كانوا متحدين في الصنعة — والاشتراك في الصنعة عداوة — حتى تحقق لدى ذلك بما ذكره ابن خلكان : من أن ابن الأثير كان يعارض القاضي الفاضل في رسائله ، فإذا أنشأ رسالة أنشأ مثلها ، وكانت بينهما مكاتبات ومجاوبات <sup>(٢)</sup> .

ولا شك أن إغفال ابن الأثير لاسم القاضي الفاضل — وهو علم على

(٢) وفيات الأعيان — ٢ — ٢١١

(١) المثل السائر — ١٥٦



رأسه ناز - لا يدل على سمو في الخلق ولا في الذوق ، بل هو جفاء وغلظة لا يصح أن تصدر من كاتب ، ولكن شدة إعجاب ابن الأثير بنفسه واعتداده بمقدرته الإنشائية كثيراً ما يحيدان به عن أدب النفس ونزاهة النقد<sup>(١)</sup>.

قدمنا أن القلب في التشبيه لا يتأني إلا فيما يكون متعارفاً وأشبعتنا القول في ذلك موضعاً بالأمثلة .

ونزيد على هذا شرطاً آخر له أهميته ، وهو أنه لا بد من وجود قرينة تدل على مراد القائل من أنه يقصد جعل الأدنى أعلى كقول الشاعر :

ولم أر مثل هالة في معبد يشابه حسنها إلا الهلالا  
لأن الأمر لا بد فيه من النية ، فإذا لم يكن من نية القائل القلب .  
وجرى على أصل التشبيه من إلحاق الناقص بالزائد . فهنا يتمتع العكس مع بقاء الغرض ؛ لأن تنزيل الزائد منزلة الناقص يضاد المبالغة في الإثبات .<sup>(٢)</sup>  
والتشبيه المقلوب مبنى على المبالغة ، فلا يأتي شيء منه إلا والمقصود ذلك .  
ومن ثم كان الغرض من التشبيه فيه يعود إلى المشبه<sup>(٣)</sup> به حتماً حتى تتم المبالغة في شأنه ، بخلافه في غير ذلك فإنه يعود إلى المشبه .  
وهذه المبالغة من وجهين :

١ - وهو الغالب ، والكثير الشائع . لإيهام أن المشبه به أتم في وجه الشبه من المشبه : أي في حال القلب كما مر في الأمثلة مع أنه ليس كذلك في الواقع ؛ لأننا إذا رجعنا إلى التحقيق لم نجد الأمر يستقيم على ظاهر ما يضعه القائل ، اللفظ عليه ، إذ الإيهام إنما هو في القلب ، وأما المشبه به في الأصل فأتم حقيقة<sup>(٤)</sup>.

(١) فن الأسجاع على الجندی ١٣٦ - ١٣٧

(٢) الأقصى القريب ٤١ - نهاية الإنجاز - ٧٧ - نهاية الأرب - ٧ - ٤٨

(٣) القوائد الفياضية - ٢٠٣ - (٤) المصدر السابق - ٢٠٥ - التجريد - ٤ - ٩٩

٢ — بيان الاهتمام بالمشبه به لفظاً ومعنى ، كما إذا شبه الجائع وجهاً جميلاً يشبه البدر في الاستدارة والإشراق ، بالرغيف في الاستدارة واستلذاذ النفس به ، إظهاراً لاهتمامك بشأن الرغيف لا غير .

ويسمى هذا النوع إظهار المطلوب ، وذلك لإتيان صاحبه بما يدل على أنه جائع ، وأن الرغيف مطلوب عنده حتى لا يجد في خاطره عند قصد التشبيه غيره ، فإنه لما عدل عن تشبيه الوجه بالبدر الذي هو المناسب وعكس المعنى ، دل كلامه — بمصاحبة بعض الترائن الحالية أيضاً — على أنه جائع جوعاً أوجب له أنه إذا التفت إلى ما يشبه به هذا الوجه ، لم يجد أقرب من الرغيف لشدة الرغبة الموجهة لعدم زواله عن الخاطر (١) .

على أنه يجب أن يكون معروفاً أن العلاقة بين الوجه والرغيف ليست نائية ولا بعيدة ، ولا تستمد وجودها من حاسة الجوع فقط ، بل تعتمد على صلة وثيقة مستقلة ، ولولاها ما حسن التشبيه ولا كان دقيقاً ، قال الفرزدق الشاعر لقب بذلك لأن وجهه كان غليظاً جهها يشبه « الفرزدق » وهو الرغيف الذي يسقط في التنور ، أو الرغيف الضخم الذي يحففه النساء للفتوت (٢) .

وقال مجير الدين بن نعيم :

وكان أرغفة الخوان وحولها      بقل تمش إليه نفس الآكل  
وجنات غيد صُفِّفت ، وجميعها      يبدو بها خط العذار الباقل  
وكما يشبه الرغيف بالوجه يشبه أيضاً بالقمر ، قال شاعر يهجو الحجاج بأنه كان معلم صبيان :

أبني كليب زمان الهزال      وتعليمه سورة الكوثر (٣)

(١) شروح النخيس — ٣ — ٤١١

(٢) خزائن الأدب لبغدادى — ١ — ٢٠٤ — الأغاني — ١٩ — ص ٢

(٣) كليب : اسم للحجاج وهو صغير .

رغيف له فلكه ما ترى وآخر كالقمر الأزهر (١)  
يريد أن بعض الرغفان غير تام الاستدارة وبعضها تام ، لأن خبز  
المعلمين يأتي مختلفا ، لمجيئه من بيوت صبيان مختلفي الأحوال .  
وقال ابن الحاجاج :

يا صاحب البيت الذي قد مات ضيفاء جميعا  
مالي أرى فلك الرغيف م لديك مشرقا رفيعا  
كالبدر لا ترجو إلى وقت المساء له طلوعا  
فسيبه الرغيف بالبدر لعنتين : إحداها الاستدارة ، والثانية طلوعه  
مساء (٢)

وقال أبو الحسن الجزار :

قسما بلوح الخبز عند خروجه من فرنه وله الغداة تجار  
ورغائف منه تروك وهي في مرأى العيون كأنها أقمار  
من كل مصقول السوائف أحمر الخدين م للشونيز في — عذار (٣)  
وكان باطنه بكفك درهم وكان ظاهر لونه دينار  
كالفضة البيضاء لكن يغتدي ذهباً إذا قويت عليه النار  
ويقول حافظ :

ويخال الرغيف في البعد بدرأ ويظن اللحوم صيداً حراما  
فالعلاقة — كما ترى — بين هذه الثلاثة : الوجه والرغيف والقمر قوية  
مسئلة لم تغب عن نظر الشعراء .

وقد نص السكاكي على أن هذا النوع الأخير — وهو ما سمي بإظهار  
المطلوب — لا يحسن المصير إليه إلا في مقام الطمع في تسنى المطلوب (٤) .

(١) الفلكة بفتح فمكون : مستدار كل شيء .

(٢) أسرار البلاغة — ٢٣٧ — (٣) الشونيز : ضم الدين وفتحها : الخبة السوداء .

(٤) مفتاح العلوم — ١٨٥ — شروح التلخيص — ٣ — ١١١ .



وقد ذكروا : أن الصاحب بن عباد قصد مجلسه أحد القضاة ، فاستظرفه  
وأمر ندماءه أن يحيزوا قوله :

وعالم يعرف بالسجزي<sup>(١)</sup>

فنظموا على أسلوبه حتى انتهت النوبة إلى أحدهم من الأشراف العلويين  
— وكان جائعاً — فقال :

أشهى إلى النفس من الخبز .

فقطن الصاحب إلى أنه جائع فأمر بإعداد مائدة له .

وليس هذا من قبيل التشبيه ، ولكنه إشارة إلى المثال بتشبيه الوجه  
الحسن بالرغيف .<sup>(٢)</sup>

على أن العلي — كما تقدم — جعل من أدوات التشبيه أفعال التفضيل  
مثل زيد أفضل من عمرو .

وبما جاء على نحو من قول الشريف العلوي في القاضي السجزي قول  
الشاعر الأعرابي<sup>(٣)</sup> :

ثما صحفة مأدومة يا هالة بأطيب من فيها ولا أقط رطب<sup>(٤)</sup>  
وقول آخر<sup>(٥)</sup> :

فإنك إن ترى عرصات مجمل بعاقبة فأنت إذا سعيد<sup>(٦)</sup>  
لها عينان من أقط ونمر وسائر خلقها بعد الثريد  
يريد بالإقط والنمر ما اجتمع فيهما من البياض والسواد ، وبالثريد :  
لين جسمها .

(١) السجزي : نسبة إلى سجنستان ، وهي من شواذ النسب . وفيات الأعيان ١ - ٥٤٩ -  
الزهر - ٢ - ٢٢٩ (٢) الفوائد الغيابة - ٢٠٥ (٣) ديوان الحماسة - ٢ - ٤٠٣  
(٤) الإهالة : كل ما يؤتد به ، والأقط : ما يتخذ من الخيش الغصني . الراب ٥ .  
(٥) المصدر نفسه والرقم . (٦) العرصات جمع عرصة : المسكن المتسع ، وبالعاقبة :  
أي عقب معرفتها .

فإننا لا نشك حين نسمع هذا الشعر أن صاحبيه في حال إنشائه كانا في شوق عارم إلى هذه الألوان من الأطعمة التي أشادوا بها .

ومثل هذه النشيدات يحسن أن ننظر إليها من ناحيتين :

الأولى : ناحية الذوق الجمال ، وهنا لا يسعنا إلا أن نحكم على أصحابها بقلة نصيبهم من هذه الموهبة النفسية ، إلا أن يقال : إنها وردت على سبيل المفاكهة ، فهي إذاً لون من الهزل لا الجد ، فإنه إذا قال إنسان : إن أجهل ما في الوجود هو شواء الضأن أو كثرة الشراب ، فينبغي أن نعرف أنه عاطل من تذوق الجمال ، وأنه يخلط الجمال بشيء آخر يحبه .<sup>(١)</sup>

وليس شيء أذل ولا أسر من عز الأمر والنهي ، ومن الظفر بالأعداء ، ومن عقد المن في أعناق الرجال ، والسرور بالرياسة وثمرة السيادة ، لأن هذه الأمور هي نصيب الروح وحظ الذهن وقسم النفس ، فأما المطعم والمشرب والمنسكح والمشم ، وكل ما كان من نصيب الحواس ، فقد علمنا أن كل ما كان أشدّ نعماً وأرغب كان أتم لوجدانه الطعم .<sup>(٢)</sup>

وقد عبر عن ذلك أصدق تعبير ذلك الشيخ الأعرجي الذي نزل به فتي عاشق أكلوا فقال فيه (٣) :

وقد رايتني من جعفر أن جعفرأ      يبيع على قرصى ويبيكي على مجمل<sup>(٤)</sup>  
فلو كنت عذرى العلاقة لم تبت      بطينا وأنساك الهوى شدة الأكل  
فأجابه الفتي :

إذا كان في بطني طعام ذكرتها      وإن جعت يوماً لم تكن لي على ذكر

(١) فلسفة الجمال ترجمة عبد الحميد بونس — ٨٨

(٢) الحيوان — ٢ — ٣٣ (٣) العقد الفريد — ٤ — ٢٤١ — ذيل الأملال لفقالي — ٢١٣

(٤) يبيع : يشد .

وبزاد حبي ابن شبعث يجدد

وان جعت غابت عن فؤادي وعن فكري

ولكنه في مقابل هذا الفتي المعرم ، وبجمل ، وبالطعام . ووجد أناس  
حات اللذات المعنوية من نفوسهم المحل الأسمى .

فقد ذكر الشعبي : أنه كان يحدث عبد الملك بن مروان - وهو يأكل -  
فيحبس الخليفة اللقمة ، فيقول الشعبي : أجزها أصلحك الله ! فإن الحديث  
من ورائها ، فيقول : والله لحديثك أحب إلى منها <sup>(١)</sup> .

وحدث عيسى بن دأب الخليفة المهدي بنصيحة ملكية ، وفي يده لقمة  
قد رفعها إلى فيه ، فأمسكها وقال : ويحك أعد علي ما قلت !  
فقال يا أمير المؤمنين : أسغ لقمته !  
فقال : حديثك أعجب إلى <sup>(٢)</sup> .

ويقول ابن الماجشون إنني لأسمع بالكلمة المليحة وما لي إلا قيص واحد  
فأدفعه لصاحبها وأستكسب الله - عز وجل - <sup>(٣)</sup> .

وحدث عروة بن عبد الله : أن عروة بن أذينة الليثي كان نازلا في دار  
أبي العقيق ، فسمعه ينشد لنفسه .

إن التي زعمت فؤادك ملأها	خلقت هواك كما خلقت هوى لها
فإذا وجدت لها وساوس سلوة	شفع الضمير إلى الفؤاد فسلاها
يضاء باكرها النعم فصاغها	بلباقه فأدقها وأجلها
لما عرضت مسلما في حاجة	أخشى صعوبتها وأرجو حلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي	ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا وقال لعلها معذورة	في بعض رقيتها فقلت لعلها

(١) روى الأخبار الحميد بن قاسم بن يقوب - ٣٣٦ .

(٢) زهر الآداب - ٢ - ١٨٠ (٣) زهر الآداب - ١ - ٢٠

(٤) - ١٩٢ - في الشبيه



قال فأتاني أبو السائب المخزومي ، فقلت له — بعد الترحيب والبشر —  
ألك حاجة ؟

قال : نعم أبيات العروة بلغني أنك سمعته ينشدها .

فأنشدته الأبيات ، فلما بلغت إلى قوله :

فدنا وقال لعلها معذورة ، البيت ،

طرب وصاح ! وقال : هذا والله الدائم الصباية الصادق لا كالذي يقول :

إن كان أهلك بمنعونك رغبة عني فأهلي بي أضن وأرغب

لقد عدا هذا الأعرابي طوره ! وإني لأرجو أن يفخر الله لصاحب هذه

الأبيات لحسن ظنه بها وطلب العذر لها !

قال فعرضت عليه الطعام ، فقال : لا والله ما كنت لأخطئ بهذه الأبيات

طعاماً حتى الليل !

ثم انصرف <sup>(١)</sup> .

ونقل عن ابن الأثيري : أنه كان يأخذ الرطب ويشمه ويقول :

أما إنك لطيب ، ولكن أطيب منك ما وهبه الله — عز وجل — لي

من العلم <sup>(٢)</sup> .

وأثر عن الشافعي قوله :

سهرى لتتقيح العلوم ألد لي من وصل غانية وطيب عناق

وألد من نقر الفتاة بدفها نقرى لألقى الرمل عن أوراقي

والناحية الأخرى : ناحية الصدق المؤثر في الأداء والشعور معاً ، وهي

ناحية لا تنكسر قوتها وروعيتها ، لأنها تصور لنا مبلغ أهمية هذه الأشياء

وسلطاتها على نفوسنا حين يلدع الجوع أحشائنا !

وحتى إذا لم نكن قد أصبنا بجوع قط ، ولم نشرد في العراء أبداً كما يقول

جارت ، فإن للصعاب والمأوى أهمية بشرية عامة ، ولو أن شاردين Chardin بدلا من رسمه الرغيف رسم مخروطاً غير منتظم ، أو زجاجة شمبانيا ، ولو أن رامبراندت ، بدل رسمه لطاحونة الهواء ، رسم أسطوانة منتظمة أو رذاذا ، مع ما في رسم هذه الأشياء من صعوبة لا تقل عما عداها ، لكان جمال رسوم هؤلاء الفنانين مختلفاً — على الأقل — عن رسومهم التي أنتجوها فعلاً (١) .

وبما لا خلاف فيه أن هذه التشبيهات القائمة على الشهوات والرغبات من نحو قول الشريف العلوى :

أشهى إلى النفس من الخبز .

لها صلة وثيقة بالنفس .

فمن الثابت ؟

١ - أن الإنسان إذا أحب شيئاً كلف برؤيته ولهج بذكره كما يقول كثير :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما  
وقول إبراهيم بن المهدي :

لم ينسَ ينك سرور لا ولا حزن  
وكيف لا كيف ينسى وجهك الحسن !

ما زلت مذ كلفت نفسي بحبكم  
كفى بكلك مشغول ومرتهن

نور تجسم من شمس ومن قمر  
حتى تكامل منه الروح والبدن

ومما رواه القالى (٢) :

ولما أبى إلا جماعاً فواده  
ولم يسلم عن ليلى بمال ولا أهل

تسلى بأخرى غيرها فإذا التي  
تسلى بها تغرى بليلى ولا تسلى

(١) فلسفة الجمال - ٣٣ (٢) كفى بليلى عن عزة وكثيراً ما يفعلون ذلك .

(٣) الأمالى والنوادر - ١ - ٢٩٦ - ونسبها صاحب تزيين الأسوانى إلى مجنون ليلى - ٣٣

ولا بن عبد ربه كلمة نفيسة في ذلك ، قال : وقد تكلم الناس في النعمة  
والسرور على تباين أحوالهم ، واختلاف هممهم ، وتفاوت عقولهم ،  
وما يجانس كل رجل منهم في طبعه ، ويؤلفه في نفسه ويميل إليه في وهمه ،  
وإنما اختلف الناس في هذا المذهب لاختلاف أنفسهم ، فمنهم من نفسه  
عصية ، فإنما هم منافسة الأكفأ ، ومغالبة الأقران ، ومكابرة العشيرة .  
ومنهم من نفسه ملكية ، فإنما هم اليقين في العلوم ، وإدراك الحقائق ،  
والنظر في العواقب ، ومنهم من نفسه بهيمة ، فإنما هم طلب الراحة ، واهتبال  
النفس على الشهوة من الطعام والشراب والنكاح .<sup>(١)</sup>

وقد قيل لامرئ القيس : ما السرور ؟  
قال : بيضاء رعبوبة ، بالحسن مكبوبة ، بالشحم مكروبة ، بالطيب  
مشبوبة .

وكان مفتوناً بالنساء .

وقيل لأعشى قيس : ما السرور ؟  
قال : صباه صافية ، تمزجها ساقية ، من صوب غادية .  
وكان مغرماً بالشراب .

وقيل لطرفة : ما السرور ؟  
قال : مطعم هني ، ومشرب روي ، وملبس دني ، ومركب وطى .  
وكان يؤثر الخفض والدعة .

وقيل ليزيد بن مزيد : ما السرور ؟ قال : قبة على غفلة .  
وكان صاحب وصائف<sup>(٢)</sup> .

وقال طفيلي :

(١) البقد الفريد — ٤ — ٢٤٦ (٢) الصدوق — ٢٤٧ — ٢٤٨ — زهر

الأحباب — ٢ — ٢٠٣ — عيون الأخبار — ١ — ٢٠٩



ألا ليت لي خبزاً تسربل رائيها      وخيلاً من البرني فرسانها الزبد<sup>(١)</sup>  
فأطلب فيما ينهز شهادة      بموت كريم لا يشق له الخد  
وقيل لبعض الطفيلين : أي سورة تعجبك في القرآن ؟ قال المائدة .  
قيل : فأى آية ؟

قال : . ذرهم يأكلوا ويتمتعوا . .

قيل : ثم ماذا ؟

قال : . ادخلوها بسلام آمنين . .

قيل : ثم ماذا ؟

قال : . وما هم منها بمخرجين ،<sup>(٢)</sup> .

وهكذا كل امرئ أمنيته على ما بطابق غريزته ، ويوافق<sup>(٣)</sup> تحيزته .  
وسبحان من أودع في كل قلب ما شغله .

٢ - إذا قوى إحساس الإنسان بشيء حل منه في بؤرة الشعور ،  
وانتقل غيره إلى الخاشية ، فأصبح جلياً واضحا مستقيراً<sup>(٤)</sup> يشغل ذهن صاحبه ،  
ويجري على فلتات لسانه من غير قصد .  
وقد قيل لأشعب ما أحسن الغناء ؟  
قال : نشيش المقل<sup>(٥)</sup> .

وساوم رجلاً في قوس عربية ، فطلب الرجل ديناراً .  
فقال أشعب : والله لو أرمى بها طائراً في جو السماء ، فيقع مشوياً بين  
رغيفين ما أعطيتك بها ديناراً<sup>(٦)</sup> .  
وقيل لطفيل : كم اثنان في اثنين ؟

(١) البرني : ضرب من البر أنكر مدور وهو أجود الخمر .

(٢) المستطرف للأبشي - ١ - ٢٤٧ (٣) زهر الآداب - ٢ - ٢٠٣

(٤) علم النفس للاستاذين الرحوم الجارم بك ، ومصطفى بك أمين ،

(٥) العقد الفريد - ٤ - ٢٤٢ (٦) المصدر نفسه - ٢٣٦ .

قال : أربعة أرغفة ! <sup>(١)</sup> .

وقيل لبنيان الطفيلي : كم كان عدد صحابة رسول الله يوم بدر ؟

قال : ثلثمائة وثلاثة عشر رغيفاً !

وفي رواية : درهما <sup>(٢)</sup> .

وقيل لوراق ما تشتهي ؟

قال : قلما مشاقفاً ، وجبراً براقاً ، وجلوداً رقاقاً <sup>(٣)</sup> .

وكان محمد بن راشد البجلي يتغدى ، وبين يديه شبوطة وخياط يقطع

ثياباً له ، وراه يلحظ الشبوطة .

فقال له زعمت أن هذا الثوب يحتاج إلى خرقه فكم مقدارها ؟

فقال ذراع في عرض الشبوطة <sup>(٤)</sup> .

ودخل آخر على رجل يأكل أترجة بعسل ، فأراد أن يقول السلام

عليكم ، فقال : عَسَلِكُمْ <sup>(٥)</sup> .

ويقول الجاحظ في ذلك : ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها

بعد امتحان سواها فلم تلوق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مشاكاة بينها وبين

تلك المعاني في الصناعة .

وقبيح بالمتكلم أن يفتقر إلى ألفاظ المتكلمين في خطبة أو رسالة ، أو في

مخاطبة العوام والجار ، أو في مخاطبة أهله وعبدته وأمه ، أو في حديثه إذا

حدث أو خبره إذا أخبر ، وكذلك من الخطأ أن يجلب ألفاظ الأعراب

وألفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل ، ولكل مقام مقال ، ولكل

صناعة شكل <sup>(٦)</sup> .

(١) القند الفريد - ٢٣٧ (٢) معالم البدور - ٢ - ٥١ - البيان والتبيين

- ٢ - ١٤٢ - السندوني (٣) زهر الآداب - ٢ - ٢٠٣

(٤) الشبوطة يضم الشين وفتحها مع التشديد وقد تخفف: سمكة دقيقة الذنب عريضة الوسط

لينة المس صغيرة الرأس . (٥) البيان والتبيين - ٢ - ١٤٤

(٦) الميوان - ٢ - ١١٤

(٣) كل واصف ، فإنما يشبه الموصوف من جنس صناعته وبما تكثر رؤيته له (١) .

وإنك لتجد مصداق الأول فيما ذكروا : من أنه قدم إلى أبي على الفارسي النحوي شكري غير تضييع ، فقال هذا لم تعمل فيه العوامل (٢) .

وقال ملاح : وقع علينا اللصوص ، فأول رجل دخل علينا السفينة كان طول هذه المدري ، وكانت نخذه أغلظ من هذا السكبان ، واسود وجه صاحب السفينة حتى صار أشد سواداً من هذا القير (٣) .

وقال أبو هفان : سألت وراقاً عن حاله ، فقال عيشي أضيق من بحيرة وجسمي أدق من مسطرة ، وجاهي أرق من الزجاج ، ووجهي عند الناس أشد سواداً من الخبر بالزجاج ، وحظي أخفى من شق القلم ، ويداي أضعف من قصبة ، وطعامي أمر من العصف ، وشرابي أحر من الخبر ، وسوء الحال ألزم لي من الصمغ !

فقلت له : عبرت عن بلاء بلاء (٤) .

وكان بعض الأطباء في خدمة بعض الملوك أثناء غزوة ، ولم يكن معه وقت الانتصار كاتب ، فتقدم إلى الطبيب أن يكتب إلى الوزير يعنه بذلك ؟ فكتب : أما بعد فإننا كنا مع العدو في حلقة كدائرة البيمارستان ، حتى لو رميت مبضعاً لم يقع إلا على قيفال ، فلم يكن إلا كنبضة أو نبضتين حتى لحق العدو بحر أن عظيم ، فهلك الجميع بسعادتك يا معتدل المزاج (٥) .

ومشى البيدق البريدي مع امرأة جميلة ، فقال له شمس الدين المنجم الشاعر : أراك يا بيدق تفرزن حول هذه النفس !

فقال له : وإذا كان ذلك ؟

(١) بئمة الدهر الثماني ١ - ٢٥ (٢) مطالع البدور ٢ - ٥٦

(٣) البيان والتبيين ٢ - ١٤٢ ط - السندوني ٤ (٤) زهر الآداب ٢ - ٢٠٠

(٥) مطالع البدور ٢ - ١٠٨ والفيقال بالكسر: العرق في اليد يفصد .



فقال المنجم : أخشى عليك من ذلك الرخ يقطعك من الحاشية ، ويرميك  
عن الفرس ، ويقطع عليك الرقعة ولو كان في كفك القيل !  
يشير بقوله « الرخ » إلى أحد الأعيان وكان يحب المرأة <sup>(١)</sup> .  
وقد جمعت هذه القطعة كثيراً من مصطلحات الشطرنج .  
وقد وصفت البلاغة على السنة قوم من أهل الصناعات <sup>(٢)</sup> .  
كما وصفت الحرب كذلك <sup>(٣)</sup> .

فاستعملوا في أوصافهم مصطلحات فنونهم ، وأسماء آلاتهم فجاءوا في هذا  
بكل طريف وغريب !

ولا شك عندنا أن بعض ذلك موضوع : لارتفاع مستوى هذا الكلام  
عن طبقتهم ، ولكن لا خلاف أن الذين وضعوا هذه الأقوال ونخلوها  
أصحاب هذه الصناعات والمهن ، تخيلوا أن هؤلاء الأقوام لو أتتحت هم  
القدرة على صوغ هذا الكلام ما نطقوا بغيره .

ونجد مصداق هذا في الشعر الملوكي وما مثله من شعر المترفين ، وفي  
شعر الفروسية والبطولة والحماسة ، حيث تلمس في الأول لين الحاشية وبلهية  
العيش ، ونضرة النعم ، وزهرة الدنيا ، وترى في الثاني أدوات القتال  
وآلات الحرب ، وتعانق السيوف واشتجار الرماح ، وجيشان الدماء ،  
وطرد الفرسان .

فمن الأول قول الأمير تميم الفاطمي <sup>(٤)</sup> :

نقبت وجهها بنحز وجمات بمسدام منقب بزجاج  
فناملت في النقاين منها قرأ طالعا وضوء سراج  
وقول سيف الدولة :

كأنما النار والرماد معا وضوءها في ظلامه يحجب

(١) مطلع البدور - ١ - ١٧٧ (٢) زهر الآداب - ١ - ١٥٤

(٣) طراز المجالس - ٦٨ (٤) زهر الآداب - ٢ - ١٧٧

وجنة عذراء مسها خجل فاستترت تحت عنبر أشهب  
ومن الثاني قول أبي فراس :

والماء يفصل بين زهر الروض في الشطين فصلا  
كسباط وشى جردت أيدي القيون عليه فصلا  
وقوله يصف بستانه المسمى ، البديع ، (١) :

انظر إلى زهر الربيع والماء في برك ، البديع ،  
وإذا الرياح جرت عليه في الذهب وفي الرجوع  
نثرت على بيض الصفا موح بيننا حلق الدروع

فانظر إلى هذا الفارس الشاعر ، كيف لم يفارقه خيال البطولة ! فأحال  
هذا البستان ، البديع ، الوديع ميدانا لمركة طاحنة تتطاير فيها أنسجة الدروع  
على سفار السيوف !

ولإبراهيم بن موسى بن جميل :

غزني بجيش من محاسن وجهها فعبأ لها طرفي ليدفع عن قلبي  
قلنا التو الجمعان أقبل طرفها يريد اغتصاب القلب قسراً على الحب  
ولما تجارحنا بأسياف الحظنا جعلت قوادى في يديها على العضب  
وناديت من وقع الأسته والقنا على كبدي يا صاح مالي وللحب  
فصرت صريعاً للهوى وسط عسكر قتيل عيون الغانيات بلا ذنب  
وقد لا يكون هذا الشاعر من رجال الحرب ، ولكن هذا لا يمنع أن  
تكون فيه طبيعة الفرسان .

ومثله ما نسب إلى حمدونة الأندلسية ، وقيل لمهجة بنت عبد الرازق  
الغرناطية (٢) :

ولما أبي الواشون إلا فراقنا وما لهم عندي وعندك من نار

(١) بنية الدهر - ١ - ٤٥ (٢) معجم الأدباء لياقوت - ١ - ٢٧٥

وشنوا على أسماعنا كل غارة  
وغل حناى عند ذاك وأنصارى  
غزوتهم من مقلتيك وأدمعى  
ومن نفسى بالسيف والسيل والنار  
ويقال فيه ما قيل فى سابقه ، فبعض النساء فيهن طبيعة الرجال ؛ وهن  
اللاتى يسمين بالمدكرات :

ومن أروع ما قرأت فى ذلك : ما رواه النويرى <sup>(١)</sup> ولم ينسبه إلى قائله  
ولكن جاء فى غضون الآيات ما يدل على أنه كان من الفرسان المحاربين .  
ويروى فى قائله : أنه وازن بين أدوات الحرب وأدوات الفرام موازنة  
من مارس المعركتين معا وقاسى حرهما ، فعرفنا منها أيهما أشد هولاً  
وأصعب مراساً :

هزوا القدود وجردوا الأجفانا	فاطلب لنفسك إن قدرت أمانا
والقى السلاح إذا اتشوا وإذا رنوا	وكن الجبان وإن ملكت جنانا
واحذر ضرباً بالعيون وسيل به	مثلى ، وجانب بالقدود طعانا
فلقد رأيت الأسد وهى كواسر	تخشى بمعترك الهوى الغزالانا
لا تعبأت بذابل وبياتر	وخف المهفف واحذر الوسنانا
لولا تشابه مقلة أو قامة	ماخفت يوماً صعدة وسنانا
وأنا الذى حضر الوقائع فى الهوى	وأقام فى أسر الفرام زمانا
ولكم رأيت به الشدائد مرة	ولكم رأيت به الملمات عيانا
وثبت بين معاطف ولواحظ	فى موقف يند الشجاع جبانا
مستلباً للعشق لا مستصرخا	صبراً ولا مستجداً سلوانا
أرجو الشهادة إن قتلت به وما	وليت فيه ولا ثنيت عنانا
يا ويح قلب ما خلا من شغله	بصبابة ومحبة مذكانا



لو فُتِشُوا لَمَا لَقُوا لسوى الهوى فيه ولا غير الغرام مكانا  
ومن قول شاعرنا ، حافظ ، في ذلك يصف مجلس أنس :  
وفتيان راح أقسموا أن يبددوا جيوش المدحى ما بين أنس وأفراح  
فهبوا إلى نخارة قيل إنها قعدة خمر تمزج الروح بالراح  
وقالوا لها إنا أتينا على ظما نحاول ورد الراح رغماً عن اللاحي  
فقامت في أجفانها كسل الكرى وفي ردفها واستعرضت جيش أقداح  
وقد علق شارح ديوانه الأستاذ ، محمد هلال ، على هذه المقطوعة  
فقال : يلوح لنا أن صاحبنا لم يقل هذه الآيات إلا في ليلة قضى نهارها في  
تمريبات عسكرية ، ما لبث عقبها أن لحق بخلائه في مجلس لهوهم هذا ، مفعماً  
صدره بالفاظ الجندية من تجييش الجيوش ، وتبديد العدو ، واستعراض  
الجند إلى غير ذلك ، مما يقره في قراره ، ويرده إلى معدنه <sup>(١)</sup> .

(١) ديوان حافظ - ١ - ١٣٧ «الطبعة الأهلية» .

## الفصل الثاني والعشرون

### قيمة التشبيه المقلوب وتطوره وما يتصل بذلك

بعد هذا الاستطراء الذي أوردناه في الفصل السابق والذي هو من صميم موضوعنا نقول : إن البيانيين لم يفهم أن يشيدوا بجمال التشبيه المقلوب ، فقال الوطواط : أجمل التشبيهات ، وأكثرها قبولا لدى الطباع : هي تلك التي إذا انعكست ، وشبه فيها المشبه به بالمشبه ، فإن الكلام يستقيم مع صحة المعنى وسلامته وصواب التشبيه وصحته . مثل تشبيه الضرة بالليل البهيم ، فإنهم إذا شبهوا الليل البهيم بالظرة كان التشبيه جميلا مقبولا ، ومثل تشبيه الهلال بنعل الجواد ، فإنهم إذا شبهوا نعل الجواد بالهلال كان التشبيه كذلك حسنا (١) .

وهذا كلام صحيح في أصله ، ولا يعكر عليه إلا تشبيه الهلال بنعل الجواد وبالعكس فإننا لا نراه حسناً ؛ فإنه وإن تشابها هيئة في الجملة إلا أن فيه زراية على هذه الصورة السماوية الوضيئة الجميلة ، ونزولا بها إلى مستوى شيء محقر .

وحسبنا أن بعض المتورعين نهى عن تصغير القمر لأن الله كبيره . ويقول الحصري : وقد ترى تكثير الشعراء من تشبيه أوراك النسوان بالرمل والكثبان ، قال الشاعر :

وبيض فضيرات الوجوه كأنما تآزرن دون الأزر رملات عاج (٢)

(١) حقائق الشعر - ١٣٨ (٢) عاج : مكان به رمل .

يخدال الشوى لا تحتشى غير خلقها إذا الراسع لم يصبرن دون المنافع<sup>(١)</sup>  
يذرن مروط الخز ملأى كأنها قصار وإن طالت بأيدي الثواسع  
وهذا المعنى متداول متناقل في الجاهلية والإسلام ، فأغرب ذو الرمة  
في قلبه وأحسن فقال يصف زملا<sup>(٢)</sup> :

ورمل كأوراك العذارى ، البيت المتقدم .  
ويقول داود الانطاكي : وأرفع الكل — يريد أساليب التشبيه —  
جعل الممدوح مشبهاً به محذوف الأداة ، مرشحاً بلطائف الأوصاف ،  
وقل سالكه كقوله :

شمس الضحا بكينك الوضاح أف لمن جعلوه كالصباح<sup>(٣)</sup>  
ويلاحظ أن المثال الذي أورده غير محذوف الأداة .  
على أنه ليس من الحتم ، أن يقع التشبيه المقلوب صريحاً ، فيعد منه ما لم  
يعرج فيه على ذكر التشبيه بل يشعر باحتياج المشبه به إلى المشبه<sup>(٤)</sup> .  
وكثيراً ما يقع كذلك كقول يزيد بن معاوية :  
ملیحة لورأتها الشمس ما طلعت من بعد رؤيتها يوماً على أحد  
وقول الخالدي :

يا قضيا عيس تحت هلال وهلال يرنو بعين غزال  
منك يا شمسن تعلمت الشمس م دنو السنـا وبعد المثال  
وقد سرقه من قول ابن الرومي<sup>(٥)</sup> :

يا شبيه البدر في الحسن م وفي بعد المثال

(١) خدال الشوى : ممتلكات الأطراف ، والراسع : جمع رسعاء ؛ قليلة لحم العجز  
والفخذين ، وللمنافع : الحشيات توضع فوق الأرداف لتضيقها .

(٢) زهر الآداب — ٢ — ٩٣ — ٩٤ (٣) تزین الأسواق — ١٨٩

(٤) المصدر نفسه — ١٨٩ (٥) بثينة الدمر — ٢ — ١٨٣



ولسيف الدين بن المشد :

وبمهي حتى من لو بدت      للشمس من تحت النقاب  
سمرت محاسن وجهها      خجلا ولاذت بالسحاب  
وقول كشاجم :

البسدر لا يغنيك عنها إذا      غابت وتغنيك عن البسدر  
في فها مك ومشمولة      صرف ، ومنظوم من الدر  
فالمسك للنكهة والخمر للريقة م      والمؤلؤ للثغــــــــــــــــر  
وقول ابن النفيس القطرسي :

أتظن غصن البان يعجني م      وقد عابت قدك !  
أم يخدع الفاح الحاظي م      وقد شاهدت خدك !  
وقول عبد الجليل بن وهبون :

وافت به غفلة الرقيب      والنجم قد مال للغروب  
نشوان قد هزت الحيا      منه قضيا على كئيب  
يعثر في ذيله فيحكى      عثرة عفيه في القلوب  
واقه لو نالت الثريا      ما نال من بهجة وطيب  
دنا إليها الهلال حتى      قبل في كفها الخضيب

وقول ابن عبد ربه :

أدعو عليك فلا دعاء يسمع      يا من يضر بناظريه ويسمع  
للورد حين ليس يطلع دونه      والورد عندك كل حين يطلع  
وقوله :

يقولون في البستان للعين لذة      وفي الخمر والماء الذي غير آسن  
إذا شئت أن تلقى المحاسن كلها      فني وجهه من تهوى جميع المحاسن  
وقد فطن ذور الذوق السليم      بالفطرة إلى جمال التشبيه المقلوب وعلو  
مزاياه في البيان .

فقال الأصمعي<sup>(١)</sup> : سمعت أعرابيا يقول إنكم معاشر أهل الحضرة ، تختصون  
المعنى . إن أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول : كأنه الأسد ويصف  
المرأة بالحسن فيقول : كأنها الشمس ، ولم لا يجعلون هذه الأشياء بهم أشبه ؟  
ثم قال والله لأنشدك شعرا يكون لك إماما ، ثم أنشدني :

إذا سألت الورى عن كل مكرمة      لم تُلَفْ نسبها إلا إلى الهول ،  
ففي جواداً أعار النيل نائله      فالنيل يشكر منه كثرة النيل  
والموت يرهب أن يلقى منيته      في شدة عند لف الخيل بالخيل  
لو عارض الشمس التي الشمس مظلة      أو زاحم الصم الجاهل إلى الميل  
أو بارز الليل غطته قوادمه      دون الخوافي كثر الليل بالليل  
أمضى من النجم إن نابته نائبة      وعند أعدائه أجرا من السيل

وهذا الأعرابي دقيق في ملاحظته ، ولكنه لم يحسن الاختيار ، فالشعر  
غليظ ثقیل ، وأجود منه عند أبي هلال العسكري<sup>(٢)</sup> .

قول الآخر :

علم الغيث الندى حتى إذا      ما حكاه علم البأس الأسد  
فله الغيث مقر بالندى      وله الئيث مقر بالجلد

#### تطور التشبيه المقالوب .

والحق أن أهل الحضرة لم يقصروا في هذا اللون من التشبيه ، ولم يخطئوا  
المعنى — كما زعم هذا الأعرابي — حين استبحرت الحضارة في العصر العباسي ،  
وعم الترف ولان العيش ، أخذ الشعراء يحظ من المتع والمباهج ، وعلت  
ثقافتهم بما حصلوا عليه من معارف جديدة متنوعة ، فالتسعت أمامهم دائرة  
الابتداع ، وتزاحوا على أبواب الخلفاء والأمراء والوزراء بالمناكب ،

(١) نهاية الأرب - ٣ - ١٨٥ (٢) ديوان العاني - ١ - ٢٥

اقتناصاً للجوائز والصلوات ، فغالوا في المدائح ، وافتتوا في الغزل ، ووشوا  
شعرهم بألوان من الصنعة اللطيفة تساقط الطبع ولا تغطي عليه ، كان منها هذا  
اللون من التشبيه الذي يعتمد المبالغة .

نعم إنه ليس بجديد عليهم ، فقد سبقوا به .

يقول قيس بن الخطيم - وهو عن عاشق في الجاهلية وأدرك الإسلام

ولم يسلم - :

شما روضة من رياض القضا كأن المصاييح حوذاها<sup>(١)</sup>

بأحسن منها ولا مزنة دلوح تكشف إدجانها

قال أبو الفرج الأصبهاني :

أراد : كأن حوذاها المصاييح فقلب ، والعرب تفعل ذلك .

قال الأعشى :

كأن الجمر مثل تراها .

أراد : كأن تراها مثل<sup>(٢)</sup> . . . . .

ويقول المرحوم تيمور باشا جاء البيت كما يأتي :

حتى إذا احتدمت وصا ر الجمر مثل تراها

أي وصار تراها مثل الجمر .

ثم يقول : وقد روى هذا البيت في الأضداد لأبي الطيب اللغوي .

وفي القرطين للكناني .

والذي في الأضداد للسجستاني :

حتى يصير الجمر مثل تراها

على أنه شطرييت فإني لم أجده في نسخة ديوان الأعشى التي يدي ، ولعله

(١) القضا : من أرض البصرة والمهذبان بالفتح : نبات حلو طيب العلم . والدلوح :

السكوب ، والإدجان : الغلام . (٢) الأغاني - ٢ - ٤٤٧ ( ط . دار الكتب ) .



لأعشى آخر ، إلا أن عادتهم إذا أطاقوا أرادوا الأعشى الأكبر <sup>(١)</sup> .  
وكذلك ورد في القرآن الكريم مثلما حكاه — جل وعلا — عن مستحلي  
الربا من قولهم : « إنما البيع مثل الربا » ، في مقام : إنما الربا مثل البيع ، لأن  
الكلام في الربا لا في البيع ، ذهبا منهم إلى جعل الربا في باب الحل أقوى  
حالاً ، وأعرف من البيع .

وقوله — تعالى — : « أفمن يخلق كمن لا يخلق » لمزيد التوبيخ فيه دون  
أن يقول : « أفمن لا يخلق كمن يخلق » مع اقتضاء المقام بظاهره إيابه ، لكونه  
إلزاماً للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله — تعالى — فقد جعلوا  
غير الخالق مثل الخالق <sup>(٢)</sup> .

وقد استشكل بعض العلماء هذا التشبيه ، وعد هذه الآية مشكلة ، لأن  
قاعدة التشبيه تقتضي أن يقال : « أفمن لا يخلق كمن يخلق » ، ولا يقال : « إنهم  
كانوا يعظمون الأصنام أكثر » ، لأنهم لم يقولوا ذلك ، وإنما قالوا : « إنما  
نعبد — دهم — ليقربونا إلى الله زلفى » ، بخلاف قوله — تعالى — : « أفنجعل  
المسلمين كالمجرمين » ، وقوله — تعالى — : « أم نجعل المتقين كالفجار » ، فإنهم  
لما كانوا يقولون : نحن نسود في الآخرة كما سادنا في الدنيا ، جاء الجواب  
على وفق معتقدهم : أنهم أعلى والمسلمون أدنى .

وأجاب بعضهم : بأن الخطاب لعباد الأوثان ، وهم بالغوا في عبادتها حتى  
صارَت عندهم أصلاً في العبادة ، فجاء الإنكار على وفق ذلك <sup>(٣)</sup> .

ويقول السكاكي : وعندى أن الذى تقتضيه البلاغة القرآنية : هو أن  
يكون المراد بمن لا يخلق : الحى القادر من الخلق لا الأصنام ، وأن يكون

(١) أو هام شعراء العرب ٧٦ — ٧٧

(٢) مفتاح العلوم — ١٨٤

(٣) الواهب الفتحية للشبغ حمزة فتح الله — ١ — ١٢٨

الإنكار موجهاً إلى توهم تشبيه الحى العالم القادر من الخلق به — تعالى  
وتقدس عن ذلك عنواً كبيراً — تعريضاً به عن أبلغ الإنكار لتشبيه ما  
ليس بحى عالم قادر به — تعالى — .

ويكون قوله : « أفلا تذكرون » تفهيم توبيخ على مكان التعريض (١) .  
وكذا قوله — تعالى — « أفأريت من اتخذ إلهه هواه » من هذا النوع .  
وقول رؤبة :

ومهمه مغبرة أرجاؤه      كأن لون أرضه سماؤه

فالأصل : كأن لون سماؤه لون أرضه .

قالوا : والاعتبار اللطيف : هو المبالغة في وصف السماء بالغبرة . حتى  
كأنه صار بحيث يشبه به لون الأرض في ذلك مع أن الأرض أصل فيه (٢) .  
ومن آثار العصر الأموى قول ذى الرمة :  
ورمل كأوراق العذارى ، البيت المتقدم ،  
وقوله :

وليل كأثناء الزويى جبهته      بأربعة ، والشخص في العين واحد

ويروى كجلباب العروس ادرعته .

والزويى : هو الطيلسان ، وكل ذلك وصف له بالسواد ، لأن  
الطيلسان أسود ، وجلباب العروس أخضر ، والعرب تجمع بين الخضرة  
والسواد (٣) .

وقول المجنون — وقد كثر القلب في شعره — :

يا أخوى اللذين اليوم قد قنصا      يشها لليلي مجبل ثم غلاها  
إني أرى اليوم في أعطاف شاتكا      ممشاها أشبهت ليلي فخلاها

(١) مفتاح العلوم ١٨٤

(٢) أوهام شعراء العرب — ٦٨

(٣) أمالي المرتضى — ٢ — ١٣

وقوله :

أيا شبه ليلى لا تُراعى فإننى لك اليوم من وحشية لصديق  
أقول وقد أطلقتها من وثاقها فأنت الليلى ما حيدت عتيق  
ونحو قول المجنون : ما أنشده على بن سليمان الأخفش ليعقوب بن  
الريبع :

راحوا يصيدون الظباء وإننى لأرى تصيدها على حراما  
أشبهن منك سوالفا ولو احظا فأرى على لها بذاك ذماما  
أعزز على بأن أروع شبيها أو أن بذقن على يدي حماما  
ولكن ما ورد من ذلك في العهد الجاهلي والإسلامي ، كان أشبه بالقطر  
يعقبه الواابل المنهمر ! بالنسبة لما حدث في العصر العباسي الأول وكان في  
جمته سادجا بدائيا خاليا من التألق والتحلية ، وأين يقع قول ذى الرمة في  
تشبيهه الرمل بأوراق العذارى من قول البحترى :

في طلعة البدر شيء من ملاحظتها وللقصيب نصيب من تنبتها  
أين يقع الرمل والأوراق بما فيهما من غلظ وخشونة وجساوة وضخامة  
مفرطة مضحكة من ملاحظة ، حاز البدر منها شيئا قليلا ، وثبت نال منه الغصن  
حظا ضئيلا !

بل أين يقع هذا كله من قول خالد الكاتب :

رأت منه عيني منظرين كما رأت من الشمس والبدر المنير على الأرض  
عشية حيائي بورده كأنه خدود أضيفت بعضهم إلى بعض  
ونازعني كأسا كأن حجابها دموعي لما صد عن مقلتي غمضي  
وراح وفعل الراح في حركاته كفعل نسيم الريح بالغصن الغض

أرأيت إلى هذه الحدود التي أضيف بعضها إلى بعض ؟



إننى لا أدرى ما تأثير هذا فى نفسك ؟ ولكننى أدرى أن إبراهيم بن  
المهدى حينما سمعها من الشاعر ، استخفه الطرب افزحف فى مقعده حتى  
صار فى ثلثى فراشه ! ثم هتف : يا فنى ، شبهوا الحدود بالورد ، وأنت شبهت  
الورد بالحدود !  
ثم أجازته بصلة سنية<sup>(١)</sup> .

ومن الأمثلة الجميلة فى هذا العصر : قول ابن الرومى يصف الشقائق :  
تصوغ لنا كف الريح حدائقا كعقد عقيق بين سمط لالى  
وفيهن نوار الشقائق قد حكي حدود غوان نقطت بغوالى  
وقول مسلم بن الوليد :  
أجدك ما تدرين أن رب ليلة كأن دجاها من قرونك تنشر  
وقول الحسين الخليلع :

وصف البدر حسن وجهك حتى خلت أنى - وما أراك - أراك  
وإذا ما تنفس النرجس الغض م توهمت - نسيم شذاكا  
خدع لى تعلقى فىك م ياشراق ذا وبهجة ذاكا  
وقول أبى نواس يمدح الأمين - وهو ولي عهد - :

تبه الشمس والقمر المنير إذا قلنا كأنهما الأمير  
فإن يك أشبها منه قليلا فقد أخطأها شبه كثير  
لأن الشمس تغرب حين تسمى وأن البدر ينقصه المسير  
ونور محمد أبدا تمام على وضح الطريقة لا يحور  
وقوله فى الوصف :

لدى نرجس غصن القطاف كأنه إذا ما منحناه العيون عيون  
وقوله فى الغزل :

يا نظرة ساقمت إلى ناظرى أسباب ما يدعو إلى حتفه

(١) زهر الآداب - ٤ - ١٣٩ - ثمرات الأوراق للحموى - ٢ - ٢٧٥ - على هامش  
الستعرف .

من حسن ظني حسن دله يقصر الواصف عن وصفه  
في البدر من صفحته لمحة ولمحة في الظبي من طرفه  
مقاتل الأنفس في لحظة وفي ثناياه وفي كفه

وقول علي بن الجهم — وهو أحسن ما قيل في معناه — :

أما ترى اليوم ما أحلى شمائله صحو وغيم وإبراق وإرعاد  
كأنه أنت يا من لست أذكره وصل وهجر وتقريب وإبعاد

ويذكرون : أن الشعراء اجتمعوا بباب المعتصم (١) ، فقعدهم محمد بن  
عبد الملك الزيات ، فقال : إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ، ويقول لكم  
من كان يحسن أن يقول مثل قول النمرى في الرشيد فليقل :

خليفة الله إن الجود أودية أحلك الله فيها حيث تجتمع  
إن أخلف القطر لم تخلف شمائله أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع

فقال ابن وهيب : فبنا من يقول مثله :

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها شمس الضحا وأبو إسحق والقمر  
تحكى أفاعيله في كل نائبة الغيث والذيث والصمصامة الذكر  
وقول البحترى :

إذا زهتها الصبا أبدت لها حبكا مثل الجواشن مصقولا حواشيا (٢)  
وقوله :

شقائق يحملان الندى فكأنه دموع التصابي في خدود الخرائد  
فإذا تعاقبت السنون وجاء العصر العياشي الثاني وما تلاه من العصور  
استحكمت هذه الصنعة وبلغت ذروتها ، ورأينا هذا اللون — أخيراً —

(١) ديوان العاني لمعكري — ١ — ٢٨

(٢) زهتها : حركتها تحريكاً شديداً ، والجواشن الدروع.

يجرى مع المحسنات البدعية في مضارها الواسع ، فظهرت عليه سمة التكلف ،  
وشابته المبالغة ، وامتزجت به فنون من الزخارف ألقت عليه ظلا ثقيلا ،  
ولكن بعض الشعراء كان قوى الطبع ، صنع الفكر ، رقيق الذوق ،  
فجاء به آية في الخفة والرشاقة ، كقول ابن المعتز : — وهو من المكثرين  
في ذلك — :

سقتني في ليل شبيه بشعرها      شبيهة خديها بغير رقيب  
فأمسيت في ليلين بالشعر والدجى      وشمسين من خر وخذ حبيب  
وقوله :

والأقحوان كالشاي الغدير      قد صُقلت أنواره بالقطر  
وقوله :

وتوقد المريح بين نجومها      كهبارة في روضة من نرجس<sup>(١)</sup>  
وقوله :

والصبح في طرة ليل مسفر      كأنه غرة مهر أشقر  
وقوله يصف سحابة :

وساريه لا تمل البكا      جرى دمعا في حدود الثرى  
سرت تقدح الصبح في ليها      يبرق ككهنديّة تُنضي  
والتشبيهات في كل ذلك مقلوبة .

وقول الأمير تميم الفاطمي — وقد جاء على صيغة المراجعة — :  
ما هجرت المدام والورد والبد      ر بطوعي لكن برغم وكره  
منعتني من الثلاثة من لو      قتلتي لم أحك بالله من هي  
قالت : الورد والمدامة والبد      ر ضيائي ولون خدي ووجهي

(١) البهار : الأقحوان الأصفر عند بعضهم .



قلت بخلا بكل شيء ! فقالت  
وقول الخالدي :

أهلا بشمس مدام من يدي قر  
كأن خمرته إذ قام يمزجها  
إذا سقتك من الممزوج راحته  
وقوله :

أما ترى الغيم يا من قلبه قاسي  
قطر كدمي ، و برق مثل نار جوى  
وقوله :

الوجه ريحانة منه تراح لها  
الرجس الغض عيناه وطرته  
وقول عبد الجليل بن وهبون :

زعموا الغزال حكاة قلت لهم نعم  
وكذا يقولون المدام كريقه  
وقول آخر :

ومُقرَّطٌ بُغْيُ النديم بوجهه عن كأسه المملى وعن إبريقه<sup>(٢)</sup>  
فعل المدام ولونها ومذاقها في مقلتيه ووجتيه وريقه  
وكان من عادة عوام الفرس في النيروز ، رفع النار في ليلته ، ورش  
الماء في صبيحته ، فقال المعوج الشاعر يصف ذلك :

(١) راح له يراح : استشرف له وفرح . (٢) المقرط بالتانف : لايس القباء ،  
وبعض الناس يظنه لايس القرط ، والمقرط بقاء وفاء : هو اللابس ثوب له خل ، والمقرط :  
لايس القرط .

كيف ابتهاجك بالنيروز ياسكنى وكل ما فيه يحكىنى ويحكىه  
فناره كليب النار فى كبدى وماؤه كنوالى عبرتى فيه

ونما يلاحظ : أن المتأخرين أكثر ما أوقعوا التشبيه المقلوب فى الغزل  
وأكثر ما استمدوا صوره من نتاج الطبيعة كالأنهار والخصون والأزهار  
والثمار يشبهونها بأعضاء المحبوب .

كقول ابن سارة المغربى :

والنهر قد رقت غلائل صبغه وعليه من صبغ الأصيل طراز  
تفرق الأمواج فيه كأنها عكّن البطون تهزها الأعجاز (١)

وقول الحسن بن الغليظ المالىق من شعراء الذخيرة :

ولما تبدى الورد فوق غصونه وذكرنى بالورد فى صفحة الخد  
ذكرت به من خده لى روضة تميم بها من حسنها روضة الورد

وقول القاضى الجرجاني :

أفدى الذى قال وفى كفه مثل الذى أشرب من فيه  
الورد قد أينع فى وجنتى قلت : فى باللم يحنيه

وقول الصفدى :

عذارك والطرف يا قاتلى يحاكيهما الأس والنرجس  
وقد صار بينهما نسبة فهذا يدب وذا ينعس

وقول الخالدي فى هدية عنب :

هدية شرفتنا من أخى ثقة نعم الهدية إذ وأفتك من يده  
نوعان من عنب جاما على طبق كأن طيهما من طيب محتده

(١) العكن جمع عكنة بضم فسكون : ما اطلوى وتثنى من لحم البطن سمنا .

وقول آخر في السفرجل :

سفرجلة صفراء تحكى بلونها      حبا شجاء للحبيب فراق  
إذا شمها المشتاق شبه ريحها      بريح حبيب لذ منه عناق  
وطيبة عند تناول طعمها      كريق حبيب طاب منه مذاق  
ولآخر في الريحان :

قضب من الريحان شا كل لونه      إذا ما بدا للعين لون الزبرجد  
فشبهته لما بدا متجعدا      عذارا تبدى في سوائف أغيد  
ولآخر في أشجار النارج :

وأشجار نارج كأن ثمارها      حقائق عقيق قد ملئت من الدر  
يطالعها بين الغصون كأنها      قدود عذارى في ملاحظها الحضر  
ويلاحظ أن التفاح أكثر الفواكه حظا من التشبيه عامة والمقلوب خاصة .

قال العسكري :

وتفاحة حرام صفراء غضة      كخند محب فوق خند حبيب  
أحيائها طوراً وأشرب مثلها      من الراح من كفى أغن ريب  
وقال ابن رشيق :

وتفاحة من كف ظي أخذتها      جناها من الغصن الذي مثل قده  
حكمت لمس نهديه وطيب نسيمه      وطعم ثناياه وحمرة خده  
وقال ابن عباد :

ولما بدا التفاح أحمر مشرقا      دعوت بكأمي وهي ملأى من الشفق  
وقلت لساقها أدرها فإنها      خدود عذارى قد مجعن على طبق  
ولآخر :

أهدى لنا التفاح من كفه      من لم يزل نجنيه من خده



وخط بالسك على بعضها قد عطف المولى على عبده  
ولآخر في الرمان :

طعم الوصال يشوبه طعم النوى سبحان خالق ذا وذا من عود  
فكأنها والخضر من أوراقها خضر الثياب على نهود الغيد  
وقال فيه محمد بن عمر المقرئ الكاتب :

ورمان رقيق القشر يحكي ثدى الغيد في أنواب لاذ<sup>(١)</sup>  
إذا قشرته طلعت علينا فصوص من عقيق أو يجازى

والصنوبرى — وهو من المبدعين في وصف الرياض — قطعة رائعة  
يشبه فيها ماحواه الروض من محاسن بمحاسن الخرد الغيد ، حتى ليخيل إلينا  
أن الروض معرض من معارض الجمال قد تبرجت فيه عرائس سافرات  
يعرضن مفاتهن على العيون ١ ولم يكفه ذلك حتى علل حبنا للرياض تعليلا  
طريفاً ، وهو تشبهاً بالحبائب بما تجلوه علينا من جمالها وزينتها .  
قال :

تشبه الروض بالحبائب قد زاد المحبين في محبتها  
كم من قدود هناك من قضب تميل من لينها ونعمتها<sup>(٢)</sup>  
كم وجنة خالها يلوح لنا سواده في صفاء حرمتها  
وكم ثنايا تسي بنحكتها وكم عيون تسي بلحظتها  
كل صفات الجمال بحملة بين تفاريقها وجملة —

(١) يريد بطعم الوصال : حبه ، ويطعم النوى : قشره .

(٢) اللاد : ثياب حر من الحرير كانت تنسج في الصين ، والبجازى : حجر فيه خربة  
وأجوده ما اشتدت حرته وكثر برقه .

(١) النعمة : بالفتح : النعم .

وقد جاء التشبيه المقلوب في غير هذه المعاني التي ذكرناها ، كقول  
أحمد بن أبي طاهر في تشبيه النار بنار العشق :

ونار كنار الشوق في قلب عاشق      على أنه منها أحر وأوقد  
ظلمات بها عند المبرد قانظا      فما زلت في أفاظه أبرد

وقول أبي عبد الله الخفيع لأحمد بن طولون يشبه النار بالسؤال :<sup>(٢)</sup>  
والعار في مدحى لغيرك فاكفى      بالجود منك تعرضى للعار  
والنار عندى كالسؤال فهل ترى      ألا تكلفنى دخول النار  
وقال آخر :

ذكرت سليمى وحر الوغى      كقلبي ——— اعة فارقتها  
فشبته سمر القضا قدها      وقد ملن نحوى فعانقتها  
وقال آخر في الشمعة :

حكنتى وقد أودى بي السقم شعة      وإن كنت صبا دونها متوجعا  
ضنى وسهادا واصفرارا ورقة      وصبرا وصمتا واحترقا وأدعا  
وقال آخر في فتك العيون :

إن العيون النجل أمضى موقعا      من كل هندی وكل يمانى  
فضل العيون على السيوف لأنها      قتلت ولم تخرج من الأجفان  
والأصل فيه قول القائل :

بين السيوف وعينه مشاركة      من أجلها قيل للأغناد أجفان

وقد يجتمع التشبيه المقلوب مع غيره في نسق واحد كقول  
بعض الشعراء :

أهديت مشبه قدك المياص      غصنا نضيرا ناعما من آس  
فكأنما يحصيك في حركاته      وكأنما تحكيه في الأنفاس

وقول العسكري :

حال يفتي وبين بابك حالا      ن وحول وقرب عهد عهاد<sup>(١)</sup>  
فكان الوحول ليل محب      وكان السماء كف جواد  
وقول أبي جعفر الشطرنجي :<sup>(٢)</sup>

أشبهك المسك وأشبهه      قائمة في لونه قاعده  
لا شك إذ لونكما واحد      أنكما من طينة واحد

وقول قطب الدين الخنفي من شعراء السلافة<sup>(٣)</sup> :

لا وفرع كدجى الليل غسق      وجبين ضومه ضوء الفلق  
ومحيا كف البدر به      ونحدود من حوالها شفق  
ما أرى الغزلان إلا سرقت      منك جيداً والتفاتاً وحديق

ثم خافت فتولت شرذا      كيف لا يشرد خوفاً من سرق  
ومن بديع ماورد منه في النثر قول أحمد بن أبي صالح — يصف جارية كاتبة — :  
كان خطها أشكال صورتها ؛ وكان مدادها سواد شعرها ، وكان  
قرطاسها أديم وجهها ، وكان قلبها بعض أناملها ، وكان يانها سحر مقلتها ،  
وكان سكينها سيف لحظها ، وكان مقطها قلب عاشقها<sup>(٤)</sup> .

وليس كل التشبيه المقلوب سواء في الحسن ، بل يتفاوت في ذلك  
تفاوتاً كبيراً بما يضاف إليه من أصباغ وألوان ، وبما يراعى فيه من دقة  
وعمق ، وبما يحمله من أمور طريفة مخترعة ، وبما يلحظ فيه من دقة المشاكلة  
في الوصف الجامع .

(١) الحول : القوة ، والعهاد : أمطار الربيع الأولى جمع عهد .

(٢) نسبها القلقشندي إلى الزركشي في دنانير البرمكية . نهاية الأرب — ٢ — ٣٦

(٣) سلافة العصر لصدر الدين المديني — ٤٢٤

(٤) ديوان المعاني — ٢ — ٧٥



فقد جرى العرف مثلاً على تشبيه الخد بالتفاح ، ولكن لا يكفي أن  
تقلب التشبيه ، فتقول : تفاح كالخد ، حتى تكون أتيبت بشيء بديع يعتد  
به في البلاغة ، غير أنك تستطيع أن تغلب القارىء وتثير إعجابه ، وتلهب  
شعوره ، وتقنعه أنك جلوت عليه صورة أنيقة فائنة إذا جئته بمثل قول  
ابن دريد :

وتفاحة من سوسن صيغ نصفها      ومن جُلنار نصفها وشقائق  
كأن النوى قد ضم من بعد فرقة      بها خد معشوق إلى خد عاشق

ذلك لأنه أعطاك هنا صورة دقيقة محكمة كاملة للتشبيه : تفاحة نصفها  
من سوسن ، ونصفها الآخر من جلنار وشقائق ، وكذلك التفاحة تآلف  
غالباً من لونين : أصفر وأحمر .

ثم نرى في الطرف الثاني المقابل خدين : أحدهما أحمر وهو خد المعشوق  
الذى يحول فيه ماء الشباب ، والآخر أصفر وهو خد العاشق الذى أذبلته  
الملوحة ووسمته الغرام بميسم الضنى ، فحدث هنا التلاؤم والانسجام والمشاكلة  
بين طرفي التشبيه .

ومن ذلك تدرك أن الجمع بين التفاح والخد مجردين ، لم ينظر فيه إلا  
إلى صفة واحدة وهى الحمرة فقط فى كليهما ، وشتان بين هذا التشبيه الناقص  
وبين ذلك التشبيه التام المستوعب .

هذا إلى ما حفلت به الصورة من أصباغ موقنة ساحرة فى السوسن  
والجلنار والشقائق ؛ تلك عليك حاسة البصر بما تستحضره لك من هذه الألوان  
الحسية ، ثم إلى ما بهز عاطفتك ، ويحرك فيك نوازع الشجى والطرب والعطف  
جميعاً من تصور اعتناق العاشق والمعشوق وتلاصق خديهما فى ظل الوصال  
بعد أن ضرب بينهما الفراق بضرباته !

وكم كان جميلا من الشاعر أن يصور لنا النوى — وهي مصدر البلاء  
والشقاء — في صورة من رق للحديد وعطف عليهما فساءفتها باللقاء  
فكيف بالله استحال البخل كريما والقاسى رحيمًا .  
وكقول غالب الحجام في مليحة تلعب بتفاحة :

عابتها وبكفها تفاحة قد ألست من وجنتها بردها  
ترى بها في وجهها وتظنها من خدها سقطت فتبغى ردها  
وكقول الآخر :

تفاحة جمعت لونين قد حكيا خدى حبيب ومحبوب قد التصقا  
تعانقا فبدا واش فراعهما فاحمر ذا خبجلا واصفر ذا فرقيا  
وكذلك يسهل عليك أن تقول كما قال ابن المعتز في الورد والحدود :  
بياض في جوانبه احمرار كما احمرت من الخجل الحدود  
وكما قال ابن الرومي في الترجس والعيون :  
وأحسن ما في الوجوه العيون وأشبه شيء بها الترجس  
وكما قال آخر في الرمان والثدى :

رمانة مثل نهد السكائب الريم تزهى بشكل ولون غير مذموم  
وكما قال شاعر عصرى في الشقائق والحدود :

وحدود تزهى بهن الغوائى أين منها شقائق النعمان  
ولكن ما قيمة هذه الصور الشاحبة الجامدة المجردة من وشى البلاغة  
وعطرها المسكر ! بجانب هذه الصور التى يشع منها السحر وتنبض بها الحياة  
في قول العسكري :

مر بنا يهتز في خطوه كالغصن غب العارض السارى  
فشمت في وجنته وردة جاءت من المسك بأخبار  
تلوح في حررتها صفرة كالحند منقوطة مدينة —

وقول آخر :

كأنما الوردة لما بدت      في كف من أهوى ويهوى  
حرمة خديه ، وفي وسطها      صفرة لوفى حين يلقانى

وقول أبي هلال :

حكى الرمان أول ما تبدى      حقائق زبرجد يحشين درا  
جاء الصيف يحشوه عقيقا      ويكسوه مرور الصيف نهرا  
ويحكى فى الغصون ثدى حور      شققن غلائلا عنهن خضرا

وقول الطغرائى :

وترى شقائقه خلال رياضها      أوفت مطاردها على أزهارها<sup>(١)</sup>  
فكأنها والريح تصقل خدها      والسحب تملؤها بصوت قطارها  
أقداح يا قوت لطاف أترعت      راحات المسك سؤر قرارها  
وكأنها وجنات غيد أهدقت      بخدودها حمرا خطوط عذارها

وقول كشاجم :

فانظر بعينيك أغصان الشقائق فى      فروعها زهر فى الحسن أمثال  
من كل مشرقة الأوراق ناضرة      لها على الغصن إيقاد وإشعال  
حرام من صبغة البارى ، بقدرته      مصقولة لم ينلها قط صقائل  
كأنها وجنات أربع جمعت      فكل واحدة فى صفحتها  
وكذلك تجد ألوانا من هذا الفن الخصب الوثيق الصلة بالحياة ، والمجلو  
فى معارض زاهية من السحر والفتون فى مثل قول ابن المعتز فى النارج :  
كأنما النارج لما بدت      صفرة فى حرمة كالليث  
وجنة معشوق رأى عاشقا      فاحمر ثم اصفر خوف الرقيب

(١) الطارده : أى رمانة وأخذها مطرد كثير ، وهو الرمح القصير .



وقول التنوخي في الألقوان والزجس والشقيق :

ألقوان معاتق لشقيق كنفور تعض ورد الحدود  
وعيون من نرجس تترأى كعيون موصولة القسيد  
وكان الشقيق حين تبدي ظلمة الصدغ في حدود الغيد  
وقول ابن فرج صاحب كتاب الحقائق في النرجس :

ونرجس نظرف أجفانه كقطة قد دب فيها الوسن  
كأنه من صفرة عاشق يلبس للبين ثياب الحزن  
فهذه الأمثلة وما شاكلها لا ترى فيها القلب وحده ، بل ترى إلى جانبه  
ألواناً من الجمال وفنوناً من الحسن ، وضروباً من الوشي ، وترشحات لطافا  
خلابة ، ومعاني دقايق عميقة ، تؤلف جميعاً صورة متسقة مؤلفة تلهيك عن  
مزينة القلب نفسه ، فلا تكاد تحس به بل تصرفك إليها مباشرة لتستمتع بما  
حوته من سمات الجمال .

وبما يلفت النظر أن التشبيه المقلوب لا يكاد يقع في غير التشبيهات  
الصريحة كما تدل عليه هذه الأمثلة المستفيضة التي أوردناها ، والذي وقع  
منه في التمثيل وقع في هذه الأمثلة التي نوهنا بما اتسمت به من دقة وحسن  
وطرافة وهي قليلة محدودة إذا قيست إلى غيرها .

وقد عقد الإمام عبد القاهر موازنة بين تشبيه التمثيل ، خرج منها  
بالحكم على أن طريقة العكس لا تنجح في التمثيل على حدها في التشبيه الصريح ،  
إلا على ضرب من التأول والتخيل يخرج عن الظاهر خروجاً ، ويبعد عنه  
بعداً شديداً .

وقد أدار الموازنة على البيت المشهور :

وكان النجوم بين دجاها سنن لاج بينهن ابتداع  
وزبدة كلامه : أن تشبيه السنن بالنجوم تمثيل والشبه عقلي ، ثم إنه عكس  
فشبه النجوم بالسنن ، إلا أن ذلك لا يجري مجرى قولنا : كأن النجوم

مصاييح تارة ، وكان المصاييح نجوم أخرى ، ولا كقولنا : كأن السيوف  
بروق تومض ، وكان البروق سيوف تسل .

وذلك أن الوصف هناك لا يختلف من حيث الجنس والحقيقة ، وتجده  
العين في الموضعين ، وليس هو في هذا مشاهداً محسوساً ، وفي الآخر معقولاً  
متصوراً بالقلب ، تمتعاً فيه الإحساس ، فإنك تجد في السيوف لمعاناً ثم هيئة  
مخصوصة من الاستطالة وسرعة الحركة ، تجده بعينه أو قريباً منه في البروق  
فلو أن رجلاً رأى من بعيد يريق سيوف تنضي من الغمود لم يعد أن يغلط  
فيحسب أن بروقا أومضت .

ومحال أن يكون الأمر كذلك في التمثيل ، لأن السنن ليست بشيء  
يترامى في العين فيشبهه بالنجوم ، ولا ههنا وصف من الأوصاف المشاهدة  
يجمع السنن والنجوم ، وإنما يقصد بالتشبيه في هذا الضرب ما تقدم من  
الأحكام المتأولة من طريق المقتضى ، فلما كانت الضلالة والبدعة وكل ما هو  
جهل يجعل صاحبها في حكم من يمشي في الظلمة فلا يهتدى إلى الطريق لزم عن  
ذلك أن تشبه بالظلمة ، ولزم عكس ذلك أن تشبه السنن والهدى والشرية  
وكل ما هو علم بالنور .

فهذا ههنا كأنه ينظر إلى طريقة قوله : ، وبدا الصباح كأن غرته ، في  
بناء التشبيه على تأويل هو غير الظاهر ، إلا أن التأويل هناك : أنه جعل في  
وجه الخليفة زيادة من النور والضياء يبلغ بها حال الصباح أو يزيد ، والتأويل  
هنا : أنه خيل ما ليس يمتثلون كأنه يمتثلون ثم بنى على ذلك <sup>(١)</sup> .

وقد اختلف العلماء في بيت أبي تمام الذي يصف به القلم من قصيدة يمدح  
بها ابن الزيات ، وهو :

لُعَابُ الْإِفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لِعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَبْدَعُ أَسْلٍ <sup>(٢)</sup>

(١) أسرار البلاغة - ١٨٢ (٢) هذا البيت أحد أبيات عشرة في وصف القلم ،  
وهي أحسن وأضخم ما قيل فيه ، والأرى : ما لصق من السل في جوف الحلية ، واشتارته :  
استخرجته ، والمواسل جمع عاسلة مستخرجة العسل .

والرأى الراجح : أن لعبه مبتدأ مؤخر ، ولعابه الأفاعى خبر مقدم .  
وأرني معطوف على الخبر عطف مفرد على مفرد ويكون لعاب القلم قد  
شبه بشيئين وهما السم والعسل باعتبارين . فهو بالنسبة إلى الأعداء سم قاتل  
وبالنسبة إلى الأولياء شفاء عاجل ، وبهذا الإعراب لا يكون من التشبيه  
المقلوب .

ويحوز أن يكون ، لعاب الأفاعى ، مبتدأ ، ولعابه خبر ، وأرى الجنى  
مبتدأ خبره محذوف تقديره ، لعبه ، أيضاً ، فيكون من التشبيه المقلوب  
ويكون من عطف الجمل وفيه تكلف .<sup>(١)</sup>

وقد يقال : ولكن التقدير الأخير يذهب بشرط البلاغة في البيت ، وهو  
القلب في التشبيه . فالمعروف أن التشبيه المقلوب أبلغ من غيره لما تضمنه  
من مزيد المبالغة .

وهذا الاعتراض سديد ووجيه في الظاهر ، ولكننا نقول : إن البلاغة  
تبرأ من التعسف والتكلف ، وتجري على سنن الفطرة ، فإذا أخذنا بهذا  
الرأى كنا كمن أخذ شيئا وأضاع أشياء ، والتجرد من الشين خير من الجمع  
بين الشين والزين ، وعدم التكلف أولى من التكلف ، وإلا فلاتنى الزيادة في  
شيء ، بالنقص فيه من ناحية أخرى ، فالسلامة من العيوب يجب أن تكون  
الغاية المنشودة أولاً ، وليس القلب بشيء إذا لم يقع موقعه اللائق به حتى  
كأنه متعين فيه ، وكأن المقام ينادى عليه !

على أنه ليس كل تشبيه مقلوب يعد في نظر البليغ الأريب أفضل من الصريح  
فهذا الحسن بن فارس يقول :

رب ليل كأنه فرع ليل ما به كوكب يلوح لسارى

ولا خلاف في أنه تشبيه جميل القلب ، وزاده هذا الجنس الرشيق بين  
ليله وليلاه حسناً ، وليس في البيت شائبة تكلف ولا غلط ولا غموض ،



ولكن من الظلم أن نقيسه بقول ابن الرومي في هذا المعنى وقد خلا من القلب :

وفاحم وارد يُقِيلُ مَشَا	ه إذا اختال مُرْسِلًا غُدْرَه (١)
أقبل كالليل من مفارقة	منحدرا لا يذم منحدره
حتى تناهى إلى مواطئه	يلثم من كل موطن عفره
كأنه عاشق دنا شغفا	حتى قضى من حبه وطره

ويقول شاعر يصف الثدي :

ورمانة شبهتها مذ رأيتها      بنهد العذارى أو بقبة مرمر  
ومع أن التشبيه جاء مقلوبا ، فإنه لا يساوى فتىلا إذا وزن بقول  
عبد الله بن أبي السُّحط بن مروان في حسنه ودقته وطرافته وتصويره  
للواقع :

كأن الثدي إذا ما بدت	وزان العقود بين النحورا
حقاق من العاج مكنونة	يسعن من المسك شيئا يسيرا (٢)

وقول ابن المعتز :

قبيح بمنلك أن تهجرى	وأقبح من ذاك أن تهجرى
أقالتني بفتور الجفون	ورمانتين على مرمر
كشقين من لب كافورة	برأسيهما نقطتا عنبر

وقول ابن الرومي :

مُلَقِّمَاتُ أَطْفَالهنَّ نُدِيَا	ناهديات كأحسن الرمان
مُفَعَّاتُ كَأَنهَا حَافِلَات	وهي صيفر من درة الألبان (٣)

(١) الوارد : الشعر الطويل المسترسل ، والقدر : خصل الشعر ، والعفر : التراب .

(٢) رواية القلقشندي : يسعن من الدر شيئا كثيرا . نهاية الأرب - ٢ - ٩٠ والأولى

أدق عندي . (٣) الدرة بالسكسر : اللبن أو كثرته .

وقد عد الشهاب الخفاجي بيت المتنبي :

نحن ركب مائج في زى ناس فوق طير لها شُخوص الجمال<sup>(١)</sup>  
من خلاف مقتضى الظاهر ، وجعله نوعاً من التوزيع ، والتوزيع فن  
بديعي وهو ادعاء أن مسمى اللفظ نوعان : متعارف وغير متعارف على  
طريق التخيل ، وهو يجرى في مواطن شتى منها التشبيه كالبیت المتقدم<sup>(٢)</sup> .  
وعنه ابن جني من التشبيه المقلوب فقال : وآخر من جاء به « شاعرنا »  
يعني أبا الطيب ، فجعل كونهم جناً : أصلاً ، وجعل كونهم ناساً : فرعاً ،  
وجعل كون مطاياهم طيراً : أصلاً ، وكونها جمالاً : فرعاً ، فشبه الحقيقة بالمجاز  
في المعنى الذي أفاد المجاز من الحقيقة ما أفاد<sup>(٣)</sup> .

وقد رده ابن سنان الخفاجي ، فقال : وهذا عندي تعسف من أبي الفتح  
لا تقود إليه ضرورة .

ومراد أبي الطيب المبالغة على حسنها جرت به عادة الشعراء ، فيقول :  
نحن قوم من الجن لجوبنا القلاة والمهام والقفار التي لا تسلك ، وقلة فرقنا  
فيها ، إلا أننا في زى الإنس وهم على الحقيقة كذلك ، ونحن فوقها طير من  
من سرعة إبلنا إلا أن شخوصها شخوص الجمال ولا شك في إيضاح ذلك<sup>(٤)</sup> .  
ويظهر أن ابن جني — على علمه وفضله — كان يدق عليه أحياناً شعر  
أبي الطيب ، فيسلك في فهمه مسالك غريبة لا تمت بصلة إلى الذوق الأدبي .  
فقد شرح في كتابه الموسوم « بالمفسر » ، الذي ألفه في شعر أبي الطيب  
قوله :

كل جريح تُرجى سلامته إلا فؤاداً رمته عينها<sup>(٥)</sup>

(١) وملحن : من الجن حذفت النون لالتقاء الساكنين حلا لها على حروف القلة لئلا يسبها

لها في القلة . (٢) طراز المجالس — ٢٨ (٣) الخصائص — ١ — ٣٠٩

(٤) سر القصاحة — ١٠٨

(٥) وروى : إلا جريحاً ، وروى الواحدى : دمه بدل « رمته » .

تبل خدي كلما ابتسمت من مطر برقه ثناياها  
 فقال : إنها كانت تترق في وجهه .  
 فظن أن أبا الطيب أراد أنها كانت تبسم ، فيخرج الريق من فمها ويقع  
 على وجهه فشبهه بالمطر .  
 قال ابن الأثير : وما كنت أظن أن أحداً من الناس يذهب وهمه  
 وخاطره حيث ذهب وهم هذا الرجل وخاطره !  
 وإذا كان هذا قول إمام من أئمة العربية تشد إليه الرحال ، فما يقال في  
 غيره ! لكن فن الفصاحة والبلاغة غير فن النحو والإعراب (١) .  
 وإنما قصد أبو الطيب : أنها كلما ابتسمت لمعت ثناياها كالبرق فبكي من  
 شغفه بها بدموع كالمنظر تنحدر على خديه ، وقد جرت العادة أن المطر  
 يعقب البرق .

وقد جاء بهذا المعنى الحزين أرزى صريحاً واضحاً في قوله :  
 ومن ضاعى إياه يمطر ناظري له حين يبدى من ثناياه لي برقاً  
 كأن دموعي تبصر الوصل هارباً فمن أجل ذا تجرى لتدركه سبقاً  
 وذكر الحصري أن أبا الحسن أنشد البيتين السابقين ، ثم قال : إن  
 المتنبي أخذ البيت الأول ، فقال : تبل خدي (٢) .

وإذا كان ابن الأثير قد عجب من فهم ابن جني لهذا البيت هذا الفهم  
 الغريب ، فإن من حققنا أن نعجب من قوله في التشبيه المقلوب : أن آخر من  
 جاء به شاعرنا !  
 وكيف فاته أن معاصريه من الشعراء قد جاءوا به ، وكيف يسلم له حكمه  
 أن عصراً من العصور يخلو من هذا اللون على قرب تناوله من الحواضر .  
 فهذا السرى الرفاء ، وقد كان معاصراً للمتنبي ومنافساً له في بلاط سيف  
 الدولة يقول من قصيدة له يمدح بها القاضي الرقي .



وكم خرق الحجاب إلى مقام تواري الشمس فيه بالحجاب  
كان سيوفه بين العوالي جداول بطردن خلال غاب  
وقوله من قصيدة يمدح بها الوزير المهلب :

كان سيوف الهند بين رماحه جداول في غاب سما وتأشبا  
وذلك أن الأصل : أن تشبه الجداول والأنهار بالسيوف ؛ يراد بياض  
الماء الصافي وبصيصه مع شكل الاستطالة الذي هو شكل السيف ، كقول  
ذي الرمة :

فما انشق ضوء الصبح حتى تبينت جداول أمثال السيوف القواضب  
ومن الغريب أن ابن جني نفسه قد أتى بالتشبيه المقلوب في شعره وقد  
كان شاعراً وله ديوان — وهو قوله في الغزل — (١) :

غزال غير وحشٍ حكي الوحش مقلته  
رأه الورد يحني الور دفاستكساه حلكه  
وشم بانفسه الرجا ن فاستهداه زهرته  
وذاقت ريقه الصبا . فاختلسته نكته

ولا يخلو شعر العصريين من هذا اللون وإن وسم بالقلة ، لأن روح  
العصر تمنح المبالغة والتهويل ، وتجنح إلى الاتزان .

فمن ذلك قول البارودي :

وأقول إن البرق يحكي بشره لو كان برق المزن غير خلوب  
وقوله :

ففي الغصن منها إن تثنت ممشابه وفي البدر منها إن تجلت ملامح  
وقول حافظ يصف الفلاة :

كان أديمها أحشاء صب قد التهب من الوجد الأليم

# فهرس الكتاب

## الفصل الأول

١٧-٤

عبر البيان

البيان في اللغة . أفعاله . وما تفيده مادته . البيان عند قدامة والجاحظ والفرق بينهما . دلالات الإشارة وأمثالها . البيان في الاصطلاح . معنى الاختلاف في الوضوح . البيان عند الخفاء . إيراد الممتنى الواحد بطرق مختلفة . أمثال في المدح بالكرم ووصف الحال . فلة المعاني وكثرة الالفاظ لدى الأقدمين . اختلاف أساليب الأدباء . قانون طبعي . معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والفرق بينهما . البيان بمعناه الأدبي . تعريفه عند جعفر البرمكي والزماني . البيان بمعناه العلوي .

## الفصل الثاني

٢٨-١٨

الدرجات

أقسام الدلالة اللفظية وتعريف كل منها . الدلالات عند السهروردي . تعريف عبد القاهر للدلالة الوضعية والعقلية . الدلالة المقصودة في البيان وسبب ذلك . تكلف السكاكي حصر أبواب البيان . طرق أخرى في الحصر لبعض البلاغيين . شعورهم بالحرج في هذا الحصر . اختلافهم في دلالة التشبيه والقول الفصل في ذلك . دلالة المطابقة يأتي بها الوضوح والخفاء كالعقلية . مبحث الدلالات مقحم على البيان . اعتذار السهوطي عن ذلك . تعريف العلوي للبيان يبعدنا عن مبحث الدلالات .

## الفصل الثالث

٢٢-٢٣

مر الفصبي

معنى التشبيه لغة . اللغة لا تفرق بين التشبيه والتثيل . آراء البلغاء في التشبيه والتثيل . التشبيه العلوي وما يندرج تحته . التحريد والتشبيه . تعريفات مختلفة للتشبيه في الاصطلاح ونقدها . تعريف العلوي للتشبيه وتحليله ونقده . تعريف قويم للتشبيه أورده الفيدي .

## الفصل الرابع

٢٤-٢٥

الفصبي عظم القرماء

عدم عناية القدماء بحود التشبيه . سبق الجاحظ إلى استنباط خصائص التشبيه . إيراد كثير من تشبيهات العرب . لمحات الفنية الدقيقة في نقد التشبيه . رده المفحوم على شبه الملاحدة في تشبيهات القرآن الكريم ، فطلته إلى التشبيه الوهمي . التشبيه عند المبرد . تمثيله لأنواعه . اعتياده على الذوق والحاسة الفنية في تحليل التشبيهات وشرحها . التشبيه عند ابن المعتز . التشبيه عند قدماء وكلامه عنه في نقد النثر والشعر .

## الفصل الخامس

٢٦-٢٧

التشبيه من الخصائص الطبيعية

التشبيه تعبير أنيق ممتاز . تشبيهات العوام ونماذج لها . التقاء العامة والخاصة في بعض التشبيهات البليغة . التشبيه أقدم صور البيان . الأساس النفسي الذي يقوم عليه التشبيه . التشبيه في حقيقة قياس . مقايضة الجاهلية . قياس النابغة الديباني . كثرة التشبيه في كلام العرب .



## الفصل السادس

٥٧ - ٤٨

### مزايا التشبيه من البعوضة

إشادة النقاد بفضل التشبيه . كآيات لقدامة والعكرى وابن قتيبة  
والبطين وعبد القاهر والسكاكي والحطيب . التشبيه والتعمق في الخيال .  
صعوبة التشبيه . خصائص التشبيه والاستعارة . الفنون اللاحقة بكل منهما  
الوصف بالروية والوصف بالتماع . التشبيه يختلف باختلاف حظ قائله  
من البلاغة . أمثال للتشبيهات الرائعة ونقدها وتحليلها . وصف مونت  
لمغنية . بعد الاحباب . وصف لخر لإبليس . التشبيهات المتنافسة والمزيلة .

## الفصل السابع

٧٥ - ٥٨

### فائدة التشبيه

التشبيه يفيد الإيجاز . عادة العرب في الإيجاز . أمثال بليغة لإيجاز  
التشبيه وتحليلها . بيت النابغة : فإنك كالليل وأخذ الشعراء له . تفاوت  
التشبيهات في الإيجاز وأمثال لذلك . تشبيه موجز يعجب به الرشيد .  
التشبيه يفيد الوضوح وسر ذلك . أمثال للتشبيه الموضح ونقدها . التشبيه  
يفيد المبالغة وسر ذلك . أمثال لتشبيه المبالغة وتحليلها : نقد بيت امرئ  
القيس في وصف فرسه . أبو تمام رأس المبالغين . المتنبي وإفراطه في  
المبالغة وأمثال ذلك . آراء النقاد في المبالغة وحججهم : التشبيه يفيد  
التأكيد ! أمثال للتشبيه المؤكد .

## الفصل الثامن

٩٣ - ٧٦

### تقسيم التشبيه

مذاهب البلغاء في تقسيم التشبيه . إسمراف بعضهم في التقسيم . رأى  
بعض النقاد في طريقة عبد القاهر والسكاكي . تقسيم المبرد للتشبيه وطريقة

عرضه . تقسيم قدامه . تقسيم العكسى وإفراطه فى ذلك . فضله فى توسيع دائرته . تقسيم آخر لابن أفى الأصبع نقلاعته كذلك . تقسيم السكاكى وتلاعبه . قاندة التقسيمات ووضع القوانين . تقسيم ابن الأثير وطرافته . تقسيم الحلبي .

## الفصل التاسع

٩٤-١٠٢

أركان التشبيه

طرفا التشبيه ومنزلتهما منه . ما يشترط فيهما مع التمثيل لذلك . الأصل فى التشبيه إلحاق الناقص بالزائد ومثل ذلك . كلمات لابن الأثير والسكاكى والعلوى فى هذا الأصل . ما يراعى فى تشبيه المدح والذم والسلب . . . لا . بين طرفى التشبيه وما قيل فى ذلك مع التمثيل . إفادة التشبيه معنيين مختلفين . رقى الحيات وبيضة البلد فى التشبيه .

## الفصل العاشر

١٠٣-١١٢

التعليق والتهكم

تشبيه الضدين والمختلفين . شرط الصحة لذلك . معنى التعليق لغة واصطلاحاً والتمثيل لذلك . امتناع العكس فى التعليق والتهكم . وقوعهما متفرقين ومجتمعين فى التشبيه ورأى العلماء فى ذلك . كيف يفرق بين التعليق والتهكم . وجه الشبه فيهما وتوضيح ذلك . وجه الشبه فيهما عند البغدادى وابن السبكي . القامح هو التعليق عند ابن السبكي . معارضة البلغاء له والتوفيق بين الرأيين . معرفة العرب للتعليق وأمثلة ذلك . الفرق بين التهكم والحزل المبطن بالجد . نوادر بعض الهازلين . القانع لباب الحزل المراد به الجد المرشحون لهذا الفن . تقييد طرفى التشبيه وإطلاقهما . المراد بالقييد فيهما . أنواع القبود . معنى الواو فى مثل : إني وتزيني بمدحى معشراً . . . الفرق بين المفرد والمقيد والمركب . صعوبة التفريق بين تشبيه المركب بالمركب والمفرد بالمفرد بالمفرد المقيد . طريقة التفريق بينهما .

## الفصل الحادي عشر

١٢٥ - ١١٤

### وجه الشبه

تعريف وجه الشبه . تحتم وجوده في التشبيه . وجه الشبه المنحقق والمنخيل . تمثيل للتشبيه الخالي من الوجه . نقاش طريف في تشبيه مشهور . تصوير الأعضاء بجنى ويؤخذ بعضها بذنب بعض . اختلال التشبيه باختلال الجامع بين الطرفين والتثيل لذلك . فائدة الذموم ونقد ما قبل في ذلك . وجه الشبه في قولهم . النحو في الكلام ... كراهة الخوازمي لكثرة الإعراب وتأويل ذلك . متى يستطرف اللحن . قيمة النحو في البيان ورأى بعض البلغاء في ذلك

## الفصل الثاني عشر

١٢٦ - ١٢٦

### أقسام وجه الشبه

أقسام وجه الشبه وأمثالها . أقسام الوجه المركب مع التثيل لها . نظر العرب إلى وجه الشبه . تقسيم آخر لطريف لوجه الشبه . وجه التشبيه في تشبيه المحسوس بالمحسوس . الوصف المعقول أعم من المحسوس وتعليل ذلك . ما يشترط في وجه الشبه . امتناع الخفاء في وجه الشبه . ما يجب أن يتحقق في المشابهة .

## الفصل الثالث عشر

١٢٧ - ١٢٢

### مراعاة جهة التشبيه

الاختلاف والاتفاق في وجه الشبه . قيمة مراعاة جهة التشبيه . أحسن التشبيه عند قدامة . ما يتحقق به جودة التشبيه . أمثال دقيقة لمراعاة جهة التشبيه . الألقحوان والتغور . استيعاب جهة التشبيه . تشبيه العالم والأديب . القصص في التشبيه من كل شيء إلى شيء .



الظواهر في التشبيه . التشبيه يقع على الأعراض لا الجواهر . موازنة  
في تشبيه التيلوفر . أمثال مراعاة الجهة في نظر الأقدمين . أمثال لما  
انحرف عن المراعاة ونقدتها . نوال العطف بالغاء وحسنه مع التمثيل له .  
براعة . شوق . في نوال العطف بالغاء . ذهول الشعراء عن تناسب  
الطرفين حيناً .

## الفصل الرابع عشر

١٧٤—١٦٤

### التشبيه المجمل والمفصل

تعريف المجمل واشتقاقه . ظهوره وخفاؤه . الوصف بالخلافة  
المفرغة وتحليله . أمثال مأثورة للعرب في تساوي الشينين : ركبنا  
البحر . حارا العبادي . عكبا المير . جانبا هرشي . الفرقدان . اللؤلؤ  
والياقوت . الجديان الحار والبارد . أقسام المجمل وأمثالها . ترشيح  
التشبيه ومتى يحسن . هربارت سبتمبر وترشيح التشبيه . شهرة أمرسون  
الأمريكي به . موقع الجملة بعد المشبه به . وصف المشبه وعدم تمثيلهم  
له وعلة ذلك . المفصل والتمثيل له . معنى المفصل عند بعض البلغاء .

## الفصل الخامس عشر

١٩٩—١٧٥

### أدوات التشبيه

ما يندرج تحت أداة التشبيه . لا بد للتشبيه من أداة . أشهر  
أدوات التشبيه . الكاف وما تدخل عليه . موالاتها للشيء به لفظاً  
وتقديراً . متى يليها غير المشبه به . كأن والقول في بساطتها وتركيبها  
متى تفيد التشبيه ومذاهب العلماء في ذلك والقول الفصل فيه . معنى  
قولهم : **كانك** بالدنيا لم تكن ، وكأنما على رموسهم الطير .  
الفرق بين كأن والكاف . أدوات أخرى للتشبيه : لعل . سواء .  
مثلك لا يفعل كذا . مثل . بالفتح . ومتى تقع . استعمال المتلبي ،

وما في التشبيه ورأى البلغاء في ذلك . أفعل التفضيل في التشبيه  
وأمثال طريقة لها ونقدها وتحليلها . الأفعال التي تنفي عن التشبيه .  
ما تفيد . هكذا ، وما قيل فيها . توالي أدوات التشبيه ومسر ذلك .  
أمثال لها من روائع الشعر . تكرير وشوقي ، لأداة التشبيه . متى يحسن  
الاستغناء عن تكرير الأداة . التشبيه الإنشائي والحجري .

## الفصل السادس عشر

٢٠٠-٢١٢

### المفرد من التشبيه

لا بد في التشبيه من غرض . عودة الغرض إلى المشبه والمشبه به .  
بيان حال المشبه ومتى يكون . أثره في الإلهام والإيضاح . كثرة  
وقوعه في كلام الناس . أمثاله من النثر والشعر البليغ . بيان مقداره  
وشرط وقوعه وفائده مع التمثيل له . تضمنه معنى الخاص بعد العام .  
تقرير حاله وفائده . أمثال طريقة له . وقوعه بكثرة في تشبيه المعنى  
بالصورة . متى يقع في تشبيه الصورة بالصورة . العلة في استرواح  
النفس إليه . التدليل على ذلك من علم النفس . قوة التمثيل بالقول مع  
الإشارة الحسية . موازنة بين أثر القول وأثر الإشارة . قيمة تقرير  
حال المشبه ومزانه البلاغية . الفرق بين تقرير الحال وبيان المقدار .

## الفصل السابع عشر

٢١٢-٢٢٢

### بيان أمثاله المشبه

المقصود من بيان الإمكان . مواضع وقوعه . بيان الإمكان  
دعوى تحتاج إلى برهان . الفرق بين بيان الإمكان وغيره من الأغراض .  
نبذ من التمثيل البارع له . كثرة وقوع هذا النوع في شعر المتنبي وسببه .  
تحليل بيت المتنبي : فإن نفق الأنام وأنت منهم ... ولوعه بهذا المعنى  
وتكريره له كثيرا . الخلاف في اختراعه هذا المعنى . نكتة ملوكة  
لسيف الدولة في بيته المتقدم . تقليد الشعراء للمتنبي في ذلك التشبيه .

بيان الإمكان تشبيه ضمني مكثى عنه . اختلاف البلغاء في تفسير ذلك .  
وجه الشبه في بيان الحال والمقدار والإمكان والتقرير وما قبل في ذلك .  
نقد البحترى في تشبيه الليل بالمداد ، وابن قلافس في تشبيه الصبح بالسقط  
ورد ذلك . أبيات الشعراء في هذه المعاني . رأى التفتازانى في أنسية  
وجه الشبه وأشهره .

## الفصل الثامن عشر

٢٢٢ — ٢٢٦

### تحسين المسبب أو تقييد

طريق التحسين والتقييد والعلة النفسية في ذلك . سحر البيان  
وغلايته . أقسام التحسين والتثليل لذلك . السواد وما جاء في مدحه .  
تقدم ابن الرومي على جميع الشعراء في ذلك . مدح السمرة والشقرة  
والصفرة . تحسين ما لا ريبه في قبحه وأمثال ذلك . التفرق بذوى  
العاهات . تقييد ما اتفق على استحسانه . ذم الشمس والقمر والورد  
والترجم والبياض .

## الفصل التاسع عشر

٢٣٧ — ٢٤٤

### التلطف

معنى التلطف عند أهل البديع . وروده في شعر العرب . التلطف  
وقياس المناطق . تحسين الموت والفرار وإفشاء السر الخ . كلام بليغ  
في تعزية منوزم . مدح الحقد وذمه . ذم الصبر ثرا وشعرا . لا يؤخذ  
التناقض على الشعراء . كثرة مدح ابن الرومي الأشياء وذمها وتعليل  
ذلك . حسن البلاغة في نظر بعض النقاد . استخدام التشبيه في التهذيب  
والقرينة مع التثليل لذلك .



## الفصل العشرون

٢٤٥ - ٢٥٩

### الاستطراف

معنى الاستطراف والاستطراف . صلاحية كل منهما للمقصود .  
وسائل الاستطراف وسببه . وجه الشبه في الاستطراف . تشبيه  
البنفسج بأوراق النار في أطراف الكبريت وتحليله . سر استطراف  
هذا التشبيه عند عبد القاهر . رأى العسكري في أن المراد الحرم  
لا البنفسج وتعليل ذلك . ما يزيد في قيمة الاستطراف . الطرافة وهل  
تستوجب الحسن دائماً ؟ مذهب قدامة في ذلك والقول الحق فيه .  
أمثال للتشبيهات المستطرفة في مناح مختلفة . ما قبل في ذكر أزراره على  
القمرة . ماذا يجب إذا كان الغرض نفس المحاكاة .

## الفصل الحادي والعشرون

٢٦٠ - ٢٩٩

### التشبيه المقلوب

بغية الشعراء من قلب التشبيه . التشبيه على إطلاقه لم يرض نزع الشعراء .  
كيف عبر الشعراء عن هذه المقالات ؟ تنازع شاعرين في بيت . لم يفتح  
الشعراء بالمبالغة في التشبيه المقلوب . كثير من الأوصاف التشبيهية  
استعملت تقليداً . استهجان بعض النقاد لتشبيهات تعالم الناس استحسانها .  
الإنسان في الواقع أشجع من الأسد وأجهل من البدر والظي إلخ .  
أسماء التشبيه المقلوب عند علماء البلاغة وسر التسمية . الغرض من  
التشبيه المقلوب عند أهل البيان ومعنى القلب . تحليل نفس التشبيه  
المقلوب . وصف ابن جني للتشبيه المقلوب . التشبيه المقلوب من تدرج  
اللغة . لا يحسن قلب التشبيه دائماً وتعليل ذلك . المعاني التي لا تقلب  
مع التمثيل . نقاش دقيق في تشبيه مقلوب . الفريضة في التشبيه المقلوب .  
بيان وجه المبالغة في التشبيه المقلوب . العلاقة بين الوجه والردف

والقمر . التشبيهات المأدبة وكيف ينظر إليها . اختلاف الأمزجة  
وأثرها في الهمم . أثر الصناعة والرؤية وأثرها في التشبيه . إشادة  
البلغاء بالتشبيه المقلوب . موازنة بين التشبيه المقلوب وغيره . فطنة  
العرب إلى التشبيه المقلوب .

## الفصل الثاني والعشرون

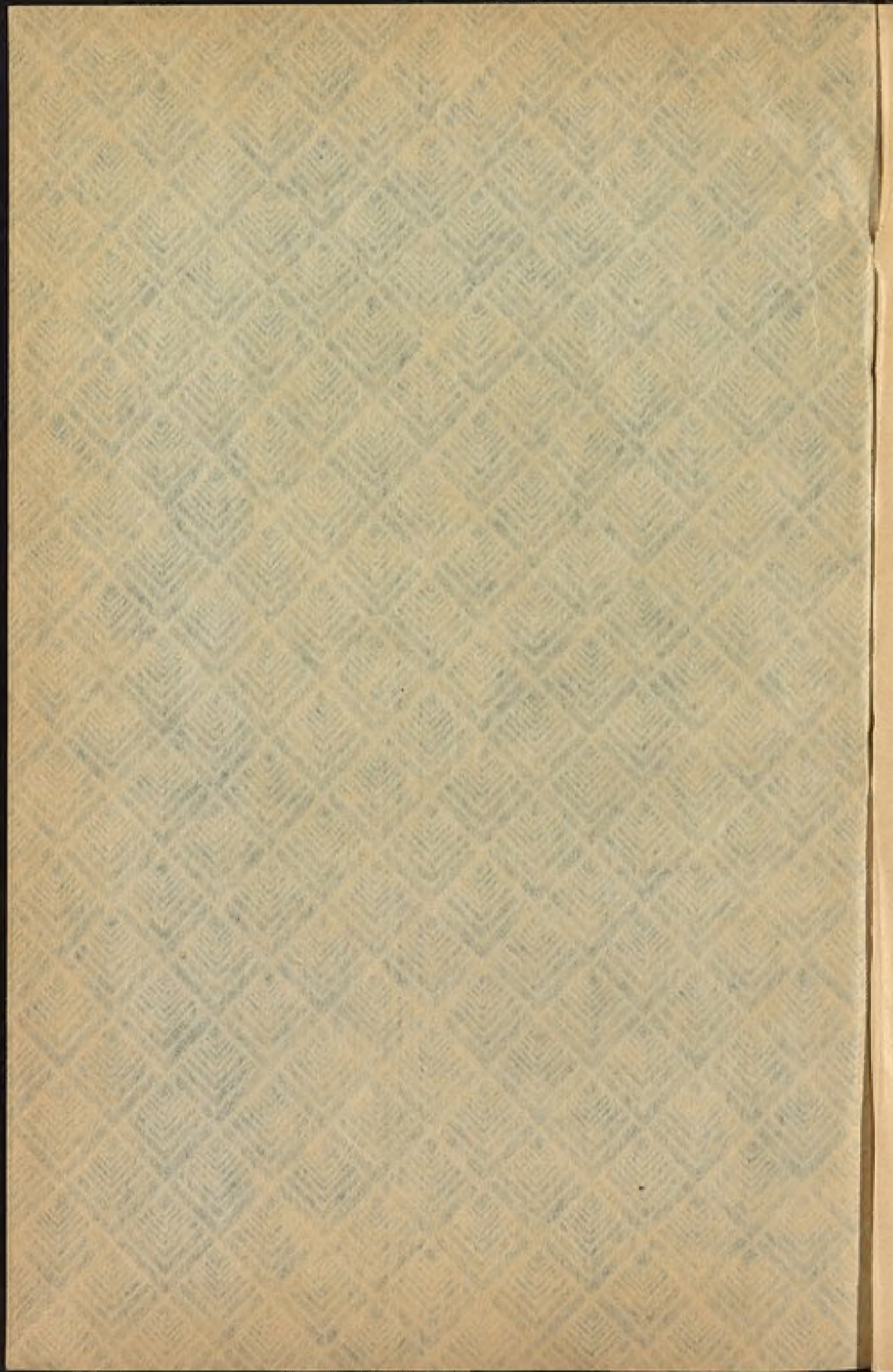
قيمة التشبيه المقلوب وتطوره ٣٠٠ — ٣٢٦

أثر الحضارة في المبالغة . التشبيه المقلوب في العهد الجاهلي والأموي  
وأمثاله . التشبيه المقلوب في القرآن الكريم . التشبيه المقلوب في  
العصر العباسي الأول وأمثاله . التشبيه المقلوب في العصور المتأخرة  
وأمثاله . مادة التشبيه المقلوب عند المتأخرين . التشبيه المقلوب  
المستمد من الأزهار والأثمار . اجتماع المقلوب وغيره في نسق واحد .  
تفاوت التشبيه المقلوب في الحسن مع التمثيل والنقد والموازنة . التشبيه  
المقلوب والتمثيل . اختلاف البلغاء في بيت أبي تمام . لعاب الأفاعي . . .  
وبيت المتنبي: نحن ركب ملجن . . . خطأ ابن جني في فهم بيت المتنبي .

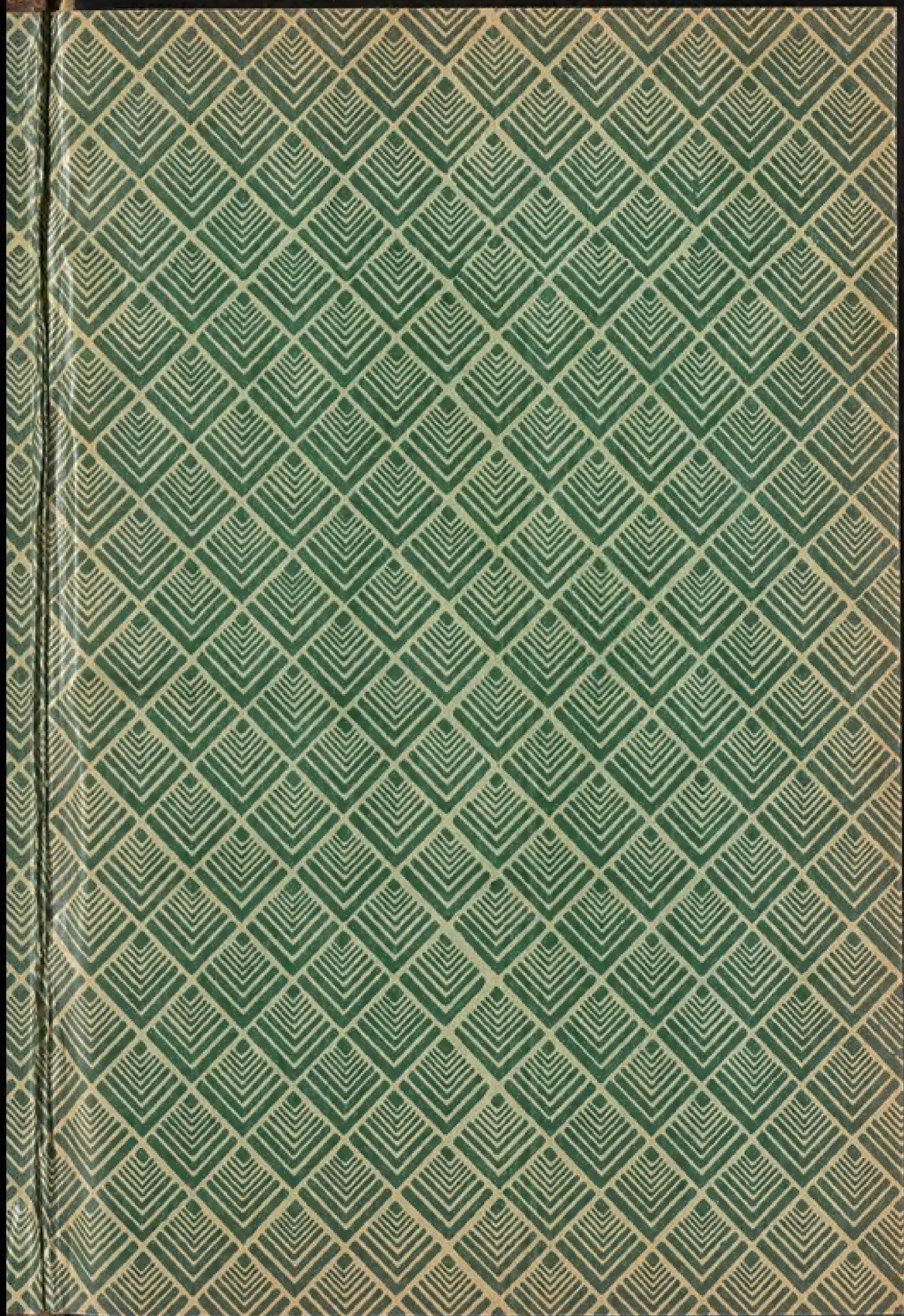
تم الجزء الأول والحمد لله

١٣١٨  
٥











COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0315334007

893.741

J95

v. 1

APR 17 1962



